كتاب البيان
٧٢
سلسلة تصدر من مجلة البيان

ماذا يريد الغرب من القرآن؟



تأليف
الدكتور عبد الراضي محمد عبد المحسن
الأستاذ المساعد بجامعة القاهرة

سلسلة دراسات العالم الغربي

(الغرب والإسلام)

-٢-

ماذا يريد الغرب من القرآن؟

الدكتور عبـــد الراضي محمد عبد المحســـن

الأستاذ المشارك بجامعتي: القاهرة، والإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

Rady٦١@hotmail.com

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م

ح مجلة البيان ، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عبد المحسن، عبد الراضي محمد

ماذا يريد الغرب من القرآن. / عبد الراضي محمد عبد المحسن، الرياض، ١٤٢٧هـ

ص٢٥٣ ؛ ١٧× ٢٤ سم

ردمك: ٢ – ٧ – ٩٦٣٧ - ٩٩٦٠

١- القرآن. دفع مطاعن . ٢ – القرآن مباحث عامة أ. العنوان

ديوي ٢٢٩ ١٤٢٧/٤٦٠٨

رقم الإيداع : ١٤٢٧/٤٦٠٨

ردمك: ٢ - ٧ - ٩٦٣٧ - ٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء..

إلى رائد الطريق ومعلِّم المنهجية...

أستاذي الجليل:

الدكتور مصطفى حلمي

عبد الراضي

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، قَيِّماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ المبعوث بقرآن كريم مبين لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين... ، وبعد:

فلم تفتر همّة الغرب يوماً عن الاهتمام بالقرآن الكريم منذ أن سطعت أنوار شموس الحقائق والمعارف القرآنية في كبد سماوات التاريخ الديني للبشرية.

وقد تنوعت أشكال، وأنماط، ومسالك اهتمامات الغرب بالقرآن الكريم؛ ترجمة، وبحثاً، وتصنيفاً، وجمعاً للوثائق والمؤلفات الخاصة بالقرآن الكريم.

ولم يكن هذا التاريخ الطويل للعناية بالقرآن سبيلاً للتقارب مع الإسلام، أو مدخلاً لحوار حضاري بين الشرق والغرب، أو توطئة لمعرفة حقيقية بالتعاليم القرآنيـــة العـقائـــدية أو التشريعية أو الأخلاقية.

مما يطرح التساؤلات عن طبيعة هذه العناية وأهدافها ، إذ يظل قدر هذه العناية، ومبلغها، وتاريخها مثاراً لتساؤل يرقى إلى حدّ العجب في ظل غياب ثمرة نافعة لتلك العناية!

بل وفي ظل ما يمكن وصفه بعناية لم تزد العلاقة بين الغرب والشرق الإسلامي سوى المزيد من الصراع الحضاري والعداء والكراهية، على العكس من التعاطف الشديد الذي يَكنُّه الغرب لديانات شرقية أخرى رغم معرفته المتأخرة والقليلة بكتبها،

مثل: الزندافستا الزرادشتية، والسلال البوذية، والفيدا الهندوسية.

كما تقرر ذلك بوضوح في الدراسة التي أعدَّها الأب (جوزيف كوك) و (لويس غارديه) وقدّم لها الكاردينال (ماريللا) المسؤول عن أمانة شؤون غير المسيحين في الفاتيكان:

«يجب أن نعترف، وبكل شجاعة وصدق، أن المسلمين لم يلاقوا من العالم المسيحي إلا القليل من التعاطف والودِّ... وقليلون هم الذين أَوْلوهم العناية الكافية، بالرغم من أن الرهبان والراهبات أظهروا اهتماماً أكبر في مجالات التعليم والمساعدة والرعاية، ولكن جهودهم بقيت جزئية أمام اتّساع الاحتياجات، كما أن الغربيين المستشرقين منهم والعلماء المتخصصين في الإسلاميات، أظهروا تعاطفاً وتفهماً لكل ما يتعلق بأهداف دراساتهم، ولكن تفهمهم للإنسان وتعاطفهم معه كان أقل.. وهذا ما يأخذه المسلمون عليهم في أيامنا هذه، مع شيء من اللوم والعتاب حتى اليوم، وفي أكثر الأحيان، عرف المسلمون العالم الغربي من خلال الأنظمة الاستعمارية».

لذلك نجد أنفسنا قيد تساؤل عميق يعوزه جواب طويل: ماذا يريد الغرب من القرآن الكريم؟!

وبحكم تخصصي العلمي في مجال مقارنة الأديان، وبحكم ما أتيح لي من معرفة بالفكر الغربي وتياراته ومعتقداته ومناهجه، أجدُ لزاماً علي الإقدام على محاولة التصدي للإجابة عن هذا السؤال المهم، تلك المحاولة التي تكتنفها صعوبات جمّة؛ ليس أقلها شأناً الفكاك من أسر الأطروحات المقلوبة والمزاعم المصكوكة والشبهات المروَّجة من قِبَل الغرب في طريق كل باحث في تراث الغرب ودراساته عن القرآن.

وليس أعلاها قدراً تتبّع مفردات البحوث والمقالات والإصدارات الغربية حول القرآن الكريم منذ بداية الدراسات الغربية حتى اليوم، ذلك الجهد الكبير الموزع في العديد من اللغات الأوروبية.

وتأتي هذه المحاولة للتأكيد على أهمية الاتجاه الطموح الرامي إلى سدِّ الثغرة والفجوة الكبيرة في مكتبتنا العربية في مجال بحوث «علم الاستغراب» الذي أضحت الحاجة إليه مُلِحّة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر على وجه الخصوص(١).

كما تأتي هذه المحاولة للإسهام في تدعيم رؤى وأفكار وطروحات المهتمين بحمل رسالة الإسلام الحضارية والثقافية إلى الغرب، والقائمين على فعاليات الحوار معه على اختلاف المشارب والغايات، وذلك حتى يكونوا على بيِّنة من المواقف الحقيقية التي يصدر عنها المحاورون الغربيون، وكذلك المرجعيات الفكرية والجدلية التي تحكم تلك المواقف وتشكِّلها، مع إمدادهم بالشواهد العقلية والبراهين العلمية والحقائق التاريخية التي تمكنهم من تصحيح المفاهيم المغلوطة التي روّجها الغرب حول القرآن ولا زالت تلوكها الألسن والأقلام الغربية عبر وسائل الإعلام حتى اليوم.

وتأتي هذه المحاولة كذلك تلبية للاحتياجات الثقافية والمعرفية لإنسان عصر

---

(١) دراستي هذه هي الثانية في سلسلة بحوث «علم الاستغراب» التي بدأتها بكتابي «المعتقدات الدينية لدى الغرب» الصادر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية عام ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
ودراستي هذه أيضاً هي الحلقة الأولى في مشروعي البحثي (دراسات الغرب والإسلام) وسوف يتلوها - إن شاء الله - كتاب (الكنيسة والقرآن) وهو قيد الطبع، ثم يعقبهما كتاب (الغرب ونبي الإسلام)، وهو كتاب سوف يصدر بالاشتراك مع أحد المختصين بالاستشراق.

العولمة والسماوات المفتوحة، ذلك المُسْتهدَف بتذويب الهويّات، وتجاوز المسلَّمات، وإفناء الخصوصيات الحضارية التي جمعت أبناء الأمة الواحدة وشكَّلت نسيج لُحمتها ودعائم بنيانها، وذلك من خلال السعي الدؤوب إلى تنمية الوعي الفكري والثقافي لديه بتكوين رؤية نقدية للفكر الغربي حول القرآن، بما يتمكن معه المسلم المعاصر من الفكاك من أسر الأطروحات التي قدّمها الغرب خلال مراحل ارتقائه التاريخي حتى يومنا هذا.

وقد جاءت تلك المحاولة في فصلين ، خُصّ كل واحد منهما ببيان الموقف الغربي من خلال محور من محاور عنايته بالقرآن الكريم منذ بدء الاهتمام الغربي بالقرآن العظيم حتى اللحظة التاريخية الراهنة، وهما:

١ - المحور الأول: ترجمة القرآن الكريم، وخُصّص له الفصل الأول «الغرب وترجمة القرآن الكريم».

٢ - المحور الثاني: البحوث والدراسات الغربية حول القرآن الكريم، وأُفرد له الفصل الثاني «الغرب والدراسات القرآنية».

ولـمّا كان الإلمام بجميع مفردات البحوث والدراسات الغربية كلها غير ممكن، فقد عمدتُ إلى تتبّع معطيات أبرز الدراسات والبحوث الغربية التي تمثّل العلامات الفارقة والمحركات الرئيسة والموجِّهات المؤثرة في كل محور من محاور عناية الغرب بالقرآن الكريم عبر قرون المعرفة الغربية بالقرآن وتاريخ الانشغال به، والمشكِّلة في الآن نفسه لهيكل وجوهر تلك العناية.

وقد اتّبعت في هذه الدراسة النهج التاريخي المقارن، والتزمت فيه الموضوعية في التناول وفي الحكم، حتى يمكن تجنّب الوقوع فيما تردّى فيه الغربيون في بحوثهم

عن الإسلام والمسلمين ؛ من تجافٍ عن المنهجية العلمية، واتّباع لسطوة الرغبة في إصدار الأحكام المسبَّقة والصكوك الموروثة.

لكن لمّا كانت المنهجية العلمية تقتضي تصحيح الأخطاء والأوهام المعرفية الناشئة عن النقص المعرفي، أو الهوى المفضي إلى مفارقة الموضوعية في التناول والإنصاف في الأحكام ، فلم يكن بُدٌّ من اللّجوء إلى النهج النقدي إلى جانب التاريخي والمقارن؛ استهدافاً لبيان الحقائق العلمية والتاريخية؛ والتنبيه على المسالك والآراء التي خالفتها؛ وليس طلباً للسجال والجدال فذلك بعيد عن غرض الكتاب وطموحه والمأمول منه.

والله – تعالى – أسأل أن يكون من وراء القصد، وأن يعلمنا ما جهلنا، وأن ينفعنا بما قد نكون علمنا، وأن يوفقنا لما يحب ويرضى، فهو الهادي لأقوم المسالك، وله الحمد والمنّة في البدء والختام.

د. عبد الراضي محمد عبد المحسن

الرياض : ٧ من محرم ١٤٢٧هـ

٦ من فبراير ٢٠٠٦م

الفصل الأول:

الغرب وترجمة القرآن الكريم

الترجمة وسيلة من وسائل الاتصال الحضاري والتأثير الثقافي بين الأمم، وسبيل من سبل نقل المعارف والعلوم والخبرات المختلفة من حضارة إلى أخرى، وقد كانت الترجمة في الحضارة الإسلامية أهم عوامل الحفاظ على التراث العلمي والثقافي للعالم القديم، وتنقيحه ، وتطويره.

ولـمّا شرع الغرب في تلمُّس مخرج من ظلام عصوره الوسطى يمّمَ وجهه شطر العالم الإسلامي يستلهم حضارته ونظمه عبر واحدة من أوسع حركات الترجمة التي شملت - كما يقول لويس يونغ - جميع المجالات ، ومن خلالها تركت الحضارة الإسلامية بصماتها على جميع المستويات ، وأسهمت بقدر غير منكور في تنوير القارة الأوروبية المظلمة[1].

وقد كان القرآن الكريم من أوائل الترجمات التي عرفتها لغات الغرب الأوروبي ، وكذلك كان أكثرها من جهة حرص الغربيين على نقله إلى سائر اللغات الأوروبية ، مما يثير العديد من التساؤلات حول سرّ اهتمام الغرب البالغ بترجمة القرآن الكريم ، مثل:

• ما الدوافع والعوامل والأسباب التي كانت وراء ترجمة القرآن الكريم ، هل كانت ثقافية معرفية؟ أم كنسية تنصيرية؟ أم سياسية استعمارية؟

---

(١) لم يعد فضل الحضارة الإسلامية على الغرب واستلهامه لها، وإفادته الواسعة منها في جميع المجالات العلمية والمعرفية مجرد فرض أو تخمين علمي جدليّ، بل أصبح حقائق علمية مسطورة في كتابات مؤرخي الحضارة والفكر من الغربيين أنفسهم، راجع على سبيل المثال :

- زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب .
- روم لا ندو، الإسلام والعرب .
- لويس يونغ، العرب وأوروبا .
- جورج سارتون، الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط .

• وما الأهداف التي سعى الغربيون إلى تحقيقها من خلال الترجمة؟

• وما الطرق التي سلكها المترجمون في إنجاز ترجماتهم؛ هل هي طرق علمية تلتزم الدقّة والموضوعية ؟ أم نزعات ذاتية منفلتة منهجياً؟

• وما سمات الترجمات الغربية للقرآن الكريم؟ وما الآثار التي ترتبت على ترجمة القرآن إلى أكثر من إحدى وعشرين لغة أوروبية؟ أو ما الذي يمكن أن يترتب على ذلك؟

وتقتضي ضرورة الإجابة عن كل هذه التساؤلات دراسة حركة الترجمات الغربية للقرآن الكريم دراسة علمية تجلّي أبعاد تلك الحركة التي شغلت حيز عشرة قرون من الزمان، وأخرجت مئات الترجمات، وواكبت حقباً عدةً من تاريخ الاحتكاك الغربي بالعالم الإسلامي: (الحروب الصليبية ، الحقبة الاستعمارية ، صراع الحضارات الآنيّ) ، وذلك في مباحث خمسة وخلاصة :

الأول: تتبَّعتُ تاريخ حركة الترجمات الغربية منذ بدايتها في المرحلة الأولى بـ«دير كلوني»، مروراً بالمرحلة الوسطى مرحلة الراهب (ماراتشي)، ونهايةً بالمرحلة الحديثة والمعاصرة.

الثاني: تقصّيتُ أهداف الحركة وبواعثها، والأعراض الدينية والثقافية والسياسية الكامنة وراءها.

الثالث: استعرضتُ خصائص الترجمات الغربية، والسمات التي اتّسمت بها ترجمات القرآن الكريم على أيدي الغربيين، وعالجتُ مسألة التزام تلك الترجمات بضوابط الترجمة العلمية.

الرابع: استخلصتُ الطرق التي سلكها المترجمون في إنجاز أعمالهم ؛ والمناهج التي اتبعوها في الترجمة، وناقشتُ أهلية تلك المناهج للحصول على ترجمة علمية معتبرة.

الخامس: حاولتُ تقويم الترجمات الغربية ، وما يمكن أن تقوم به من دور في تكريس المفاهيم المغلوطة حول الإسلام وأهمّها: بشرية القرآن، وتبعية الإسلام ونبيه وكتابه للديانة اليهودية والنصرانية ، وفي إبعاد الناس عن المعاني العظيمة والقيم الدينية الكبرى في القرآن.

الخلاصة: عرضتُ خلاصة الدراسة في هذا الفصل وما توصل إليه البحث في هذا المحور من محاور عناية الغرب بالقرآن من نتائج .

أما فيما يخص نصوص وشواهد الملاحظات على الترجمات الغربية والأخطاء التي وقعتْ فيها فقد اقتصر البحث في حدود ما أُتيح له على رصد أمثلة من ست لغات غربية حيّة بالإضافة إلى اللغة اللاتينية لغة الترجمات الأولى ، وذلك على النحو التالي:

(١) الترجمات الألمانية:

رُصدت أخطاؤها والملاحظات عليها ـ مباشرة ـ من خلال ترجمتي: (رودي بارت Rudi Paret)، و (ماكس هيننج Max Henning) ، وقُورنت بترجمة (مراد هوفمان) ؛ لبيان الترجمة الصحيحة.

(٢) الترجمات الإنجليزية:

رُصدت أخطاؤها من خلال جهود كُلٍّ من: عبد الله الندوي (ترجمات معاني القرآن الكريم) ، د. أحمد مهنا (دراسة حول ترجمة القرآن الكريم) ، وقُورنت بترجمة (تقي الدين الهلالي – محمد محسن خان) الصادرة عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ؛ لبيان الترجمة الصائبة.

(٣) الترجمات الفرنسية:

رُصدت أخطاؤها من خلال جهود كلٍّ من: د. زينب عبد العزيز (ترجمات القرآن إلى أين؟) ، موريس بوكاي (الأفكار الخاطئة التي ينشرها المستشرقون من خلال ترجماتهم) ، وقُورنت الملاحظات بترجمة (محمد حميد الله الحيدر آبادي) الصادرة عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ؛ لبيان الترجمة الصحيحة.

(٤) بقية الترجمات (اللاتينية ، الإسبانية ، المجرية ، الروسية) : أُسندت كل ملاحظة إلى مصدرها.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك عدداً من الترجمات المشهورة والمتداولة في الغرب لكنها استبعدت من

حركة الترجمات الغربية؛ لكون أصحابها مسلمين، ولا يصح منهجياً أن ترصد الملاحظات على ترجماتهم وتحسب على الغربيين أبناء الحضارة الغربية ذات الثقافة والديانة المخالفة للإسلام والمجابهة له، ومن تلك الترجمات:

❖ في اللغة الإنجليزية:

- ترجمة (محمد أسد) القسّ النمساوي الذي أسلم وأجاد العربية.

- ترجمة (محمد مارماديوك بيكثال Pickthall) أول مسلم إنجليزي الأصل، طبعت عام ١٩٣٠م بلندن، ثم عام ١٩٣١ في نيويورك، وطبعتها رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عام ١٩٧٧م.

- ترجمة (عبد الله يوسف علي)، ذائعة الصيت.

❖ في اللغة الفرنسية:

- ترجمة (محمد أركون).

- ترجمة (عمر ياسي).

- ترجمة (الصادق ما زيغ).

- ترجمة (نور الدين بن محمود).

- ترجمة (الشيخ حمزة أبي بكر) إمام مسجد باريس.

❖ في اللغة الألمانية:

- ترجمة (محمد أحمد رسول) وهو إمام المسجد بمدينة (دسلدورف) ومدينة (كولن) الألمانية.

- ترجمة (أحمد فون دنفر) مدير المركز الإسلامي في (ميونخ)، ورئيس تحرير المجلة الألمانية (الإسلام).

- الترجمة المنشورة في (دار بافاريا) وقامت بها عشر مسلمات ألمانيات، وطبعت عام ١٩٩٦م.

- ترجمة (أمير زيدان) الرئيس السابق للجماعة الإسلامية في مقاطعة (هسن) عام ٢٠٠٠م.

المبحث الأول

تاريخ حركة الترجمات الغربية للقرآن الكريم

لحركة الترجمات الغربية للقرآن الكريم تاريخ طويل يضرب بجذوره في أعماق تاريخ العلاقة بين الإسلام والغرب.

وخلال عقود هذا التاريخ وقرونه أنجز الغرب ما يربو عن الستمائة والخمسين ترجمة للقرآن الكريم في إحدى وعشرين لغة أوروبية مرتبة زمنياً حسب ظهورها، وهي[1]:

١ - اللاتينية.
٢ - الإيطالية.
٣ - الألمانية.
٤ - الهولندية.
٥ - الفرنسية.
٦ - الإنجليزية.
٧ - الروسية.
٨ - الإسبانية.
٩ - البلغارية.
١٠- التشيكية.
١١- اليونانية
١٢- البولندية.
١٣- الهنغارية.
١٤- السويسرية.
١٥- البرتغالية.
١٦- اليوغسلافية.
١٧- الرومانية.
١٨- الدانماركية.
١٩- الألبانية.
٢٠- الفلندية.
٢١- النرويجية.

---

(١) راجع الجداول المنشورة بالبيليوغرافيا العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم، نشر: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

وقد مرَّت حركة الترجمات بثلاث مراحل يمكن التمييز بينها على أساس المصدر المعتمد عليه في الترجمة، وليس على أساس الزمن ؛ لأن هذه المراحل قد تتداخل فيما بينها زمنياً، وذلك على النحو التالي:

أ ـــــ مرحلة البدايات:

بدأت هذه المرحلة بداية دينية خالصة ، ولم تستطع الفكاك من أسر توجيه النزعة الدينية للقائمين عليها ، بل استمرت تلك النزعة توجه جميع الترجمات الغربية ليس في هذه المرحلة فقط، بل في جميع المراحل التالية.

ويرجع السبب في سيطرة الصبغة الدينية على مرحلة بدايات حركة الترجمة الغربية للقرآن الكريم إلى عوامل عدة ، منها ما يرجع إلى مكان الترجمة ، وبعضها إلى طبيعة القائمين عليها، وهي [(١)]:

١ - نشأة الحركة وإنجاز أول أعمالها داخل أحد الأديرة النصرانية المشهورة في فرنسا ، وهو دير (كلوني CLUNY) عام ١١٤٣م.

---

(١) راجع قصة الترجمة الأولى لدى كل من :

- Rudolph. K., Der Koran im Lichte der Religionsgeschichte. Weinar. ١٩٦٦ .
- Hock. K., Der Islam im Spiegel westlicher Theologie. Wien ١٩٨٦
- Tervor " Roper, Hoper, Hugh, The Rise of Christian Europpe. Oslo ١٩٧٨.

وراجع بالعربية :

- محمد صالح البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .
- عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، مبحث ترجمة القرآن الكريم ، طبع: دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٩م.
- حسن المعايرجي، المحَرفون للكلم (الترجمات اللاتينية الأولى للقرآن الكريم وتأثيرها على الترجمات باللغات الأوروبية)، مجلة المسلم المعاصر ، عدد ٤٨، ص : (٥٣ - ٩٠) .

٢- قيام رجال الدين النصراني من رهبان الدير وعلى رأسهم الأب (بطرس الموقر Petrus Venerabilis) رئيس الدير بأمر الترجمة الأولى، حيث عهد بها إلى فريق من أربعة أشخاص:

- المعلم (بطرس الطليطلي Petrus von Talela) ، وهو راهب إسباني يعرف العربية ، كما أنه على علم بالثقافة الإسلامية والعربية بحكم نشأته بين المسلمين في الأندلس.

- (روبرت الكيتوني Rubert von Ketton) ، وهو دارس للفلك والهندسة ، وتولى منصباً كنسياً رفيعاً (أرشيدوق بامبللونا).

- (بطرس بواتييه Petrus von powatiee) ، وهو راهب فرنسي كان مساعداً لبطرس الموقر ، وعيّن فيها بعد رئيساً للرهبان في (سانت مارتيال).

- (هرمان الدلماطي Hermann von Dalmatia) ، إسباني يعرف العربية ، وكان يعمل في ترجمة كتب العلوم التجريبية من العربية إلى اللاتينية.

٣ـ قيادة الرهبان ورجال الدين النصراني واليهودي عملية الترجمة بسبب كونهم الطبقة المتعلمة في أوروبا في تلك المرحلة ؛ لذلك كان من الطبيعي أن تسند إليهم الترجمات لمعرفتهم اللغة العربية بواسطة معايشة المسلمين في الأندلس أو بالرحلات العلمية إلى بلاد العرب الإسلامية.

وتظهر فاعلية العامل الثالث وتأثيره ـ بجلاء ـ في أمر الخلاف حول نسبة أول نسخة مطبوعة من الترجمة اللاتينية للقرآن الكريم ؛ ذلك الخلاف الذي دبَّ بين الباحثين بشأن صاحب الترجمة اللاتينية الأولى التي طبعها (بيبلياندر Bibliander Theadar) ، هل كان:

- عالم اللاهوت البروتستانتي القس السويسري (بيبلياندر) القائم على المطبعة(١)؟

- أم مجموعة من الرهبان الكاثوليك من إيطاليا(٢)؟

---

(١) حسن المعايرجي، المحرفون للكلم، ص : ٧٤ .

(٢) عبدالله عباس الندوي، ترجمات معاني القرآن الكريم، ص : ٣٩، سلسلة دعوة الحق (١٧٤) ، رابطة العالم الإسلامي ، ١٤١٧هـ .

- أم فريق الترجمة في (ديركلوني) الذي أنجز ترجمته بأمر وإشراف (بطرس الموقر)؟

- أم (يوهان أبورتيوس) في مدينة (بازل) السويسرية عام ١٥٤٢م[1]؟

حيث تتأرجح نسبة الترجمة في هذا الخلاف بين عدد من المترجمين ينتمون جميعاً - باستثناء (يوهان أبو رتيوس) المجهول بالنسبة لنا - إلى المؤسسة الدينية، إما عالم لاهوت، أو قسّاً، أو راهباً.

وعلى الرغم من حسم أمر الخلاف لصالح فريق (ديركلوني) - كما سيتبين فيما بعد[2]- إلا أن دلالته تظل بيِّنة على الدور الكبير الذي لعبه رجال الدين النصارى في توجيه حركة الترجمات الغربية للقرآن الكريم وسيطرة النزعة الدينية المحكومة بروح الخصومة والعداء.

لكن يمكن القول كذلك: بأن التأثير الذي مارسته ترجمة فريق (ديركلوني) لا يقل بحالٍ عن دور رجال الدين المشتغلين بالترجمة، حيث ظلت المرجع الأساسي وربما الوحيد لجميع الترجمات الصادرة

---

(١) ساسي سالم الحاج، الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، ص: ٣٠٩ ـ ٣١٠، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ١٩٩١م.

(٢) تشير معظم الأدبيات والمصادر الغربية التي تؤرخ للعلاقة بين الإسلام والغرب إلى أن ترجمة (دير كلوني) هي أول ترجمة لاتينية للقرآن الكريم، وأنها النسخة المطبوعة بواسطة (بيبلياندر) في (بازل) عام ١٥٤٣م، وقد أوردنا بعضاً من هذه المصادر لدى الحديث عن قصة الترجمة الأولى، وللمزيد راجع:

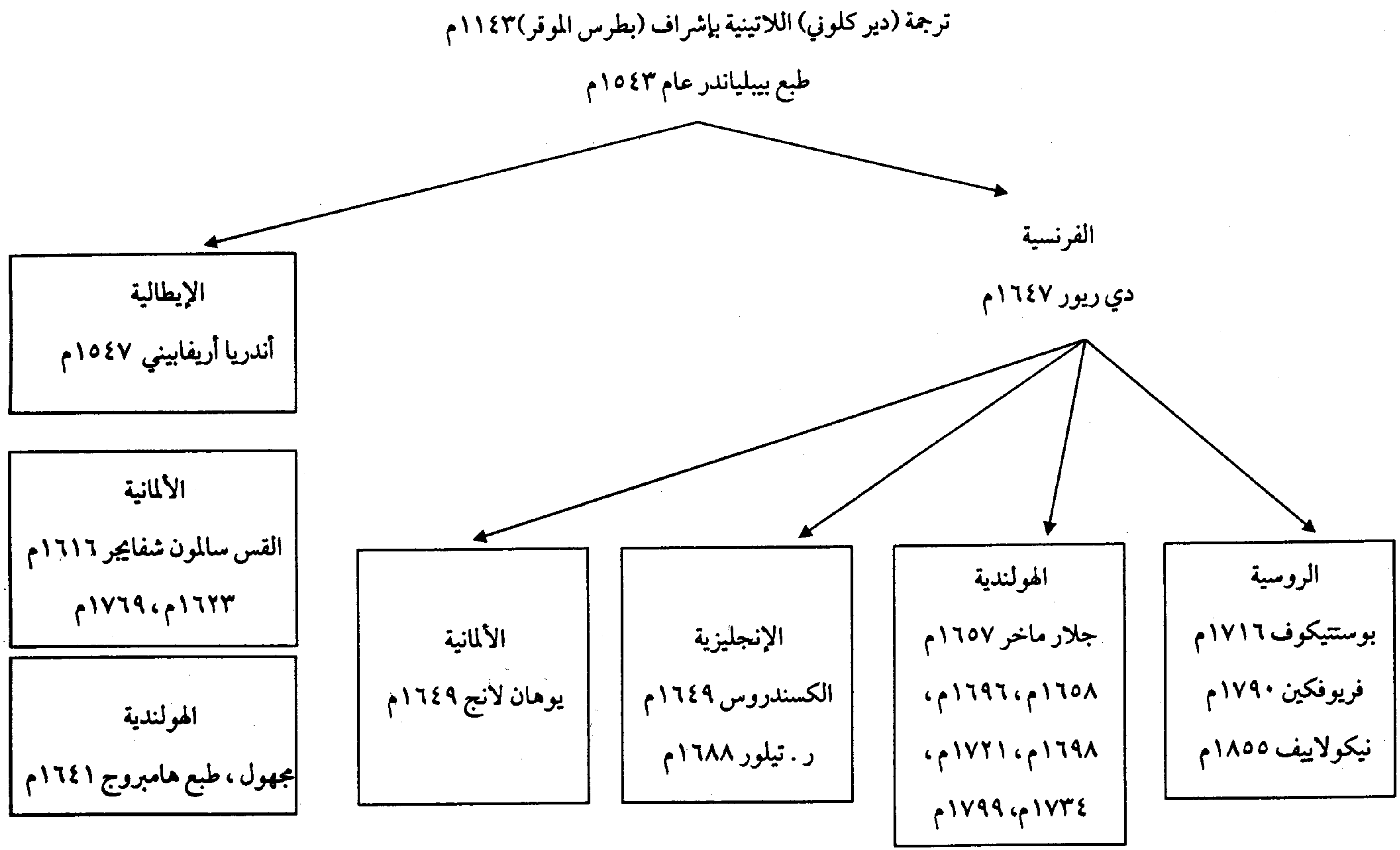
- يوهان فوك، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، ص: ١٣ - ١٨، بترجمة: عمر لطفي العالم، دار قتيبة، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م في العصور الوسطى.

- ر. و. سذرن، نظرة الغرب إلى الإسلام ١ - ٢، ص: ٥٢ ـ ٦٢، بترجمة: علي خشيم وصلاح الدين حسن، مكتبة الفكر، طرابلس، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

- لويس يونغ، العرب وأوروبا، ص: ١٢ - ١٣، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

في مرحلة البدايات التي يمكن تسميتها بمرحلة «الترجمة الكلونية» التي امتدت إلى عام ١٦٩٨م.

فعن هذه الترجمة خرجت الترجمات الغربية للقرآن الكريم إلى ستٍّ من اللغات الأوروبية الحية تظهر من خلال المخطط التالي:


ترجمة (دير كلوني) اللاتينية بإشراف (بطرس الموقر) ١١٤٣م
طبع بيبلياندر عام ١٥٤٣م
الفرنسية
دي ريور ١٦٤٧م
الروسية
بوستيكوف ١٧١٦م
فريوفكين ١٧٩٠م
نيكولاييف ١٨٥٥م
الهولندية
جلار ماخر ١٦٥٧م
١٦٥٨م، ١٦٩٦م،
١٦٩٨م، ١٧٢١م،
١٧٣٤م، ١٧٩٩م
الإنجليزية
الكسندروس ١٦٤٩م
ر. تيلور ١٦٨٨م
الألمانية
يوهان لانج ١٦٤٩م
الإيطالية
أندريا أريفابيني ١٥٤٧م
الألمانية
القس سالمون شفايجر ١٦١٦م
١٦٢٣م، ١٧٦٩م
الهولندية
مجهول، طبع هامبروج ١٦٤١م

وتكمن خطورة تأثير الترجمة اللاتينية لفريق (دير كلوني) فيما تعرَّض له النص القرآني على يد (روبرتوس الكيتوني) وزملائه من تحريف «قاسٍ» قطع العلاقة بين النص الأصلي والنص المترجم، بل إن المقارنة بينهما تجعل من النتائج التي انتهى إليها (روبرتوس) عملاً يكاد يكون فكاهياً، وذلك بالحرية المطلقة التي تصرَّف بها المترجم في النص، تلك الحرية التي عدَّد (جون السيقوفي) صاحب إحدى الترجمات عام ١٤٥٨م بعض جوانبها بأنها «أدخلت في النص القرآني آراء اللاتين، واستعملت كلمات وآراء تتفق مع النصرانية وليس مع الإسلام»[١].

ويوافق (سذرن R.W.Southern) ما ذهب إليه (السيقوفي John of Segovia)، قائلاً: «ولعل (جون السيقوفي) لم يكن واقعياً تماماً في اعتقاده إمكان ترجمة دون هذا اللون من المسخ»[٢].

أمّا (يوهان فوك Johan Fueck) فيقدم وصفاً دقيقاً للترجمة مدعوماً بالأمثلة، فيقول: «وترجمة (روبرتوس) للقرآن تزخر بأخطاء جسيمة سواء في المعنى أو في المبنى، ولم يكن أميناً إذ أغفل ترجمة العديد من المفردات، كما لم يتقيد بأصل السياق، ولم يُقم وزناً لخصوصيات الأسلوب، بل أعمل جهده لاستشفاف مضمون فكرة كل آية من كل سورة، ثم ترجمتها وتقديمها بما يجافي المنطق، ففي السورة (١٠٤) مثلاً - أي: سورة الهمزة - ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ [الهمزة: ١-٣] أورد الذي سيخلده ماله، فحذف (حسب) وبذلك أعطى عكس المعنى المراد من الآية تماماً»[٣].

(١) ر. و. سذرن، نظرة الغرب إلى الإسلام، ص: ١٠٢.

(٢) السابق.

(٣) يوهان فوك، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، ص: ١٧-١٨.

ثم يلخص (فوك Fueck) أخطاء الترجمة الكلونية في أربعة أنماط[١]:

١- هَنَات.

٢- إهمال.

٣- عدم دقّة.

٤- سهو عن إعطاء ترجمة سليمة للأفكار الرئيسة.

وإلى جانب هذه الترجمة المشوَّهة عرفت مرحلة البدايات عدة ترجمات أخرى إلى اللاتينية ، منها : ترجمة الراهب الإسباني (جون السيقوفي John of Segovia) التي أنجزها في (دير سافوي) قبل وفاته عام ١٤٥٨م[٢] ، وتُعدّ هذه المحاولة الثانية لترجمة القرآن.

أما المحاولة الثالثة فقام بها (سكاليبه شرشيبه) عام ١٥٧٩م، وتلتها الترجمة الجزئية التي قام بها اليهودي (جبرائيل صهيون) عام ١٦٣٠م ، وترجمة (كريستليانوس رآفوس) عام ١٦٤٦م التي كتب النص فيها بالخط العبري[٣]، وترجمة الراهب (جرمانونس ١٥٨٨- ١٦٧٩م)، ثم اختتم راهب هامبورج (إبراهام هنكلمان) الترجمات اللاتينية بترجمته التي طبعها عام ١٦٩٤م[٤].

وإذا كانت اللاتينية قد استحوذت على ترجمات القرآن الكريم في تلك المرحلة بسبب كونها لغة العلم ورجال الدين في أوروبا آنذاك ، فإن الإسبانية تُعدّ الاستثناء الوحيد الذي عُرف القرآن الكريم عن طريقها من خلال ترجمة سبعين سورة فيه بواسطة (إبراهام الطليطلي) بأمر (الفونسو

(١) السابق، ص : ١٨ .

(٢) ر. و . سذرن، نظرة الغرب إلى الإسلام، ص : ١٠٠ـ١٠٢ .

(٣) حسن المعايرجي، المحرفون للكلم، ص : ٧٧ .

(٤) يوهان فوك، الدراسات العربية والإسلامية، ص : ٩٨ .

العاشر ١٢٥٢ - ١٢٨٤م)، وكانت تلك الترجمة الجزئية نواة للترجمة الفرنسية التي قام بها (بونانفتور)[١].

ب ـــــ المرحلة الوسيطة:

بدأت المرحلة الوسيطة بالترجمة اللاتينية التي أنجزها القس الإيطالي (لودفيجو ماراتشي Ludwigo Marracci) الذي شرع فيها بناءً على توجيهات البابا (إنوسنتي العاشر)، واستغرق إعدادها أربعين سنة، وطبعت عام ١٦٩٨م في مدينة (بادو) الإيطالية، ثم في مدينة (ليبتزج) الألمانية عام ١٧٢١م[٢].

وكانت هذه الترجمة أدقّ من ترجمات المرحلة الأولى؛ بسبب ما توفر للمترجم من مصادر ومراجع في مكتبة الفاتيكان وغيرها من المكتبات الإيطالية، يضاف إلى ذلك الوقت الطويل الذي استغرقته الترجمة مما أتاح لـ (ماراتشي) فرصة التجويد والتحسين.

لكن رغم كل ذلك فقد بقيت الترجمة عملاً ساذجاً بعيداً عن معاني النص الأصلي حافلاً بالأخطاء والمجادلات اللامعقولة[٣]، يقول الفرنسي (سافاري SAVARY) الذي اعتمد على ترجمة (ماراتشي MARRACCI): «(ماراتشي) هذا الراهب المثقف والذي أمضى أربعين سنة في الترجمة والرد على القرآن سار في ترجمته المسار الصحيح في تقسيم عمله إلى الآيات كما في النص الأصلي غير أنه ترجمها ترجمة حرفية، ونسي أن النص الذي في يده عمل فريد غير عادي.

فهو لم يعبر عن معاني القرآن؛ بل نقل الكلمات إلى لغة لاتينية بربرية، وبعد أن فقد الأصل كلّ

---

(١) البيليوجرافيا العالمية، ص: ٢٦.

(٢) Rudolph. K., Der Koran im Lichete der Religionqbschichte.

(٣) عبد الرحمن بدوي، دفاع القرآن، ص: ١٤.

جماله فإن ترجمته ما زالت أفضل من ترجمة (دي ريور)»[١].

ولم يكن التأثير الذي خلفته ترجمة (ماراتشي MARRACCI) يقلُّ عن تأثير ترجمة (دير كلوني) بحال، فقد وجّهت ترجمة (ماراتشي) حركة الترجمات الأوروبية طوال القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي[٢]. يقول (سير إدوارد دينسون روز S. E. D. ROSS) في مقدمته لترجمة (جورج سيل G. SALE): «لا توجد ترجمة لمعاني القرآن في اللغة الأوروبية إلا وهي مدينة لفضل (ماراتشي)، وإن مقدمة (ماراتشي) لترجمة معاني القرآن تجمع جميع ما عرفه أهل أوروبا عن الإسلام ومحمد والقرآن آنذاك»[٣].

أما مجال تأثير ترجمة (ماراتشي MARRACCI) فتمثل في اتجاهين، أولهما: المقدمات والحواشي والتعليقات الجدلية التي تضمنتها والتي بلغت مجلداً كبير الحجم، والثاني: كمُّ الأخطاء التي شملتها الترجمة.

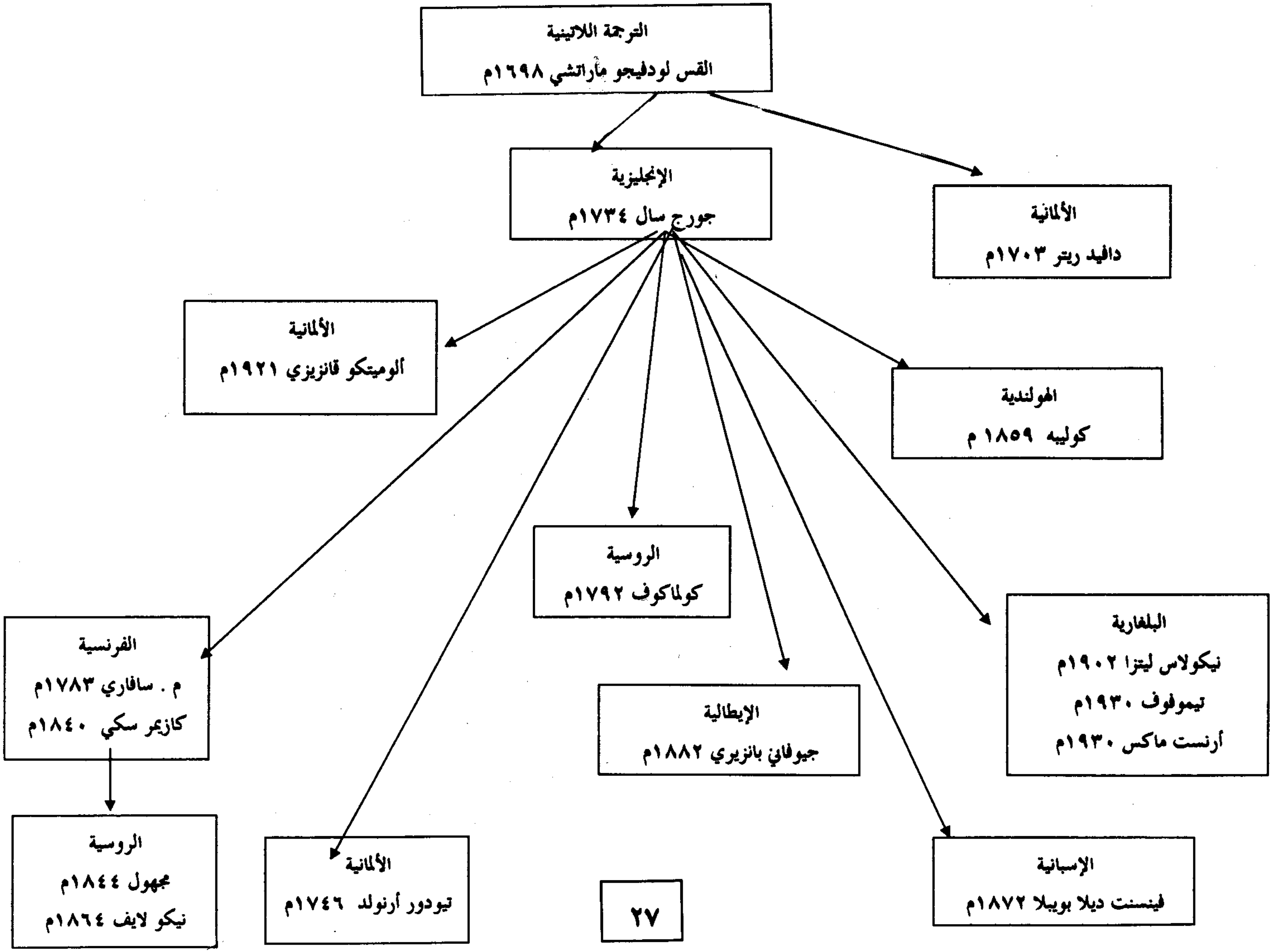
ويمكن تتبّع أثر ترجمة (ماراتشي MARRACCI) في اللغات الأوروبية من خلال المخطط التالي:

---

(١) حسن المعايرجي، المحرفون للكلم، ص: ٨٤.

(٢) عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن، ص: ١٥.

(٣) عبد الله الندوي، ترجمات معاني القرآن الكريم، ص: ٤١.


الترجمة اللاتينية
القس لودفيجو مأراتشي ١٦٩٨م
الإنجليزية
جورج سال ١٧٣٤م
الألمانية
دافيد ريتر ١٧٠٣م
الألمانية
ألوميتكو قانزيزي ١٩٢١م
الهولندية
كوليه ١٨٥٩ م
الروسية
كولماكوف ١٧٩٢م
البلغارية
نيكولاس ليتزا ١٩٠٢م
تيموفوف ١٩٣٠م
أرنست ماكس ١٩٣٠م
الفرنسية
م . سافاري ١٧٨٣م
كازيمر سكي ١٨٤٠م
الإيطالية
جيوفاني بانزيري ١٨٨٢م
الروسية
مجهول ١٨٤٤م
نيكو لايف ١٨٦٤م
الألمانية
تيودور أرنولد ١٧٤٦م
الإسبانية
فينسنت ديلا بوبيلا ١٨٧٢م

ج ـــــــ المرحلة الحديثة والمعاصرة:

تبدأ هذه المرحلة مع اشتداد عود الاستشراق واستقرار مدارسه في بداية منتصف القرن التاسع عشر ، وما واكب ذلك من استيلاء المستعمرين على كنوز التراث العربي والإسلامي ، ووضعها تحت تصرف المستشرقين ، وكذلك نشر وتحقيق العديد من المخطوطات والمؤلفات الإسلامية ، والفرص التي أُتيحت للمستشرقين في السفر إلى البلدان العربية لتعلّم اللغة العربية والوقوف على حقيقة الإسلام كما يدين به المسلمون ، مما مكّن المستشرقين من القيام بترجمات مستقلة عن التأثير المباشر لترجمة (دير كلوني) أو ترجمة (ماراتشي) .

ولم تكن تلك الوسائل التي تيسرت لمستشرقي هذه المرحلة لتغيّر شيئاً من طبيعة ترجمات القرآن الكريم التي أنجزوها، فمع أنهم كما يقول عبد الرحمن بدوي: «من منتصف القرن التاسع عشر يبذل هؤلاء المستشرقون كل ما في وسعهم ليبدوا موضوعيين في كتاباتهم، وفي جعل كتاباتهم أكثر دلالة وأكثر جدّيّة وموضوعية ، وأكثر تدقيقاً في المنهج اللغوي ، لكن دون فائدة ، ذلك لأن الدوافع الداخلية التي تضطرم بالحقد في قلوبهم ضد الإسلام وكتاب الإسلام المقدس ونبي الإسلام ظلّت كما هي؛ بل زادت تأجّجاً.

وبرغم أن هؤلاء الكُتّاب قد توفرت لهم أدوات فهم اللغات منذ بداية القرن الأخير حتى يومنا هذا، إضافة إلى توافر نشر المخطوطات ، إلا أنهم أصرّوا على تقديم نظرياتهم الخاطئة ، من خلال تصوراتهم الزائفة للقضايا الوهمية التي طرحوها حول القرآن، وطرحوا نتائج زائفة توصلوا إليها»[(١)] .

ولذلك بقيت الترجمات الغربية الواسعة نتاج تلك المرحلة تدور بجرأتها غير المعهودة في فلك الجهل والتشويه ، وهو ما يسميه الدكتور بدوي بـ : «الجرأة الجهولة الحمقاء»[(٢)] ، وإذا كانت مرحلة

---

(١) عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن، ص : ١٥ .

(٢) السابق .

البدايات والمرحلة الوسيطة قد أسهمتا في إذكاء روح العداء ضد الإسلام وكتابه من قِبَل النخب الدينية، فإن هذا التأثير ليتضاءل بشدة أمام التأثير العارم والفعَّال للمرحلة الحديثة والمعاصرة في ترجمات الغرب للقرآن الكريم.

ومرجع ذلك إلى إمكانات الطبع الهائلة التي مكَّنت المستشرقين من طبع عشرات الآلاف من النسخ للعديد من الطبعات ، وكذلك إلى الأدوار السياسية والاستخباراتية التي قام بها المستشرقون في حكومات بلادهم؛ فـ (دي ريور DERYER) صاحب الترجمة الفرنسية الشهيرة كان سفيراً بالإسكندرية وإسطنبول، وكان صديقه (سافاري SAVARY) سفيراً لفرنسا في إسطنبول ثم في روما ، أما (ماسينيون) المستشرق الفرنسي الشهير فكان موظفاً في إدارة المخابرات بوزارة الخارجية الفرنسية(١).

وقد قيّض هذا الدور للرؤى الغربية التي تروِّجها ترجماتهم أن تصوغ سياسات أوروبية عدائية ضد الإسلام وكتابه.

كما أن المعاهد والمؤسسات والمراكز البحثية والأقسام العلمية الغربية(٢) أتاحت للغربيين تشكيل عقول النخب الغربية وجمهور المثقفين والمفكرين ورجال الإعلام والتعليم بواسطة الترجمات المشوّهة.

ويُعد الـمَعْلم الأساس لمرحلة الترجمات الحديثة والمعاصرة الاستقلالُ بشكل كُلِّيٍّ أو جزئي عن

(١) محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، ص : ١٩٥، سلسلة عالم المعرفة (١٦٧)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

(٢) تضمنت قائمة أسماء المعاهد العلمية البحثية المتخصصة في الدراسات العربية الإسلامية - في ألمانيا وحدها - ثمانية وعشرين اسماً .

راجع : البروفيسور أودو شتاينباخ، التطورات الحديثة لعلم الشرق الأدنى المرتبط بالعصر الحاضر في ألمانيا، ص : ١٨٠ - ١٩٠، نشرها: أحمد هويدي ، الاستشراق الألماني ، طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

الترجمات اللاتينية (ترجمة دير كلوني، وترجمة الراهب ماراتشي) أو الوسائط إليهما (ترجمة دي ريور، ترجمة أندريا أريفابيني، ترجمة جورج سال)، والاعتماد بشكل كليٍّ أو جزئي على الأصل العربي للقرآن.

وتأتي الترجمات الإنجليزية والفرنسية والألمانية في مقدمة ترجمات المرحلة الحديثة والمعاصرة بما توفر لها من انتشار وتداول.

ومن أهم الترجمات الإنجليزية الحديثة[1]:

١- (القس ج. م. رودول. G. M. RODWELL) ، صدرت عام ١٨٨٦م بمقدمة للمستشرق (مرجليوث David Samowol Marglyoth)، وهي إن كانت قد تأثرت بالترجمات اللاتينية إلا أن تأثّرها بالترجمات الإنجليزية والألمانية كان أكبر.

٢- (إي. هـ. بالمر. E. H. PALMER) ، صدرت من مطبعة أكسفورد عام ١٨٨٠م ، ولم تستطع التحرر من تقليد (جورج سيل).

٣- (القس وهيري WHERRY) ، طبعت عام ١٨٩٤م ، ويدَّعي (وهيري) اعتماده على المصادر الإسلامية ، لكن لا يوجد في ترجمته ما يؤيد دعواه. والعمل حافل بمحاولات الطعن في عقيدة المسلمين في القرآن.

---

(١) وجيه حمد عبد الرحمن، وقفة مع بعض الترجمات الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم، ص : ٨ -١٢.
ندوة : «عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه»، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (٣ - ٦ رجب ١٤٢١هـ، ٣٠ سبتمبر - ٣ أكتوبر ٢٠٠٠م).
- عبد الله الندوي، ترجمات معاني القرآن الكريم، ص : ٥١ - ٧٠ .

٤- (ريتشارد بل R. Bell)، طبعت عام ١٩٣٧م في نيويورك، وهي نموذج للاعتداء على النص المترجم، حيث أدخل ملاحظاته وانتقاداته في كل سورة في ثنايا الترجمة، وميّز العديد من الآيات بين علامات تنصيص وأشار إلى عدم تبعيّتها للسورة.

٥- (أرثر. ج. أربري. A. J. ARBERRY)، صدرت عام ١٩٥٥م، وطبعت أكثر من (١٥) طبعة، ولا زالت تطبع حتى الآن، وتمتاز بسهولة الأسلوب وعصريته، لكنها شملت عدداً لا بأس به من الأخطاء العقدية واللغوية.

٦- اليهودي (ن. ج. داود N. G. DAVID)، صدرت عام ١٩٥٦م، وهي أكثر الترجمات تداولاً بين الإنجليز غير المسلمين، وقد أطلق المترجم لنفسه العِنَان فلم يتقيد بالنص.

ومن أهم الترجمات الفرنسية الحديثة[١]:

١- (إدوارد لويس مونتيه E. L. MONTET)، صدرت عام ١٩٢٩م، وأُعيدت طباعتها أكثر من مرة، وقد امتدح الأمير شكيب أرسلان مقدمتها، وأثنى محمد فؤاد عبد الباقي على دقّة الترجمة، وربما كان يصدر في ذلك عن مقارنة بسابقتها من الترجمات الفرنسية المشوهة.

٢- (ريجيس بلاشير REGIS BLACHERE)، صدرت عام ١٩٤٧م في باريس، وطبعت أكثر من عشر مرات حتى الآن، وقد قدّم لها بدراسة نقدية[٢]، وتتضمن المقدمة محاولته إعادة ترتيب سور القرآن[٣].

٣- (جروسجيان جيان G. JEAHN)، صدرت في باريس عام ١٩٧٢م.

---

(١) عصمت بينارق - خالد أرن، البيليوجرافيا العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم، ص: ١٧٨- ٢٠٢.

(٢) قام العبيدي بترجمتها إلى العربية، في حولية الجامعة التونسية - كلية الآداب، العدد ٢١، تونس، ١٩٨٢م.

(٣) راجع المقدمة المذكورة ص: ٨٥-١٠٤.

٤- (ماسون دينيسي MASSON DENISE)، صدرت في لبنان عام ١٩٧٧م، بتقديم: صبحي الصالح.

٥- (اليهودي أندريه شوراكي ANDRE CHOURAQUI)، عدّها (عبدالرحمن بدوي) وَصْمَةَ عار على الترجمة والمترجمين؛ لاعتدائها الصارخ على قدسية النص القرآني، إضافة إلى جهل صاحبها الفاضح بمعاني القرآن[1].

٦- (رينيه خوام RENE KHAWAM)، صدرت في أوائل التسعينيات من القرن الميلادي المنصرم في باريس بناء على اقتراح من إحدى دور النشر.

٧- (جاك بيرك JACQUES BERQUE)، صدرت عام ١٩٩٠م، وقد أثارت جدلاً واسعاً في الأوساط الإسلامية؛ لما انطوت عليه من مغالطات وأخطاء ومقدمات جدلية دفعت الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق شيخ الجامع الأزهر إلى تشكيل لجنة من المختصين لفحص الترجمة ومقدمتها، وانتهت اللجنة إلى أن الترجمة بمقدمتها تتضمن[2]:

- جهلاً باللغة العربية.
- عدم فهم للنص.
- افتقاد الأمانة العلمية.
- تحريفاً ظاهراً.
- عبارات تستخفُّ بالقرآن.
- التجنّي على الذات الإلهية بإظهارها في صورة مرعبة.

---

(١) سعيد اللاوندي، إشكالية ترجمة معاني القرآن الكريم، ص: ١٣١.

(٢) محمد رجب البيومي، إعادة قراءة القرآن، ص: ٢٠ ـ ٢١، كتاب الهلال، العدد ٥٨٨، القاهرة، ١٩٩٩م.

- زعمه تحريف القرآن عند جمعه وفي قراءاته وفي ترتيله.
- زعمه تأثّر القرآن بالشعر الجاهلي والفكر اليوناني.

وقد تعددت الدراسات النقدية التي تصدت للردِّ على هذه الترجمة، وبيان مخاطرها، لكنّ الغريب في الأمر أن كاتباً صحفياً بجريدة الأهرام القاهرية انبرى للدفاع عن (بيرك) - بدافع من صداقته - دفاعاً غير علمي أو موضوعي، إذ لم يخرج عن دائرة ذكر المآثر والمحامد الشخصية لـ (بيرك) دون أيّ ردّ على الأخطاء والملاحظات النقدية التي اكتظت بها ترجمته[1].

(١) سعيد اللاوندي، إشكالية ترجمة معاني القرآن الكريم، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠١م.

وقد تصدّت الدكتورة زينب عبد العزيز أستاذ الحضارة ورئيس قسم اللغة الفرنسية بجامعة المنوفية لفضح أخطاء ترجمة (بيرك)، سواء من خلال عضويتها في اللجنة المشكلة لفحص الترجمة، أو في دراستها المنشورة بعنوان «ترجمات القرآن إلى أين: وجهان لجاك بيرك» وقد أفدنا من ملحوظاتها القيمة ورصدها الدقيق لأخطاء الترجمة.

وهناك دراسة نقدية حديثة حول ترجمة (بيرك) قام بها الدكتور حسن بن إدريس عزوزي أورد من خلالها أحد عشر وجهاً نقدياً، تمثلت في:

أولاً: حذف أجزاء وزيادة أخرى في النص القرآني.

ثانياً: التحريف المعجمي بإطلاق المعاني الغريبة والبعيدة عن المدلولات القرآنية المعروفة.

ثالثاً: قلب الحقائق القرآنية.

رابعاً: الأخطاء الناجمة عن سوء الفهم.

خامساً: الأخطاء الناجمة عن التصحيف في قراءة ألفاظ قرآنية.

سادساً: التصرف في ترتيب أجزاء الآيات القرآنية.

سابعاً: الترجمة بما يثير السخرية لدى القارئ الغربي.

ثامناً: عدم الالتزام بترجمة موحّدة للفظة القرآنية.

تاسعاً: الإغراب في ترجمة أسماء السور القرآنية. =

أما أهم الترجمات الألمانية الحديثة ، فهي لـ:

١ - (دافيد فريدرش فيجيرلن DAVED FRIDRICH FEGERLEIN) ، هي أول ترجمة ألمانية تراعي لغة القرآن الكريم العربية ، وصدرت الترجمة في (فرانكفورت) عام ١٧٧٢م، وقد اعتمد عليها الشاعر الألماني (جوته) في دراساته ، وسجّل في ملحوظاته أن «القرآن في أسلوبه وأغراضه ومضمونه قويٌّ ومُثمر ، ويمتلك حكمة وحقيقة ، ولا يجوز لأحد أن يتعجب من فاعلية هذا الكتاب وأثره»[1].

٢ - (فريدرش إيبرهارد بويزن F. E. BOYSEN) ، صدرت في مدينة (هالي) الألمانية عام ١٧٧٣م ، ثم أُعيد طبعها عام ١٨٢٨م بعد تنقيحها بواسطة (فريدرش جوتزفال) .

٣ - (لودفيج أولمان L. ULLMANN) ، صدرت ترجمة الكاهن اليهودي (أولمان) عام ١٨٤٠م في (بيلفيد) ، وطُبعت أكثر من خمس عشرة مرة.

٤ - (فريدريش ريكارت F. RUCKERT) ، صدرت عام ١٨٨٨م في (فرانكفورت) ، ثم في (هيلدسهايم) ١٩٨٠م.

٥ - (لازاروس جولد شميدت L. GOLD SCHMIDT) ، صدرت ترجمة الكاهن اليهودي (جولد شميدت) - وهي مثل ترجمة اليهودي (أولمان) تتّسم بالعداء السافر للإسلام كما أنهما غير موثوقتين - في (برلين) عام ١٩١٦م ، ثم في عام ١٩٢٣م ، وفي عام ١٩٣٥م في (أوستراو).

= عاشراً : انعدام التركيز وقلة الاحتراس أثناء الترجمة .

حادي عشر : الحواشي والتعليقات التي كان معظمها غير صائب، أو مثيراً للتشويش والبلبلة في ذهن القارئ، في الوقت الذي أهمل فيه توضيح الكلمات المترجمة الغامضة .

- راجع : حسن عزوزي، ملاحظات على ترجمة معاني القرآن الكريم للمستشرق جاك بيرك، ص ٢٠ - ٦٥، ندوة: «ترجمة معاني القرآن الكريم» بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م .

(١) Rodlph. K., Der Koran in Lichte der Religiansgeschichte, S:٣٠.

٦- (تيودور جريجول T. GREGULL)، صدرت في (هالي) ١٩٠١م، ثم في ١٩٢٤م.

٧- (ماكس هيننج M. HENNING)، صدرت لأول مرة في (فيسبادن) عام ١٩٠١م، وطُبعت أكثر من اثنتي عشرة مرة، وهي أفضل من سابقاتها؛ إلا أنها شملت الأخطاء الغربية التقليدية، وقد أعاد البروفيسور (مراد هوفمان) إخراجها حديثاً بعد تنقيحها وتنقيتها من الأخطاء، وطُبعت في (إسطنبول) بتركيا عام ١٩٩٨م.

٨ - (رودي بارت RUDI PARET)، صدرت بين عامي (١٩٦٣- ١٩٦٦م) وأُعيدت طباعتها لعشرات السنين، فهي من أهمِّ الترجمات الألمانية؛ لما تقدّمه من مرادفات وبدائل لغوية للكلمة الواحدة، وكذلك للمعرفة الواسعة لصاحبها بالمصادر الإسلامية من كتب التفسير والحديث، لكن هذا لم يمنع من تضمّنها مقدمة شملت العديد من المغالطات، كما أدخلت الترجمة تعبيرات ومعاني معينة لربط سياق الكلام على حدّ قوله[1].

وهذه الترجمة لا تكاد تقرأ بسبب كثرة الإضافات والشروح التي وضعها المترجم داخل أقواس تضمّ أقواساً أخرى بدلاً من وضعها في الحواشي أسفل النص المترجم، مما يُدخل القارئ المتخصص في حيرة من عدم استقرار المترجم على رأي واحد أو حول معنى واحد، وبسبب ذلك فُقِدَ جمال النص القرآني وقوته البلاغية في تلك الترجمة الجافة الخالية من كل روح، إلى جانب الغموض والاضطراب الذي يصرف القارئ العامي عن القراءة واستخلاص المعاني.

٩ - (عادل ثيودور خوري ADEL THEODOR KOUHRY)، القس الكاثوليكي اللبناني

---

(١) رودي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ص: ٧٩، دار الكاتب العربي، القاهرة د.ت.
وراجع مقدمة الترجمة:
Der Koran, Uebersetzung von Rudi paret, S : ٦, Verlag Kohlhammer. Sttuttgart ١٩٧٩.

الذي شغل كرسي الأستاذية في عدد من الجامعات الألمانية العريقة واختص في الدراسات الإسلامية ، وقد اعتمد في ترجمته على ترجمة (ماكس هيننج) إلا أنه ضمَّنها ستين صفحة من مختارات الأحاديث النبوية ، لكن هذا يؤدي إلى اختلاط كلام الله بغيره ، ولا يمتنع أن يكون هذا مقصوداً.

وإلى جانب ذلك فإنه يضيف تعليقات تشير إلى مواضع في الكتاب المقدس لدى النصارى وجدها مشابهة لما ورد في النص القرآني، وكأنه أراد بذلك تفسير القرآن الكريم على أساس أن الكتاب المقدس هو أصله ومرجعه.

المبحث الثاني
أهداف ترجمة الغرب للقرآن الكريم

لأن ترجمة القرآن الكريم وُلدت في حضن حركة الصراع النصراني ضد الإسلام فإنها قد غدت أحد جوانب ذلك الصراع، وأحد الشرايين المغذية له؛ لذلك لا يمكن القول بأن ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية كانت بقصد المعرفة الخالصة، أو الفهم المجرد، أو التفاعل والتكامل مع الغير، بل إن الراجح أنها تمّت بقصد معرفة المواطن التي يمكن الوثوب منها عليه، أو البحث عما يمكن أن يكون نقاط ضعف يتم التركيز عليها لقهر الآخر وهزيمته والسيطرة عليه.

فقد كانت الترجمة هي السلاح الجديد الذي سلّه الغرب؛ لمحاربة القرآن، أو منعه من الغلبة، أو تفعيل دوره في الحفاظ على الذات الإسلامية، ويظهر ذلك بوضوح من خلال الأهداف التي دفعت الغربيين للقيام بترجماتهم للقرآن الكريم، وهي تحقيق غرضين، هما: التبشير، والتشويه.

أولاً: التبشير:

كان التبشير هو البديل النصراني للحملات الصليبية الفاشلة في تحطيم العالم الإسلامي أو محوه من الوجود، وأصبح القرآن الكريم موضوعاً للتبشير، وأصبحت ترجمته إلى اللغات الأوروبية أحد الأغراض الأساسية للتبشير.

يقول الألماني (يوهان فوك Johan Fueck): «لقد كانت فكرة التبشير هي الدافع الحقيقي خلف انشغال الكنيسة بترجمة القرآن واللغة العربية، فكلما تلاشى الأمل في تحقيق نصر نهائي بقوة السلاح بدا واضحاً أن احتلال البقاع المقدسة لم يؤدِّ إلى ثني المسلمين عن دينهم بقدر ما أدَّى إلى عكس ذلك، وهو تأثّر المقاتلين الصليبيين بحضارة المسلمين وتقاليدهم ومعيشتهم في حلبات الفكر.

وقبل حدوث واقعة (إيديساس) في شهر ديسمبر من سنة ١١٤٣م، وهي السنة التي رُدّ فيها

الصليبيون على أعقابهم، ظهرت أول ترجمة لاتينية للقرآن في سنة ١١٤٣م، وقد نُسبت إلى مؤلفها الأب (بطرس المبجل) رئيس (دير كلوني)، وكان (بطرس) هذا قد أقلته رحلة عمل إلى أسبانيا سنة ١١٤١م، حيث لم يكتف بالإشراف على أتباع طائفته؛ بل وجدها فرصة سانحة للتعرف على الحوار القائم بين الإسلام والمسيحية، والمعارك الدائرة بين المسلمين والإسبان، والشعار المرفوع لاسترداد بيت المقدس كما جاء في أحد الأناشيد، وسياسة الموحدين الدينية الذين شنّوا هجماتهم على إسبانيا في تلك السنوات.

وقد خرج من ذلك كله بقناعة، بأن لا سبيل إلى مكافحة (هرطقة محمد) بعنف السلاح الأعمى، وإنما بقوة الكلمة، ودحضها بروح المنطق الحكيم للمحبة المسيحية، لكن تحقيق هذا المطلب كان يشترط المعرفة المتعمّقة برأي الخصم أولاً، وهكذا وضع خطة للعمل على ترجمة القرآن إلى اللاتينية»[1].

وكان الأمل الغربي أن تفلح ترجمات القرآن الكريم في تحقيق الغايات التي عجزت عنها الحروب الصليبية والتي لخّصها (رودي بارت Rudi Paret)، قائلاً: «إذا نظر المرء إلى الوراء إلى تاريخ تطوّر الاستشراق ولم يتردّد في التبسيط رغبة في زيادة الوضوح، فإنه يستطيع أن يقول: إن بداية الدراسات العربية والإسلامية ترجع إلى القرن الثاني عشر، ففي عام ١١٤٣م تـمّت ترجمة القرآن لأول مرة إلى اللغة اللاتينية بتوجيه من الأب (بطرس فينيرابيليس) رئيس (دير كلوني)، وكان ذلك على أرض إسبانية، وعلى الأرض الإسبانية، وفي القرن الثاني عشر -أيضاً- نشأ أول قاموس لاتيني عربي، وفي القرن الثالث والقرن الرابع عشر بذل (رايموندوس لالوس) جهوداً كبيرة لإنشاء كراسي لتدريس اللغة العربية، وكان قد تعلّم اللغة العربية على يد عبد عربي.

(١) يوهان فوك، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، ص: ١٤- ١٥، وراجع ص: ٢٢، ٩٠، ٩٨.

- لويس يونغ، العرب وأوروبا، ص: ١٢ - ١٣ .

وكان الهدف من هذه الجهود في ذلك العصر وفي القرون التالية هو التبشير ، وهو إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام واجتذابهم إلى الدين المسيحي»[١].

ولـمّا كانت هذه الغايات ذات بُعْدين أحدهما بعيد المنال وهو تنصير المسلمين ، فإن مساعدة النصارى في الجدل ضد الإسلام بالبحث عن نقاط الضعف في القرآن قد أصبح الغاية المأمولة من ترجمة القرآن[٢].

وهذا ما تضمّنته مسوغات الترجمة التي يقدِّمها الغربيون للقيام بترجماتهم ، وذلك ما نجده كذلك لدى (جورج سال G. Sale) الذي يؤكد على أن الهدف من ترجمته هو تسليح النصارى البروتستانت في حربهم التنصيرية ضد الإسلام والمسلمين ؛ لأنهم وحدهم قادرون على مهاجمة القرآن بنجاح ، وأن العناية الإلهية قد ادّخرت لهم مجد إسقاطه[٣].

ولـمّا أُعيد نشر هذه الترجمة في طبعة جديدة عام ١٨٩٦م بتقديم القس (وهويري Wherry)، أعاد (وهويري Wherry) في تقديمه التأكيد على المعنى نفسه[٤].

ثانياً: التشويه:

يتعلق هذا الهدف بالرغبة الغربية في الحدِّ من تأثير القرآن في هداية غير المسلمين إلى الإسلام بما شمله القرآن الكريم من أصول إيمانية وتشريعية وأخلاقية تلائم الفطرة الإنسانية وتخاطب العقل

---

(١) رودي بارت ، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية ، ص : ٩ .

وراجع كلاً من :

- Trevor- Roher, Hugh, The Rise of Christian Europe, p.١٤٥(١٩٧٣).

- Zwemer S., The Translation of the Quran, The Muslim World,. P. ٢٩٥ا٥.

(٢) ر. و. سذرن، نظرة الغرب إلى الإسلام، ص : ٥٧ .

(٣) أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، ص : ٣٥، المنتدى الإسلامي، لندن ١٤١١هـ .

(٤) السابق، ص : ٣٦ .

والوجدان الإنساني خطاباً عقلياً واقعياً مقنعاً ، مما لا يجدي تجاهه إلا عدم التخلية بين القرآن وبين العقل والوجدان الغربي ، وذلك بخلق حاجز نفسي عميق أمام القرآن بواسطة الترجمات ، أشار إليه الأب (روبير كاسبار PATER:ROBERT CASPAR) في مداولات مؤتمر الفاتيكان الثاني بقوله: «الغرب المسيحي قد اكتفى لمدة قرون طويلة بتلطيخ الإسلام ومؤسسه بأسخف الأقوال ، دون أن يكلِّف نفسه عناء دراسة هذه العقيدة ، فأول ترجمة لاتينية للقرآن لم تظهر إلا في القرن الثاني عشر ، أي : بعد خمسة قرون من ظهور الإسلام ، وقد تمّت بناءً على مبادرة من (بطرس المبجل) وتحت إشراف (دير كلوني) ، ولا بد لنا هنا من إضافة:

إن هذه الترجمة وكل الترجمات التي تلتها لم يكن لها أيّ هدف آخر سوى أن تكون الأساس لتوجيه المزيد من الإدانات ضد القرآن ، تلك الإدانات التي امتدت سلسلتها على مدى قرون تتناثر عليها بعض أشهر الأسماء»(١).

ولتشكيل هذا الحاجز النفسي العميق الحائل بين القرآن الكريم وبين غير المسلم عمدَ الغربيون في ترجماتهم إلى عدة وسائل ، أهمّها:

أ ـــ عنونة الترجمات:

وضع المترجمون على أغلفة ترجماتهم للقرآن الكريم عنوانات تشكل بذاتها مادة في الجدل ضد القرآن ، حيث تحاشت عقد أية صلة بين القرآن الكريم وبين الوحي السماوي، وأبقت على النص المترجم كتاباً طائفياً لمؤلِّف عربي.

لقد وضع المترجمون لأجل ذلك عنوانات ، مثل(٢):

---

(١) C . W. Troll, Der Islam im Verstaendnis der Katholischen Theologie, S: ٥٤, Bamberger T. Forum . Muenster ٢٠٠٣ .

(٢) راجع البيليوغرافيا العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم .

١ - القرآن أو قانون المسلمين لمحمد بن عبد الله.

(ترجمة فريدرش إيبرهارد بويسن F. E. BOYSEN).

٢ - قوانين الأتراك[1] أو قرآن محمد.

(ترجمة يوهان لانج YOHAN LANG).

٣ - وفي طبعة عام ١٦١٦م أسماه:

«قرآن محمد: القرآن التركي ؛ ديانة وخرافات».

٤ - مسامرات محمد.

(ترجمة لين بول LIEN PULL).

٥ - قرآن محمد.

(ترجمة الكسندر روز A. ROSS) ، (ترجمة دي ريور DE RYER).

٦- أخلاق الشرق الممثلة في قرآن محمد.

(ترجمة جوزيف تيلا JOSEF TIELA).

٧ - محمد ومؤلَّفه.

(ترجمة فريدرش داومر F. DAUMAR).

٨ - الكتاب المقدس التركي.

(ترجمة دافيد ميجرلن DAVED MEGERLIN).

ب ــــ المقدمات والملاحق:

(١) ترجع إضافة الغربيين القرآن للأتراك؛ إلى أن الأتراك كانوا هم المسلمين المعاصرين للأوروبيين، وتحتلّ قوّاتهم أجزاء من أوروبا وتهدّد بقيتها .

أضاف المترجمون إلى نصوص ترجماتهم للقرآن الكريم مقدمات تفسيرية وملاحق شارحة ليست لمضمون النص المترجم، بل إنها طعون في أصالته، وسخرية من محتواه، ومحاولات للحطِّ من قدره.

فقد تضمّنت الترجمة اللاتينية الأولى (ترجمة دير كلوني) عدداً من المقدمات والملاحق سُمّيت بمجموعة «دير كلوني»، وهي[1]:

١ - خطاب بطرس إلى بيرنهارد (القديس برنار دي كليوفر).

٢ - مجموعة مختصرة من الوثائق الشيطانية المضادة للطائفة الإسلامية الكافرة.

٣ - مقدمة روبرت الرتيني.

٤ - (تعاليم محمد) لهرمان الدالماني.

٥ - تاريخ المسلمين (أخبار المسلمين المعيبة المضحكة).

ولـمّا انتهى الكاردينال (يوحنا السقوفي JOHN OF SEGOVIA) الإسباني (ت١٤٥٦م) من ترجمة القرآن إلى اللاتينية ألحق بالترجمة جدلية ضد الإسلام بعنوان: (طعن المسلمين بسيف الروح)[2].

وشملت ترجمة القس (ماراتشي MARRACCI) قسمين: أولهما: نص القرآن مع ترجمته اللاتينية وحواشي جزئية للردّ على بعض المواضع، والثاني: كتاب الرائد إلى الرد على القرآن[3].

وتضمّنت ترجمة (جورج سيل G. SALE) مقدمة جدلية ضد القرآن وُصفت في أدبيات التنصير

---

(١) يوهان فوك، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، ص: ١٧.

(٢) راجع قصة هذه الترجمة لدى الألماني (هانبت) في مقاله: «حوار يوحنا الأشقوبي مع نيكلاوس القوسي وجيان الجرماني حول الثالوث المقدس وإعلانه بواسطة (المحمدين)».

MTHZ ٢(١٩١٥) s: ٥, ١١٥ – ١٢٩.

(٣) عبد الرحمن بدوي، موسوعة الغربيون، ص: ٣٠٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٩م.

بأنها قيِّمة وأنها أفضل وصف موضوعي للإسلام(١). وقد أصبحت هذه المقدمة إحدى الجدليات الأساسية التي يعتمد عليها التنصير في الجدل ضدّ أصالة القرآن الكريم(٢).

وقد تبنّت هذه المقدمة رؤية المستشرق الإنجليزي القس (إدوارد بوكوكيوس) صاحب أول كرسي للغة العربية في أكسفورد، والتي طرحها في كتابه «تاريخ العرب» الذي كان متحاملاً فيه على القرآن والرسول إلى أبعد مدى ممكن، وقد استمرت هذه الرؤية مسيطرة على مقدمات ترجمات القرآن الكريم قرناً كاملاً(٣).

فنجدها في المقدمة المزدوجة لترجمة (رودول RODWELL) حيث كرّر المستشرق القس (مرجليوث ورودول) صاحب الترجمة التأكيد على أن النبي محمداً ﷺ هو مؤلف القرآن، وأن القرآن قاصر من الناحية الأخلاقية، وأن المصادر التي اقتبس منها القرآن هي معلومات مغلوطة ألّف منها محمد ﷺ مادته (٤).

وبدءاً من ترجمات القرن العشرين؛ نَحَت مقدماتُ الترجمات منحى التشكيك في سلامة نقل النص القرآني:

فمقدمة (ماكس هيننج MAX HENNING) الألماني تنص على: أن القرآن لم يستقر في شكله النهائي إلا بعد عشرين عاماً في عهد عثمان، وأن تقسيم السور والآيات يعود لنسخة عثمان(٥).

---

(١) أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، ص: ٣٥ - ٣٦.

(٢) إبراهيم خليل أحمد، المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، ص: ٥٨، مكتبة الوعي العربي، القاهرة، ١٩٦٤م.

(٣) يوهان فوك، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، ص: ١٠٩، ٩٠ - ٩٣.

(٤) أحمد إبراهيم مهنا، دراسة حول ترجمة القرآن الكريم، ص: ٨٤ - ٩٥، مطبوعات الشعب، القاهرة، د. ت.

(٤) Max Henning, Der Koran, s: ٥٢, VMA – Verlag. Wiesbaden.

ويشكك مواطنه (رودي بارت RUDI PARET) في أصالة ترتيب الآيات القرآنية على النحو الموجودة عليه في المصحف الآن ، ويذهب إلى أن هناك احتمالين ، أحدهما : أنها رُتّبت على هذا النحو فيما بعد ، والثاني : أنها جاءت مصادفة باجتماعها فرادى أو في مجموعات لتكوِّنَ النص القرآني [١].

كما يشكك الفرنسي (بلاشير BLACHERE) في سلامة تدوين القرآن أيام النبي ﷺ ويرى سقوط آيات كثيرة منه ، وفي أيام أبي بكر - رضي الله عنه - لم يتم الجمع بطريقة علمية فوقعت الزيادة والنقصان والاختلاف في بعض الآيات ، أما الجمع في أيام عثمان فقد نتج عنه الاختلاف في قراءته، وفي المرحلة الرابعة تمَّ حذف بعض الآيات التي تمجّد علياً وأهل بيته [٢].

أما الفرنسي (جاك بيرك JACQUES BERQUE) صاحب أحدث ترجمة معاصرة فقد كاد في مقدمته أن يجمع كل المطاعن والشبهات حول القرآن الكريم ، حيث تضمّنت مقدمته الشبهات التالية[٣]:

١- عدم وجود نسخة مكتوبة لكتاب الله إلا في عهد عثمان ، أما عمليات الجمع فكانت من الأفواه وذاكرة الصحابة.

٢- القرآن اقتبس من حكايات الإنجيل وتابعه.

---

(١) Der Koran Uebersetzung von Rudi Paret, s : ٥.

(٢) أوردَ (بلاشير) ذلك في مدخله إلى القرآن الكريم، ثم لخّصه بشكل مبتسر في مقدمته للقرآن الكريم .
- راجع في ذلك : ساسي الحاج ، الظاهرة الاستشراقية، ص : ٣٧٥ - ٣٧٦، ومقدمة الترجمة ص ٨٦.

(٣) راجع مقدمة ترجمة (جاك بيرك) لدى رجب البيومي، إعادة قراءة القرآن، ص : ٣٤ - ١٥٠ .
- وراجع كذلك : حسن بن إدريس عزوزي ، ملاحظات على ترجمة معاني القرآن الكريم للمستشرق جاك بيرك ، ص ٨- ١٧، ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

٣ - المصدر الثاني للقرآن بعد الإنجيل كان قصص التوراة.

٤ - تمَّ تنقيح لغة القرآن في عهد عثمان بما يلائم ظروف التطور اللغوي.

٥ - أدَّى ترتيل القرآن وتجويده إلى اختلاف معانيه.

٦ - وجود أخطاء نحوية بالقرآن عجز المفسرون عن الدفاع عنها.

٧ - تصطبغ بعض الآيات بطابع الإنشاد في الشعر الجاهلي.

٨ - عدم صلاحية القرآن للتشريع والتقنين الدقيق.

٩ - إشارة القرآن إلى أن الدين الحق يشمل اليهودية والنصرانية.

ولا يستقيم هذا التشكيك في سلامة نقل النص القرآني ممن تصدى لترجمة كتاب الله (حتى لو كان يجهل السنة النبوية)، إذ يعني ذلك أنه يجهل كذلك أو يتجاهل حقيقة «حفظ القرآن الكريم: شفاهة وكتابة» ذلك الحفظ الرباني الذي تقرر في القرآن وتكفَّل الله - تعالى - نفسه بتحقيقه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وذلك في مراحل ثلاث شملت أطوار عملية التنزيل مكتملة إلى أن أصبح القرآن مصحفاً بيد الناس، وهي[١]:

---

(١) راجع تفصيلات هذه المراحل لدى الشيخ علي العبيد في الدراسة الحديثة المنشورة بعنوان (جمع القرآن الكريم حفظاً وكتابة) ضمن بحوث ندوة: «عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه» المنعقدة بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في الفترة من (٣ - ٦) رجب ١٤٢١هـ الموافق (٣٠ سبتمبر - ٣ أكتوبر ٢٠٠٠).
وراجع كذلك:
- محمد سالم محيسن، تاريخ القرآن الكريم، ص: ١٢٧ ـ ١٦٤، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي (١٥)، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

١ــــ الحفظ في السماء :

وهو الحفظ في اللوح المحفوظ : ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١-٢٢]، واللوح المحفوظ هو الكتاب المكنون الذي أودع الله - تعالى - القرآن فيه، وأقسم على هذه الحقيقة بقسم يتضمن إشارة علمية إلى إحدى آيات الله الكونية : ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٠]، فهذا الكتاب المكنون مستور عن الأعين لا يطلع عليه إلا الملائكة المقربون، ولا يمسّه إلا الملائكة الأطهار. قال - تعالى -: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٣-١٦].

٢ــــ الحفظ في الطريق من السماء إلى الأرض:

فقد أُوكل بتنزيله من السماء إلى الأرض مَلَكٌ مطهر أمين على حفظه قويّ على ذلك وقادر عليه هو جبريل - عليه السلام - المسمَّى بأمين الوحي، قال - تعالى - : ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥] وقال - تعالى - : ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢١].

- الدراسة التصحيحية لأخطاء دائرة المعارف الإسلامية في لايدن، والتي نشرتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، بعنوان : «القرآن الكريم . دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية»، ص : ٥٩ - ٧٢ .

ثـم أُمِّـن طريـق النـزول ، فأُقـصيت عنـه الـشياطين المتلصّـصة : ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصافات: ٦ - ٩].

٣ ــــ الحفظ على الأرض:

وقد تمّ حفظه على الأرض بثلاث وسائل تكفّلت بحفظه في الصدور وفي السطور:

الأولى : جمعه في صدر النبي ﷺ وبيانه لـه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩].

وبعد الجمع في الصدر ، تمّ تثبيته في الصدر وحفظه مـن النسيان ، قـال - تعـالى - : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦].

الثانية : تـدوينه وكـتابته بواسطة كُتّـاب الوحي المعـروفين ، فقد ورد الحديث عـن القـرآن في قولـه - تعالى - : ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: ٢] ، و (الكتاب) تدل على أن القرآن كان مكتوباً مدوّناً بالأقلام[1].

وأثبت القرآن صفة الكتاب لما يتلوه النبي ﷺ مـن كـلام ربـه: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة: ٢ - ٣].

الثالثة : تيسيره للـذّكر، وقـد أكّـد الله - تعـالى - ذلـك في قولـه الـذي أورده أربـع مـرات في سـورة واحدة، وهـو قولـه - سـبحانه وتعـالى -: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧،

---

(١) محمد عبدالله دراز، النبأ العظيم، ص : ١٢ - ١٣، دار القلم، الكويت ، ١٣٩٠هـ .

٢٢، ٣٢، ٤٠] ، وذلك بجمعه في مصحف واحد ذي حصانة بالغة من التبديل أو البطلان كي تحقق له العزة التي وصفه الله بها، قال - تعالى - : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت: ٤١ -٤٢].

وقد تمَّ ذلك الجمع المصحفي في عهد خليفة رسول الله أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ، فكتب القرآن الكريم في مصحف واحد مسلسل الآيات ومرتّب السور ، مجموع من مدوَّنات كتّاب الوحي من إملاء النبي ﷺ بعد شهادة شاهدَيْن على كتابته بين يديه ﷺ ، موافق لما في صدور الحُفّاظ ، مطابق لما ثبت في العرضة الأخيرة من قراءة الصحابي زيد بن ثابت -رضي الله عنه- على النبي ﷺ في العام الذي توفي فيه.

ثم في عهد الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - تمّ نسخ هذا المصحف المجموع في عهد أبي بكر -رضي الله عنه- وتوزيعه على الأمصار للقراءة وفق رسمه في العرضة الأخيرة دون تكرار للكلمات ، بل بما تحتمله الكتابة غير المشكَّلة وغير المنقوطة.

ج ـــ التلاعب بالترجمة:

بدأ تلاعب الغربيين بترجمات القرآن الكريم بتصدِّي غير المؤهلين منهم لهذا العمل غير الهيِّن ، فقام مترجمون من الدرجة الثانية والثالثة بهذه المهمة الجليلة ، كما عامل هؤلاء المترجمون النص القرآني معاملة المؤلفات البشرية ، ولم تكن هذه المعاملة موضوعية علمية بل كانت معاملة غير أمينة، كذلك كان هدفها ليّ النص وتمزيقه؛ كي يكون مولودها مشوهاً يلائم مهمته غير النبيلة التي لم يخفها المترجمون.

يقول موريس بوكاي: «لا يتحدث أكثر المستشرقين عن الإسلام ولا يصورونه على ما هو عليه في الحقيقة ، ولكنهم يعرضونه في الصورة التي يتصورونها ويريدونها له.

ومن ثمَّ فإنهم يترجمون القرآن على الوجه الذي يرضي أهدافهم نحو الإسلام.

فإذا أجريت مقارنة بين النص القرآني العربي، وبين كثير من الترجمات الاستشراقية رأيت الشاهد واضحاً لما ذكرناه»[١].

فهذا (جون السيقوفي) يهدف من وراء ترجمته إظهار القرآن للناس متناقضاً مضطرباً يحوي أخطاء وآثار تراكيب مؤلَّفة؛ لأن ذلك يقنع أيّ امرئ بأن القرآن ليس كلام الله، وكان يرى إمكانية تحقيق ذلك من خلال الترجمة المحرفة الكفيلة وحدها ببيان الاضطراب المزعوم في القرآن[٢].

كما أن الصحف البلغارية تنوِّه بالترجمة المشوّهة التي قام بها (أرنسي ماكس هوبه)، قائلة: «لقد فعلها ذلك الألماني (هوبه)، وسنفصل المسلمين عن قرآنهم بترجمتنا البلغارية الجديدة»[٣].

ويعدد (صالح البنداق) وجوه تلاعب الغرب في الترجمة، فيذكر منها[٤]:

١ - إزاحة الآيات من مكانها التوقيفي لتضليل القارئ وإبعاده عن الإحاطة بحقيقة النص القرآني.

٢ - عرض النص كما يراه المترجم لا كما تقتضيه آياته وألفاظه، مما ترتب عليه تحريف المعاني وتبديلها.

٣ - التقديم والتأخير والحذف والإضافة.

---

(١) موريس بوكاي، الأفكار الخاطئة التي ينشرها الغربيون خلال ترجمتهم للقرآن الكريم، محاضرة ألقيت بالجامعة= =المحمدية بإندونيسيا في ٩/ ١٢/ ١٩٨٥م.

راجع: مجلة الأزهر، عدد رمضان ١٤٠٦هـ - مايو، يونيه ١٩٨٦م، ص: ١٣٦٨.

(٢) ر. و. سذرن، نظرة الغرب إلى الإسلام، ص: ١٠٤.

(٣) نقلاً عن: حسن المعايرجي، المحرفون للكلم، ص: ٨٤.

(٤) محمد صالح البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، ص: ١٠١ - ١٠٨، دار الآفاق الجديدة، ط٢، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

د ـــ المحاكاة والتقليد:

يهدف الغربيون من محاولة محاكاة القرآن وتقليد سوره إلى تكريس فكرة بشرية النص القرآني التي تجعل نصه قابلاً للمشاكلة، وقد برز في هذا المجال من الغربيين القس الإسباني الدومينيكاني (رايموندوس مارتيني) الذي تهجّم على القرآن الكريم من خلال تقليد إحدى سوره[١].

فقد وضع نصاً بالعربية غاية في السقم والركاكة والغثاثة لظنِّه أن ميزة القرآن الكريم الوحيدة هي توافق آياته في أحرفها الأخيرة، قال فيه[٢]:

(بسم الله الغفور الرحيم، أعارض قرآن مَنْ آخر اسمه الدال وأوله الميم، بلسان فصيح عربي مبين، لا يمنعني منه سيف ولا سكين، إذا قال لي بلسان الإلهام سيدُ المرسلين: قل المعجزة لا شريك فيها لرب العالمين وفي الفصاحة يشترك كثير كثيرين يغلب فيها أحياناً الصالح الطالح والكافر المؤمنين، فليست الفصاحة ولو في النهاية آية ولا معجزة اللهمّ إلا عند الذين أوطاهم عشوة معلم مجنون حتى قالوا عنه خاتم الأنبياء وسيد المرسلين مع أنه بإقراره في سورة الأحقاف لم يدر قط ما يُفْعل به ولا بتباعه أجمعين أكتعين، فقل يا مَنْ اسمه رمند ولقبه مرتين: آهٍ، لقوم يقبل الباطل والخرافات والترهات كأنها اليقين، وإن كنتم في شك مما ألهمنا إليه عبدنا يا معاشر المسلمين فأتوا بحلِّ هذه الحجة، وبمثل هذه السورة، وادعوا لذلك إخوانكم من الجن إن كنتم مهتدين، فإن لم تقدروا، ولن تقدروا فقد زهق الباطل وانتقام اليقين والحمد والشكر لله. آمين، آمين).

---

(١) يوهان فوك، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، ص: ٢٥.

(٢) قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعال، ص: ٩٠، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

المبحث الثالث

مناهج الغربيين في ترجمة القرآن الكريم

إذا كانت دقّة النتائج في أية دراسة تتوقف على سلامة المنهج المتّبع في بحثها ، فإن سلامة المنهج في الترجمة هي الأساس للاطمئنان إلى ترجمة ما ، ومن ثمَّ قبولها أو ردّها.

فهل كان منهج الغربيين في ترجمة القرآن الكريم منهجاً علمياً ملائماً للوصول إلى نصٍّ قريب من المعاني المرادة للنص الأصلي؟

أجاب (موريس بوكاي) عن هذا السؤال بالنفي القاطع ؛ قائلاً: « وإذا أمعنت النظر في طرائق الغربيين لترجمة القرآن ، علمت أنه من غير الممكن أن تحصل على واحدة يُطْمَأَنُّ إليها بين ترجماتهم»[١].

أما القواعد المنهجية التي اتّبعها المترجمون في ترجماتهم وقادت إلى هذه النتيجة المؤسفة، فتتمثّل في :

أولاً: محاولة ترجمة النص وليس المعنى:

يبدو التزام المترجمين بهذه القاعدة واضحاً من استعراض أسماء الترجمات التي حملتها طبعاتهم ، فباستثناء ترجمة (آربري) التي حملت اسم « القرآن مفسراً» تكاد الترجمات الغربية تجتمع على عنونتها بـ «القرآن» أو « ترجمة القرآن»[٢].

ولا يقتصر الأمر على عنوانات الترجمة ، بل يذكر بعض المستشرقين في مقدمات ترجماتهم: أنهم يترجمون النص القرآني وليس معانيه.

---

(١) موريس بوكاي، الأفكار الخاطئة التي ينشرها الغربيون خلال ترجمتهم للقرآن الكريم، ص : ١٣٦٩ .

(٢) إدراكاً منا لهذه القاعدة المنهجية الفاسدة التي التزمها الغربيون في ترجماتهم جاءت تسمية هذا الفصل بـ «الغرب وترجمة القرآن الكريم» وليس بـ « الغرب وترجمة معاني القرآن» ولهذا أيضاً وُسمت حركة الترجمات في خاتمة الفصل بـ «الجهل والتشويه» .

جاء في مقدمة (ن. ج. داود) لترجمته المنشورة بعنوان: (The Koran A new Translation) عام ١٩٥٦م في لندن في سلسلة (The Penjuin Classics):

«وفي إعداد هذه الترجمة الجديدة قصدتُ أن أقدِّم للقارئ نسخة من القرآن بالإنجليزية المعاصرة... وأمددت القارئ بهوامش تفسيرية تفادياً لقلب النص إلى تفسير بدلاً من ترجمة»(١).

ويقول (جاك بيرك) في مقدمة ترجمته: « تعمّقتُ من خلال دراساتي المتواصلة والمستمرة بحيث أكون في مستوى ترجمة النص، ولكي لا يحدث أي تقصير في النص الفرنسي الذي يتوخى تقديم القرآن الكريم بكل أبعاده اللغوية والروحية إلى لغة أخرى»(٢).

وهذا النهج الذي سلكه المترجمون يصادم ثوابت عقدية وفكرية وتاريخية ولغوية:

فمن الناحية الفكرية: لا يرى أيُّ مفكر مسلم إمكانية محاكاة النص القرآني. كما تقوم العقيدة الإسلامية على الإيمان بالقرآن الكريم كتاباً فريداً معجزاً في جميع جوانبه لجميع البشر عربهم وعجمهم. وتاريخياً: ثبت عجز العرب - أهل الفصاحة والبلاغة - عن إجابة التحدي القرآني لهم بأن يأتوا بسورة ليس من طبيعة النظم القرآني بل من مثيله أو مما يقاربه.

أما من الناحية اللغوية: فإن عجز العربية بثرائها عن المجيء بمثل سورة من القرآن لَيَستلزم عجز غيرها من اللغات، وذلك لأسباب كثيرة، منها: غنى العربية بالمفردات والمترادفات مما ليس له مثيل في اللغات الأخرى، ومنها: اختلاف بناء الجملة في العربية عنه في اللغات الأوروبية، وكذلك النظام اللغوي من حيث الضمائر والتذكير والتأنيث والإفراد والجمع، ناهيكَ عن الأساليب البلاغية، والنظام الصَرْفي والصوتي في العربية الذي يسمح لبعض التراكيب ببعض الخصائص التعبيرية التي

(١) أحمد إبراهيم مهنا، دراسة حول ترجمة القرآن الكريم، ص: ٣٧.

(٢) سعيد اللاوندي، إشكالية ترجمة القرآن الكريم، ص: ٩٨.

تتجاوز المعاني المعجمية.

ولو فُرض وجود لغة تعادل العربية في ثرائها وأساليبها يتبقى العجز عن محاكاة النص القرآني بسبب مضمونه الإلهي الذي يفوق قدرة الخلق أجمعين.

ثانياً: إغفال النص العربي في الترجمة:

يشكّل هذا النهج الغربي أكبر عائق أمام استحقاق أعمال المترجمين اسم الترجمة؛ لأن بدهيات الترجمة تعني الانطلاق من الأصل المترجم. لكن فكرة التبشير التي كانت وراء ترجمة القرآن الكريم، وكذلك الحرب ضد الإسلام والمسلمين لم ترَ دراسة أصل المصادر ضرورية واكتفت بالاعتماد على الترجمات الأوروبية السابقة في إنجاز الترجمات الجديدة التي ما لبث أن عبَّر الفرنسيسكاني (روجر بيكون) عن عدم قناعته بها [1].

ومن ثم فإن الترجمات الغربية للقرآن في المرحلة الأولى كانت ترجمة لترجمة (دير كلوني) أو للترجمتين الوسيطتين (ترجمة دي ريور الفرنسية، وترجمة أندريا أريفابيني الإيطالية)، وفي المرحلة الثانية كانت الترجمات الغربية عبارة عن ترجمة لترجمة القس (لودفيجو ماراتشي) أو وسيطتها (ترجمة جورج سال الإنجليزية).

ويعني ذلك أن الأصل القرآني ظلَّ مُغْفلاً بشكل كليٍّ طيلة سبعة قرون، ولما حلّ القرن التاسع عشر أصبح مُغْفلاً بشكل جزئي.

وإلى جانب هذه العوامل التبشيرية فإن بعض المترجمين كانت لهم أسباب خاصة أدّت بهم إلى إغفال الأصل القرآني، مثل: المستشرق (آرثر. ن. ولاستون) الذي صرّح باطّلاعه على مضمون

---

(١) يوهان فوك، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، ص: ٢٢.

القرآن الكريم عن طريق الترجمات الإنجليزية والفرنسية بسبب جهله باللغة العربية [١].

ثالثاً: إعادة ترتيب سور القرآن:

رغم أن أبجديات الترجمة تعني التزام المترجم نقل نظام المادة المترجمة وترتيبها كما جاءت في الأصل، وذلك في النص الإنساني ناهيكَ عن صرامة هذا الالتزام في الكتب المقدسة، لكنْ المترجمون الغربيون تجاوزوا هذا الالتزام، وراحوا يعيدون الترتيب القرآني للسور، فنزعوا نزعات شتى في ترجماتهم، وسلكوا مسالك عدة، أثمرت أنظمة وهياكل مختلفة لترتيب السور القرآنية، وكأن المترجَم عدة كتب مختلفة وليس كتاباً واحداً.

وقد تبلورت نزعات الترجمات الغربية في إعادة ترتيب السور القرآنية في الأنساق التالية:

أ ـــ الترتيب المصحفي المأثور:

التزم به بعض المترجمين، مثل: (جورج سال، آرثر آربري).

ب ـــ ترتيب السور وفق النزول:

ترجمة (إدوارد بالمر)، ترجمة (جون رادويل)، ترجمة (ريتشارد بل).

ج ـــ الترتيب التاريخي وفق مراحل الدعوة:

بدأ هذه المحاولة المستشرق الألماني (تيودور نولدكه) في كتابه الشهير «تاريخ القرآن» عام ١٨٦٠م، وتبعه مواطنه (شيفالي) في كتابه «تاريخ القرآن» عام ١٩٠٩م، ومن قبله الإنجليزي (وليم موير) في الجزء الثاني من كتابه «حياة محمد» عام ١٨٩٦م.

(١) عبد الله الندوي، ترجمات معاني القرآن الكريم، ص: ٧٣.

وقد اعتمد هذا الترتيب التاريخي (ريجيس بلاشير) في ترجمته عام ١٩٤٩م، يقول (بلاشير) في مقدمة ترجمته: « السور القرآنية تنقسم إلى أربع مجموعات توافق فترات رسالة محمد الأربع المتلاحقة، وقد جعلنا - مستندين إلى البراهين - ضمن نصوص فترة الدعوة الأولى السور التالية....»[1].

ثم يذهب (بلاشير) يرتب سور القرآن ترتيباً تاريخياً إلى أربع مراحل[2]:

ـــــــ المرحلة المكية الأولى، وتضم سور:

١- العلق (الآيات ١-٥)، ٢- المدثر (الآيات ١-٧)، ٣- قريش، ٤- الضحى، ٥- الانشراح، ٦- العصر، ٧- الشمس، ٨- الماعون، ٩- الطارق، ١٠- التين، ١١- الزلزلة، ١٢- القارعة، ١٣- العاديات، ١٤- الليل، ١٥- الانفطار، ١٦- الأعلى، ١٧- عبس، ١٨- التكوير، ١٩- الانشقاق، ٢٠- النازعات، ٢١- الغاشية، ٢٢- الطور، ٢٣- الواقعة، ٢٤- الحاقة، ٢٥- المرسلات، ٢٦- النبأ، ٢٧- القيامة، ٢٨- الرحمن، ٢٩- القدر، ٣٠- النجم، ٣١- التكاثر، ٣٢- العلق (الآيات ٦-١٩)، ٣٣- المعارج، ٣٤- المزمل، ٣٥- الإنسان، ٣٦- المطففون، ٣٧- المدثر (الآيات ٨-٥٥)، ٣٨- المسد، ٣٩- الكوثر، ٤٠- الهمزة، ٤١- البلد ٤٢- الفيل، ٤٣- الفجر، ٤٤- البروج، ٤٥- الإخلاص، ٤٦- الكافرون، ٤٧- الفاتحة، ٤٨- الفلق، ٤٩- الناس.

ـــــــ المرحلة المكية الثانية، وتضم سور:

٥٠- الذاريات، ٥١- القمر، ٥٢- القلم أو نون، ٥٣- الصافات، ٥٤- نوح، ٥٥- الدخان، ٥٦- ق، ٥٧- طه، ٥٨- الشعراء، ٥٩- الحجر، ٦٠- مريم، ٦١- ص، ٦٢- يس، ٦٣- الزخرف، ٦٤- الجن، ٦٥- الملك، ٦٦- المؤمنون، ٦٧- الأنبياء، ٦٨- الفرقان، ٦٩- النمل، ٧٠- الكهف.

---

(١) مقدمة ترجمة القرآن لـ (بلاشير)، بترجمة: محمد العبيدي، ص: ٨٦، بحولية كلية الآداب، الجامعة التونسية.

(٢) راجع المقدمة المذكورة، ص: ٨٦ - ١٠٤.

ـــــ المرحلة المكية الثالثة ، وتضم سور:

٧١ - السجدة ، ٧٢- فصلت ، ٧٣ - الجاثية ، ٧٤ - الإسراء ، ٧٥- النحل ، ٧٦- الروم ، ٧٧- هود ، ٧٨- إبراهيم ، ٧٩- يوسف ، ٨٠ - غافر ، ٨١ - القصص ، ٨٢ - الزمر ، ٨٣ - العنكبوت ، ٨٤ - لقمان ، ٨٥ - الشورى ، ٨٦ - يونس ، ٨٧- سبأ ، ٨٨ - فاطرأو الملائكة ، ٨٩ - الأعراف ، ٩٠- الأحقاف ، ٩١- الأنعام ، ٩٢- الرعد.

ـــــ المرحلة المدنية، وتضم سور:

٩٣- البقرة ، ٩٤- البينة ، ٩٥- التغابن ، ٩٦- الجمعة ، ٩٧- الأنفال ، ٩٨- محمد ، ٩٩- آل عمران ، ١٠٠- الصف ، ١٠١- الحديد ، ١٠٢- النساء ، ١٠٣- الطلاق ، ١٠٤- الحشر ، ١٠٥- الأحزاب ، ١٠٦- المنافقون ، ١٠٧- النور ، ١٠٨- المجادلة ، ١٠٩- الحج ، ١١٠- الفتح ، ١١١- التحريم ، ١١٢- الممتحنة ، ١١٣- النصر ، ١١٤- الحجرات ، ١١٥- التوبة ، ١١٦- المائدة.

وقد أصبح القرآن وفق هذا الترتيب (١١٦) سورة بدلاً من (١١٤)، حيث قسّم سورتي العلق والمدثر إلى أربع سور، وهو ما لا يعرفه المسلمون على مرّ الدهور.

وهذا الترتيب الغربي صحيحه ليس جديداً وجديده ليس بصحيح ، فقد سبق الغربيين إليه أبو القاسم الحسن بن حبيب النيسابوري في كتابه (التنبيه إلى أفضل العلوم القرآنية) إذ يقول: «إن أحد أشرف العلوم القرآنية هو نزوله ، ومواضعه ، وترتيب ما نزل بمكة ؛ ابتداؤه ووسطه ونهايته ، وترتيب ما نزل بالمدينة»[1].

د ـــــــ الترتيب الشاعري:

وهو أبرز علامات الانفلات المنهجي في الترجمات الغربية ، حيث حاول اليهودي (داود) في

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (١ / ١٩٢): بتحقيق، محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٧م .

ترجمته الإنجليزية (عام ١٩٥٦م) أن يضع ترتيباً خاصاً لسور القرآن، لم يلتزم فيه بالطبع الترتيب المصحفي المأثور، كما خالف فيه ترتيب النزول والترتيب التاريخي الذي عمل به بعض الغربيين، واعتمد ترتيباً غريباً مداره على أمرين، أحدهما: قصر السور وطولها، والثاني: شاعرية السور، فبدأ ترجمته بالسورة القصيرة والأكثر شاعرية، ثم الأطول والأقل شاعرية... وهكذا، وسوّغ سبب اعتماده هذا الترتيب برغبته عدم صدمة القارئ بالسور الطويلة كالبقرة والنساء، وبرغبته في تهيئة القارئ تدريجياً[1].

وقد ترتّب على هذا الأساس المنهجي في الترجمة نتائج غير علمية، وذلك بسبب:

١- مخالفتها الواقع التاريخي، مثل: ترجمة (بلا شير) التي جعلت سور القرآن (١١٦) سورة بدلاً من (١١٤) سورة، وهو عدد السور المصحفي الذي يجمع عليه المسلمون طيلة خمسة عشر قرناً من الزمان.

٢- خروجها عن الموضوعية العلمية التي تُلزم بمراعاة النص المكتوب سواء أكان ترجمة أم بحثاً، ومن جهة أخرى تفتح باباً لا يغلق أمام دور الهوى والذوق الشخصي في التصرف في العمل العلمي.

٣- افتعال مشكلة أمام النص القرآني لم يعرفها تاريخ علوم القرآن، وهو ما يسمى بالمشكلات الزائفة، ذلك أن ترتيب النزول لم يكن يوماً باعثاً على التناقض بسبب مخالفته للترتيب المصحفي التوقيفي إلا من وجهة النظر الغربية، ويستبين ذلك من توجيهات النبي ﷺ إلى كتبة الوحي بوضع الآية في مكانها من السورة المعينة ثم رُتِّبت سور القرآن شفاهة في حياته ﷺ، وفي العام الذي توفي فيه عرض زيد بن ثابت - رضي الله عنه - على النبي ﷺ قراءة كل القرآن مرتباً كما هو في المصحف اليوم.

---

(١) فهد الملك، نظرات في قضية ترجمة معاني القرآن الكريم، ص: ٣٣، مجلة البيان، العدد ٩٦ (المنتدى الإسلامي بلندن).

- أحمد مهنا، دراسة حول ترجمة القرآن الكريم، ص: ١٣٧.

فترتيب النزول أشبه بما يكون بإمداد الهداية البشرية لمن يطلبها في الوقت الذي تقتضيها الحاجة ؛ لأن المجتمع البشري كان أشبه بما يكون بالجسم المريض، فبقدر الداء الذي تمكن منه بقدر ما كان نزول القرآن موافقاً للعلاج[1] .

(١) محمد حسين أبو العلا ، القرآن وأوهام مستشرق ، ص : ٢٩، المكتب العربي للمعارف ، القاهرة ، ١٩٩١م .

المبحث الرابع

خصائص الترجمات الغربية للقرآن الكريم

لعلَّ البواعث والدوافع الغربية وراء ترجمة القرآن الكريم، وكذلك المنهج الذي اتّبعه الغربيون في إنجاز ترجماتهم يحددان إلى مدى بعيد سمات الترجمات الغربية والخصائص العامة لها، إذ تمثّل مسألة الدوافع وراء ترجمة القرآن الكريم أحد أهم أسباب فساد الترجمة، بل إنه يمكن القول - مع بوكاي - بأننا إذا « بحثنا عن السبب في فساد الترجمة وجدناه راجعاً إلى هذه الدوافع بأكثر مما يرجع إلى الضعف في معرفة اللغة العربية»[١].

وبالإضافة إلى مشكلتَيْ الدوافع ومناهج المترجمين في عملية الترجمة فإن هنالك أسباباً أخرى قد أسهمت بقسط وافر في بلورة مقوّمات الترجمات الغربية للقرآن الكريم وجعلها «أعمال هواة مغرضين وليست جهود أمناء مخلصين»، وستتجلى طبيعة تلك العوامل - بوضوح - بالوقوف على خصائص الترجمات الغربية للقرآن الكريم، والتي تتمثل في سمتين أساسيتين تظهران من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: ضعف الترجمات:

لا يحتاج القول بضعف ترجمات الغرب للقرآن إلى برهنة أو إثبات، فكل ترجمة جديدة هي الدليل المتجدد «على ضعف سابقاتها، بل تستمد من هذا الضعف مسوغ وجودها، ولا يقتصر الأمر على الترجمات الجديدة، بل إن الترجمة الواحدة تتعرض للتنقيح مرات ومرات بسبب ضعفها البادي منذ ولادتها، وتُعدّ ترجمة «أندريه دوريه» الفرنسية أبرز الأمثلة على ذلك»[٢].

لكن الحاجة ماسّة إلى معرفة أسباب ضعف مستوى ترجمات الغربيين للقرآن الكريم، والتي يبدو

---

١) موريس بوكاي، الأفكار الخاطئة التي ينشرها المستشرقون من خلال ترجمتهم للقرآن الكريم، ص: ١٣٦٩ .

٢) يوهان فوك، الدراسات العربية الإسلامية في أوروبا، ص: ٧٨ .

أنها ترجع إلى الأسباب التالية:

أ ـــــ جهل أكثر المترجمين باللغة العربية:

أثبتت الدراسات التحليلية التي قام بها علماء مسلمون أو غربيون على السواء أن أكثر مترجمي القرآن الكريم من أبناء الغرب لا يحسنون - في الواقع - اللغة العربية وهي أداة العمل العلمي الأساسية في الترجمة.

فبالرغم من كل مشروعات القرن الثالث عشر، ومرسوم فيينا سنة ١٣١٢م لم يكن هناك نصراني واحد متمكّن من اللغة العربية في أوروبا بأسرها[١].

كما أن سائر المهتمين بالعربية ومنهم مترجمو القرآن في ألمانيا مع بداية القرن الثامن عشر لم يكونوا يتقنون العربية[٢].

ولم تكن المعرفة باللغة العربية في فرنسا -التي انتقلت إليها الريادة في حقل الاستشراق- بأفضل حالاً من ألمانيا، فـ (دي ساسي) - أبرز رواد الاستشراق الفرنسي والذي ترجم بعض أجزاء القرآن الكريم مع تفسير البيضاوي - بعث برسالة إلى أحد أصدقائه يعتذر فيها عن عدم إتقانه العربية قائلاً: «أنا لا أستطيع أن أحفظ بالعربية شيئاً، ولا أفهم ما يقال بها، إذ لم تُتَح لي في شبابي أي فرصة لممارسة الكلام أو الاستماع للأحاديث بالعربية، وقد أطريتني كثيراً بما قلته لي عن مؤلفاتي، وعليّ أن أقرّ لك بأنني آسف لأني لم أرحل في شبابي إلى مصر أو الشام، وبأنني بعيد جداً عن احتلال معرفة تامة بهذه اللغة»[٣].

ويذهب (جاك بيرك) صاحب أحدث ترجمة للقرآن للفرنسية إلى أبعد من ذلك، فيرى أن

---

(١) ر. و. سذرن، نظرة الغرب إلى الإسلام، ص: ١٠٣.

(٢) يوهان فوك، السابق، ص: ١٠٠.

(٣) محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، ص: ٢٣٦، ٢٤٣، سلسلة عالم المعرفة (١٦٧)، الكويت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

الترجمات الفرنسية التي سبقت ترجمته قد قام بها مترجمون لا يحسنون الفرنسية نفسها أكثر من العربية والعكس صحيح[١].

أما في الإنجليزية فيقرُّ (آرثر ولاستن) صاحب المختارات القرآنية المنشورة باسم (The Religion of the Koran) في نيويورك عام ١٩٢٧م بأنه يجهل العربية[٢].

وقد ظهر أثر ضعف المعرفة باللغة العربية في العديد من الأخطاء النحوية والصَرْفية والمعجمية والدلالية التي احتشدت بها الترجمات الغربية ، مثل:

١ ــــ الأخطاء المعجمية:

أ ــــ (في الفرنسية): لدى (جاك بيرك ACQUES BERQUE):

- يترجم قوله – تعالى – في سورة (غافر): ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣]، إلى: (Le cro yant L`indu lgent)، ومعناها: المؤمن المتسامح.

وترجمة المعنى الصحيحة لدى (محمد حميد الله):

(Le Pardouneut des Peches, l`Accueillant au repentitr).

- يترجم قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١] ، إلى:

---

(١) سعيد اللاوندي، إشكالية ترجمة معاني القرآن الكريم، ص : ٧١ – ٩٩ .

(٢) عبد الله الندوي، ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب، ص : ٧٣ .

(Reverence a Dieu, dirent - elles) ، وتعني: انحناءة لله ، قلن.

وترجمة المعنى الصحيحة لدى (محمد حميد الله) :

(Elles dirent : A Allah ne Plaise!).

- يترجم الآية: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨] ، إلى :

(Une teinture de dieu! mais qui peut mieux teindre quie Dieu, qwand nous l`adoron?).

ومعناها: صباغة (تلوين) من الله! لكن من ذا الذي يمكنه أن يصبغ (يلوّن) أفضل من الله ، عندما نعبده؟

والترجمة الصحيحة للمعنى لدى (محمد حميد الله):

Nous suivons la religon d' Allah! Et qui est meilleur qu` Allah en sareligion? C`est Lui que nous adorons.

- يترجم قوله – تعالى – : ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧] إلى :

(en faveur de ceux qui suivent l`Envouye, le prophete maternel).

ومعناها: لصالح الذين يتبعون الرسول النبي الأمومي (من الأمومة) .

والترجمة الصحيحة للمعنى لدى (محمد حميد الله):

(ceux qui suivent le Messager, le Prophete illettre).

- يترجم قوله – تعالى – : ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] ، إلى:

(Cafa et Marwa font portie des reperages de Dieu).

ومعناها: إن الصفا والمروة تمثل جزءاً من العلامات التي يصنعها الله.

والترجمة الصحيحة للمعنى لدى (محمد حميد الله):

(As Safa et Al Marwah sont vraiment parmi les lieux sacres d` Allah).

ب ــــ (في الألمانية):

❖ **لدى (هيننج HENNING):**

- يترجم قوله - تعالى - : ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٧]، إلى:

(In ihm sind evidente verse, sie, die Mutter des Buches,und andre mehrdeutige).

ومعناها: فيه آيات واضحات هن والدة الكتاب وأخرى متعددة المعنى.

والترجمة الصحيحة للمعنى هي:

(Darin gibt es eindeutig verse, sie sind der Kern des Buches und andere, Mehrdeutige).

لدى (رودي بارت RUDI PARET):

- يترجم قوله - تعالى - : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ العليم ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١]، إلى:

(Gepriesen sei der, der mit seinem Diener (d. h. Mohammed) bei Nacht von der heiligen Kultstaette (in Mekka) nach det fernen Kultstaette (in Jerusalem) deren Umgebung Wir gesegnet haben, reiste).

ومعناها: سبحان الذي ارتحل مع عبده (محمد) في الليل من مكان العبادة (في مكة) إلى مكان العبادة البعيد (في القدس) الذي باركنا حوله.

والترجمة الصحيحة للمعنى:

(Gepriesen sei der, der seinen diener des Nachts von der Al - Har am Moschee zur Al- Aqsa Moschee fuehrte, deren umgebung Wir gesegnet haben).

ج ـــــ (في الإنجليزية):

❖ لدى (آربري ARBERRY):

يترجم قوله – تعالى – : ﴿ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ [البقرة: ١٥١]، إلى:

(To recite our signs).

ومعناها: يتلو عليكم علاماتنا .

والترجمة الصحيحة للمعنى:

(reciting to you our verses «the qur`an»).

– يترجم قوله – تعالى –: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا﴾ [البقرة: ٦١]، إلى:

(Get you down to Egypt).

ومعناها: انزلوا إلى جمهورية مصر العربية.

والترجمة الصحيحة للمعنى:

(Go you dawn to any town).

– يترجم قوله – تعالى – : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]، إلى:

(then He lifted Himself to heaven).

ومعناها: ثم رفع نفسه إلى السماء.

والترجمة الصحيحة للمعنى لدى (الهلالي وخان):

(Then he rose over (Istawa) towards the heaven).

فمعنى (استوى إلى) في هذه الآية هو قصد وعمد ، أما معنى (استوى على) في سورتي الأعراف: ٥٤، وطه: ٥، فهو علا وارتفع استواءً بما يليق بجلاله وعظمته [(١)].

❖ لدى (ن. ح. داود DAVED):

- يترجم الآية: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النبأ: ١] ، إلى:

(About what are they asking?).

ومعناها: عن أي شيء يسألون ؟

والترجمة الصائبة للمعنى:

(Abaut what they (most of them) question one an other?) .

- يترجم قوله – تعالى –: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧] ، إلى:

(Then resume the fast till nightfall, and do not apprach them, but stay at your prayers in the mosques).

ومعناها: ثم استأنفوا الصيام إلى الليل ، ولا تباشروهن بل استمروا في دعائكم (أو في صلاتكم) في المساجد.

والترجمة الصحيحة للمعنى:

---

(١) التفسير الميسر، إعداد نخبة من العلماء، ص : ٥٧، ٣١٢، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٩هـ .

وكان بعض المحققين قد فسّروا الاستواء في هذه الآية بالعلو والارتفاع كذلك .

(them complete your Saum (fast) till the nightfall, And do not have Sexual relations with them (your wives) while you are in I`tik of (i. e. Confining oneself in a mosque for prayers and invocations leav - ing the worldly activities) in the mosques).

٢ ــــ الأخطاء النحوية:

أ ــــ (في الألمانية) :

❖ **لدى (رودي بارت RUDI PARET):**

- يترجم حرف الجر (بـ) في أول سورة الإسراء: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١]، إلى: حرف الجر (مع) فاستخدم الفعل اللازم (mit reisen) ويعني ارتحل مع ـ سافر مع، والصواب استخدام الفعل المتعدي (Fuehren) ويعني: قاده أو حمله.

ب ــــ (في الإنجليزية):

❖ **لدى (جورج سيل G. SALE):**

- يترجم (إنْ) المخففة من الثقيلة، في قوله - تعالى - : ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣]، إلى: (لو)؛ ليصبح المعنى: ولو كان هذا (التغيير) يبدو أثراً مهماً إلا على الذين هداهم الله.

فجاءت ترجمته:

(Though (this change) seems a great matter unless unto those whom God hath directed).

والترجمة الصحيحة للمعنى:

(Indeed it was great (heavy) except for those whom Allah guided).

- ترجم حرف النصب والتوكيد (إنّ) في قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، إلى: حرف العطف والتخيير (أو)، فجاءت ترجمته:

(Or God is gracious and merciful unto man).

والترجمة الصحيحة للمعنى:

(Truly, Alla is full of Kindness, the Most Merciful towards mankind).

❖ **لدى** (ج. م. رودل G. M. RODWELL):

- ترجم قوله - تعالى - : ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ في الآية: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨]، إلى:

(The false gods, have no Power to choose).

فجعل الضمير في (لهم) يعود على الآلهة الباطلة، بينما الضمير يرجع إلى المتحدث عنهم من الناس[(١)].

والترجمة الصحيحة للمعنى:

And your Lord creates whatsoever He wills and chooses: no chaice have they (in any matter): Glorified is Allah, and exalted above all that they associate (as partners with Him).

- ترجم حرف الجر (عن) في قوله - تعالى - : ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥] إلى: حرف الجر (في)، وأسقط اسم الموصول (الذي)، وهو الرابط الذي يعود بالكلام على المصلّين المهددين بالويل في الآية السابقة، وأسقط الضمير (هم) الواقع في بداية جملة صلة الموصول، كما جاء بكلمة (But) وهي تفيد الاستثناء؛ ليصبح المستثنى من الويل هم الذين في صلاتهم إهمال.

---

(١) التفسير الميسر، إعداد نخبة من العلماء، ص: ٣٩٣.

فجاءت ترجمته:

(But in Their Prayer are Careless).

والترجمة الصحيحة للمعنى:

Those who delay their Salat (prayer from their stated fixed times).

ومن العسير إيجاد تفسير لهذه البلادة تجاه اللغة العربية سوى أنها بلادة مستهدفة تساير الأغراض الغربية من وراء ترجمة القرآن الكريم ؛ لأن الاهتمام الغربي باللغة العربية قد بات في الغرب على أشدِّه في القرنين الأخيرين ، فكما يقول (لويس يونغ): «في أواخر القرن التاسع عشر كانت معظم الدول الأوروبية تُعدّ لتدريس العربية والبحوث الإسلامية في معاهدها العالية، وشهد القرن العشرون توسعاً في تدريس العربية ، حتى إذا كان منتصف القرن كانت العربية موضع دراسة في الجامعات الغربية التالية :

أمستردام ، كولون ، كولومبيا ، كوبنهاغن ، بروكسل ، دبلن ، دورهام ، أدينبره ، إيرلانجن ، فلورنسا ، جنيف ، غلاسكو ، غرناطة ، غراز ، جوتينجن ، هال ، هامبورج ، هارفارد ، هايدلبرج ، هلسنكي ، كييل ، ليدن، ليبزج ، ليدز ، لينجراد ، لوفن ، لييج ، لندن ، ليون، ماكيل ، مدريد ، ماينز ، مانشستر ، ميلانو، مونتريال ، موسكو، منستر، نابولي، نيرنبرج، تيبنجن ، أوسلو ، أوكسفورد ، باريس ، بافيا، بوتشفستروم ، براغ، برنستون، روما، سانت أُندروز، سالامنكا، سراغوسا ، ستيلنبوش ، ستراسبورج ، سيدني، تورنتو، توبنجن ، أبسالا، بلنسية ، فيينا ، وورزبورج»[1].

أما في جامعات الولايات المتحدة الأمريكية فإن عدد الأقسام العلمية والكليات والمعاهد التي تدرس من خلالها اللغة العربية يعكس الاهتمام الأوروبي نفسه باللغة العربية.

(١) لويس يونغ، العرب وأوروبا، ص : ١٧ - ١٨ .

لكن يبدو أن هذا الاهتمام الغربي باللغة العربية كان اهتماماً شكلياً ، إذ إن التوسع المكاني في عدد الجامعات والمعاهد والمراكز وكراسي اللغة العربية في البلدان الأوروبية وأمريكا لم يقابله توسع نوعيّ في طبيعة الدرس اللغوي ومقرراته ، ومناهج تدريسه ، وبحوثه ، حيث بقيت مقررات تدريس اللغة العربية ومناهجها قاصرة عن تكوين مجرد قارئ جيد لنصوص العربية ناهيكَ عن مستشرق متخصص في علوم العربية والإسلام ومرجعية علمية للغرب فيهما ، وتكفي إطلالة واحدة على مفردات منهج دراسة اللغة العربية في مرحلة الليسانس بجامعة كمبردج (المثبتَ في ملاحق البحث) لبيان ذلك[(١)]:

إذ يظهر من مفردات هذا المنهج أن عدد الساعات المخصصة لدراسة قواعد اللغة العربية (٤٨) ساعة فقط طيلة ثلاث سنوات دراسية هي المدة اللازمة للحصول على درجة الليسانس ، أما القرآن فتخصص له ثماني ساعات فقط طوال المرحلة ، فتكون عدد الساعات التي حظي بها القرآن وقواعد اللغة العربية (٥٦) ساعة من بين مجموع الساعات الدراسية البالغة (٣٨٦) ساعة، وهذا العدد الهزيل من الساعات المخصصة للقرآن الكريم وقواعد اللغة دون ما يدرسه طالب عربي بأحد أقسام اللغة العربية في العالم العربي في عام دراسي واحد.

ولم يتبدل في الأمر شيء جوهري في وقتنا الراهن، فالبرنامج الدراسي الذي أعلنته كلية الدراسات الشرقية بجامعة كامبردج[(٢)] لمقرر (الشرق الأوسط والدراسات الإسلامية) في الأعوام الجامعية

---

(١) عبد اللطيف الطيباوي، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، ص : ١٦٧ - ١٧٣، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

وانظر: ملحق رقم (١)؛ للوقوف على تفصيلات ومفردات منهج دراسة اللغة العربية بجامعة كامبردج.

(٢) راجع موقع كلية الدراسات الشرقية على الشبكة العنكبوتية: Webmaster@ oriental . com . ac . uk

أو :

© ٢٠٠١ - ٢٠٠٥ Faculty of Oriental Studies Sidgwick Avenue, Cambridge CB٣ ٩DA.

(٢٠٠١ - ٢٠٠٥ م)، هو عبارة عن منهج دراسي لمدة أربع سنوات لتعلم اللغة العربية من أجل تكوين معرفة أساسية بالأدب والتاريخ والحضارة الإسلامية في الشرق الأوسط، وإتاحة الفرصة لإعداد مترجمين من وإلى اللغة العربية وهو لا يكاد يختلف في عدد الساعات والأسابيع الدراسية، وطبيعة المادة العلمية المقدمة للطلاب عن المفردات المعروضة في المنهج القديم السابق عرضه.

بل إن برنامج دراسة (دبلوم اللغة العربية) المقدم من كلية الدراسات الشرقية والإفريقية (S O A S) بجامعة لندن للعام الجامعي ٢٠٠٥/٢٠٠٦م والذي يمنح دبلوماً متخصصاً في اللغة العربية الفصحى معترفاً به من الجامعة اللندنية، لا يكاد يختلف في عدد ساعاته عن المقرر في برامج الدراسة الجامعية المشار إليها آنفاً[1].

فالدراسة في الدبلوم عبارة عن ثلاثة فصول جامعية؛ الفصل الأول (١٣) أسبوعاً، الفصل الثاني (١٣) أسبوعاً، الفصل الثالث (١٤) أسبوعاً، ويشمل الأسبوع (١٥) ساعة دراسية بإجمالي (٦٠٠) ساعة دراسية في عام جامعي يبدأ في سبتمبر وينتهي في أغسطس.

وهو لا يتطلب أية معرفة سابقة باللغة العربية.

والمقررات التي يدرسها الطالب هي:

(١) الكتاب في تعلم العربية: كتاب نصوص عربية ، من تأليف (بروستاد. ك اتال) ، طبع جامعة جورج تاون، ١٩٩٧م.

(٢) الكتاب الأساسي: تأليف السعيد محمد بدوي، طبع تونس، ١٩٩٢م.

(٣) أنستونا، العامية المصرية؛ تأليف ناهد عوني، ١٩٩٩م.

(٤) مختارات من الإعلام العربي (الجزء الأول): عباس تونسي ـ ناريمان ورّاقي، طبع الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ١٩٨٩م.

---

(٢) Diploma in Arabic at SOAS , University of London .

ويلاحظ للوهلة الأولى أن المقررات الدراسية في البرنامج الـمُعدّ لتأهيل متخصص في العربية الفصحى يخلو من أي كتاب أصيل من مصادر اللغة أو الأدب العربي، وكذلك يخلو من المصادر الإسلامية الأصيلة ، ناهيكَ – بالطبع – عن النصوص القرآنية أو النبوية.

وقد كانت النتيجة الطبيعية لمثل هذا الإعداد اللغوي الهشّ وقوع عامة الغربيين من مترجمي القرآن في أخطاء نحوية فاحشة ، ومن ذلك أنهم جعلوا كلمة (أرجلكم) في قوله – تعالى – : ﴿ وَٱمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ ، معطوفة على رؤوسكم ، فجاءت ترجمتها كالآتي لدى كل من :

– (جورج سال) :

(Rub your heads and your feet).

– (رودمان ، بالمر ، ريتشارد بل ، أربري):

(Wipe your heads and your feet).

– (هيننج):

(Wischet eure Haeupter und eure Fuesse).

ب ـــــ الجهل بالإسلام:

لم يكن (العقاد) مجانباً للصواب عندما أطلق على المهتمين بعلوم العربية والإسلام من الغربيين مصطلحَ «أعداء الإسلام الهواة» ، وردّ أسباب سقطاتهم فيما يخص الإسلام إلى أمرين حددهما بدقّة في قوله: « ويندر أن تقرأ في كلام ناقد من الأجانب عن اللغة العربية شيئاً من مآخذ التناقض في الإسلام إلا بدا لك بعد قليل أنه مخطئ ، وأن مردّ هذا الخطأ عنده إلى جهل الإسلام أو جهل اللغة العربية ،

وبعضهم يجهلها وهو من المستشرقين؛ لأنه يستظهر ألفاظها ولا يتذوقها ولا ينفذ إلى لبابها من وراء نصوص القواعد والتراكيب»[١].

ويبدو أن التلازم بين سببي أخطاء الغربين حول الإسلام (الجهل باللغة العربية والجهل بالإسلام) مرجعه إلى أن الجهل بالعربية يقود إلى الجهل بالإسلام ، فمن لم يحسن لغة القرآن فمن غير المحتمل أن يدرك حقيقته وجوهره ، ومن لمن يدرك جوهره وحقيقته فمن غير المحتمل أن يحسن التعبير عنه.

لكن من الخطأ تماماً الظن بأن الجهل باللغة العربية هو السبب الوحيد وراء جهل الغرب بالإسلام، لقد كانوا على جهل بالإسلام ، لا لأنهم كانوا بعيدين عنه كل البعد ، بل على العكس من ذلك تماماً فقد كانوا في داخله ، فإذا رأوا فهموا القليل مما كان يدور حولهم، وإذا لم يعرفوا شيئاً عن الإسلام باعتباره ديناً ، فما ذاك إلا لأنهم أرادوا ألاَّ يعرفوا عنه شيئاً[٢].

يقول (الأب روبيركاسبار PATER: ROBERT CASPAR) : « إن الغرب لم يفهم الإسلام على حقيقته أبداً ، بل ولم يحاول ذلك مطلقاً ، وحتى خيرة المسيحين القلائل الذين كانوا يعيشون على مقربة من الإسلام – من أمثال: يوحنا الدمشقي ، تيودور أبي قرة ، أو بولس الصيدوني – لم يتمكنوا من إدراك جوهر الإسلام وعظمته ، والتي تتمثل في السموّ إلى الله الواحد الأحد ، ولعل ذلك يرجع أساساً إلى أن الغرب المسيحي قد اكتفى لعدة قرون طويلة بتشويه الإسلام ومؤسسه بأسخف الأقوال دون أن يكلف نفسه عناء دراسة هذه العقيدة»[٣].

فصورة العقيدة الإسلامية التي شاعت في الغرب ظهر فيها المسلمون متّحدين في شيء واحد هو عبادة الأصنام ، فتراهم في أنشودة (رولاند) يعبدون ثلاثة آلهة هي: تيرفاغان، ومحمد، وأبوللو ، ثم

---

(١) عباس محمود العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، ص : ١٧٨ - ١٧٩، القاهرة، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م .

(٢) ر . و . سذرن ؛ نظرة الغرب إلى الإسلام، ص : ٤٢ .

(١) C. W. Troll, Der Islam im Verstaendnis der Katholischen Theologie , S : ٥٣ – ٥٤ .

صار لديهم آلهة كثيرة بعد ذلك بحكم عملية تطور طبيعية ، وقد أُحصي لهم في هذا الضرب ما يزيد عن ثلاثين إلهاً [١].

وليس الأمر قاصراً على الماضي فحسب ، بل كما يؤكد الفرنسي المعاصر (جاك بيرك JAQUES BERQUE) أن الغرب ما يزال يجهل الإسلام [٢].

ج ـــ اختلاف طبيعة اللغات:

يميل كثير من الباحثين في علم اللغة إلى استحالة نقل نص من لغة إلى أخرى ؛ نظراً لصعوبة نقل خصائص الأصل ، ومن ثم يرون عدم إمكانية الترجمة ، ويذهبون إلى أن هناك شروطاً للترجمة يندر أن تتوفر في حالات كثيرة ؛ لذلك لديهم مباحث متعددة في « ترجمة ما لا يُترجم» [٣].

وفي حالة النصوص المقدسة بصفة عامة والنص القرآني بصفة خاصة فإن إمكانية الترجمة تزداد استحالة ؛ لأن خصوصية اللغة تكون فريدة ؛ لأن التأثير العميق لكلمة الوحي يرتبط بلغة التنزيل ، ذلك التأثير الذي يسميه (فريتجوف شيون) بالسحر، فيقول: «ويرتبط ذلك السحر ارتباطاً وثيقاً بلغة التنزيل ذاتها ، أي : بالعربية ، ومن هنا لا شرعية للترجمات من الناحية المذهبية وعدم جدواها من الناحية الطقسية. إن لغة من اللغات تكون مقدسة حين يتكلم بها الله ، ولكي يتكلم بها الله ينبغي أن تتحلّى ببعض الخصائص التي لا توجد في أية لغة تالية عليها» [٤].

---

(١) ر . و . سذرن ، نظرة الغرب إلى الإسلام ، ص : ٤٩ .

(٢) سعيد اللاوندي، إشكالية ترجمة القرآن الكريم، ص : ٥٧ .

(٣) يلخص (جورج مونان) النظريات الألسنية التي تنفي شرعية الترجمة أو إمكانها في أربعة جوانب : الدلالة، التركيب النحوي، اختلاف رؤى العالم، تعدد الحضارات، راجع : جورج مونان، المسائل النظرية في الترجمة، بترجمة لطفي زيتوني، دار المنتخب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٧٨م .

(٤) فريتجوف شيون، كيف نفهم الإسلام، ص : ٥٥، دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م .

ولا شك أن النص القرآني يأتي على رأس «ما لا يُترجم» بسبب دلالات كلماته الثرة، وتعبيراته المشحونة، وتراكيبه المخصوصة، ومفرداته الواسعة، مما لا نظير له في أية لغة أخرى؛ لذلك يجمع المسلمون على أن كل ما يُكتب عن القرآن في اللغات الأخرى فهو ليس قرآناً أبداً، بل هو تفسير للقرآن، أو معانٍ له، أو تعريف به، أو شرح أو دراسة إلى غير ذلك(١).

وقد أشار بعض المترجمين من الغربيين أنفسهم (جاك بيرك) إلى عدم قدرة اللغات المترجم إليها على نقل طبقات المعاني الكثيرة التي تشملها كل ومضة قرآنية، كما أن تلك اللغات ليست في ثراء العربية بالمفردات(٢).

إلى جانب ذلك فإن خصائص العربية من حيث: العدد، وعلامات الإعراب، والجنس، والصيغ الصرفية، والتقديم والتأخير، والحمل على المعنى، والتوسع، والاشتقاق... إلخ، تمكّن العربية من أداء المعاني على نحو دقيق تفتقر إليه العديد من اللغات الحية، مما يضطر معه المترجم الغربي إلى استخدام أكثر من كلمة لشرح معنى المفردة القرآنية الواحدة، مثل:

في الإنجليزية	في الألمانية
بخل = To be niggardly	بخل = einer geizig ist
أسرف = To be extravagant	استهزئ = verspottet wurden
من = o confer a benefit	نكسوا = verkehrten sie sich wieder
أمات = To Cause death	لا تخزون = bringt nicht Schande 'ueber mich

(١) البدراوي زهران، (دحض مفتريات) ص :٩٦ - ٩٧، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي (٤٨)، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

(٢) سعيد اللاوندي، إشكالية ترجمة القرآن الكريم، ص : ١٠٩ .

أمرنا مترفيها = Those among them who are given the good things of this life	استغفروا = bittet euerem Herrn um Verzeihung أمرنا مترفيها = ergeht unsere letzte Warnung an die Ueppig darin Lebenden عبس = Er runzelte die Stirn

لكن هناك بعض المشكلات الناجمة عن اختلاف اللغات لا تجد لها حَلاً علمياً مرضياً، مثل[1]:

١ - غياب الترادف:

يقف غياب الترادف حائلاً أمام ترجمة دقيقة لقوله - تعالى -: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ﴾ [الحشر: ٢٤].

فاللغة المجرية لا يوجد بها إلا كلمة واحدة لهذا المعنى وهي (Teremteng) وهو بمعنى يخلق ويستخدم، واللغة الإنجليزية تعرف فعلاً واحداً: (create)، وهو بمعنى: يخلق ويستخدم لكلا المعنيين، وكذلك الأمر في الأسماء المشتقة: القدير والمقتدر، العلي والمتعالي، الرحمن والرحيم.

٢ - دلالات أسماء الأعلام غير المعروفة في اللغة الأوروبية، مثل: أحمد، صالح، شعيب، زيد، عاد، ثمود، قريش.

٣ - التأنيث والتذكير:

(١) أحمد تشابا، صعوبات في ترجمة القرآن الكريم وأولوياتها، ص: ٦٤ - ٦٧، مجلة الفيصل (٣٠٠)، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

لا تعرف بعض اللغات الأوروبية ضمير المؤنث المخاطب، ففي الألمانية يستعمل الضمير (du) للمذكر والمؤنث المخاطب، وكذلك الإنجليزية تستعمل ضميراً واحداً هو (you)، وفي المجرية كذلك يستعمل الضمير (te)، ويستعمل الضمير (o) للإشارة إلى الغائب المؤنث والمذكر.

٤ - الإفراد والتثنية والجمع:

لا تعرف كثير من اللغات الأوروبية ضمائر المثنى، فتعبّر عنها بضمائر الجمع.

المطلب الثاني: الترجمة الحرة:

إذا كانت الدراسات الإسلامية والعربية في الغرب هي الوليد الشرعي لحركة التنصير ضد الإسلام وكتابه، فإن ميلاد تلك الدراسات ونشأتها في حضن اللاهوت النصراني والأيديولوجية الغربية قد أخضع مناهج الدارسين الغربيين - ومنها منهجهم في ترجمة القرآن الكريم - لتلك الأيديولوجية مما أدّى إلى فساد قواعد البحث العلمي، والتغاضي عن المنهجية العلمية، وقلب أصول البحث العلمي رأساً على عقب، ووضع الافتراضات المسبقة التي توجِّه عملية البحث[١].

وقد كانت الترجمات الغربية للقرآن الكريم مثالاً بارزاً على العشوائية المنهجية المدفوعة بالأهداف الأيديولوجية في تشويه النص القرآني، مما سوَّغ التغاضي عن أصول عملية الترجمة وأخلاقياتها، فجاءت ترجمة حرّة دون قيد أو التزام منهجي يجنّبها التناقض والتضارب.

وتجسدت العشوائية المنهجية لترجمات الغرب للقرآن الكريم في عدد من الظواهر، منها:

أولاً: الحذف:

---

(١) محمد خليفة حسن، أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، ص: ١٣٨، ١٩٦، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.

عمد المترجمون إلى تقديم مضمون إجمالي للآية المترجمة دون التقيد بمراعاة ترجمة بقية مفرداتها بما تضيفه إلى المعنى من تفصيلات. يقول (يوهان فوك) في تعليقه على ترجمة فريق (دير كلوني) : « ولم يكن أميناً إذ أغفل ترجمة العديد من المفردات ، كما لم يتقيد بأصل السياق ، ولم يقم وزناً لخصوصيات الأسلوب ، بل أعمل جهده لاستشفاف مضمون فكرة كل آية من كل سورة ثم ترجمتها ، ففي السورة (١٠٤) مثلاً (الترقيم الحالي للقرآن وليس طبعة بيبلياندر أي سورة الهمزة): ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ [الهمزة: ١ -٣] ، أورد... الذي سيخلّده مالُه ، فحذف (حسب) وبذلك أعطى عكس المعنى المراد من الآية تماماً»[١].

وليس هذا النوع من العشوائية المنهجية قاصراً على الترجمات القديمة في المرحلة الأولى والثانية ، بل يمتد إلى المرحلة الحديثة والمعاصرة كذلك ، ففي ترجمة (داود) اليهودي الإنجليزية :

- حذف الوصف (جميل) من قوله – تعالى – في سورة يوسف: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [يوسف: ١٧]، فجاءت الترجمة: (But I will be patient)، بمعنى: لكن سوف أكون صبوراً.

- حذف الفعل (تولّى) من قوله – سبحانه –: ﴿ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [المعارج: ١٧] ، فجاءت الترجمة:

(Shall claim him who had turned his back on the true faith).

وتعني: سوف تُدين الذي أدار ظهره للحقيقة.

- حذف الحال (وحيداً) في قوله – تعالى – : ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ [المدثر: ١١ – ١٢].

(١) يوهان فوك، تاريخ الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، ص : ٧ .

فجاءت الترجمة:

(leave to me the man whom I created and endowed with vast riches).

بمعنى: اتركني والإنسان الذي خلقته وزوّدته بثروة كبيرة.

- إسقاط لفظ التنزيه (سبحانه) من قوله - تعالى - : ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَـٰنَهُۥٓ﴾ [مريم: ٣٥]، فجاءت الترجمة:

(Allah forbid that he Himself should beget a son).

وتعني: أن الله يمنع نفسه من أن ينجب ولداً.

- لم يترجم حرف (النون) في أول سورة القلم. واكتفى بترجمة (القلم).

ثانياً: الزيادة:

- يضيف (جاك بيرك) الظرف (في لحظة من الليل) في ترجمته قوله - تعالى - :

﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، فجاءت ترجمته:

(O transcendance de celui qui fit aller de nuit, en un instant de la nuit, son adorateur de l`oratoire consacre a` l oratoire ultime).

- يزيد (داود) جملة (قل لهم) في ترجمة قوله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فجاءت ترجمته:

(When My servants question you about me, tell them, I am near).

بمعنى: عندما يسألك عبيدي عني أخبرهم: أني قريب.

- ويضيف الظرف (ثلاث ليال) إلى ترجمة الآية: ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ [آل عمران: ٤١]، فجاءت الترجمة:

(For three days and three nights He replied, you shall not speak to any man except by sign).

بمعنى: لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال، قال هو: لن تتكلم لأي إنسان عدا الإشارة.

- وكرّر هذه الزيادة في ترجمة الآية (١٠) من سورة مريم.

- ويزيد جملة (وصوت يقول لهم): (and a voice will say to them)، بعد قوله - تعالى - في [سورة الجاثية: ٢٨]: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

ثالثاً: تجاهل خاصية النظم القرآني:

رغم أن الغرب في مجال الترجمة قد اهتمَّ ببعض التناولات اللغوية الحديثة لنظرية الرموز والعلامات وما بينها من علاقات[1]، فإنه لم يعر اهتماماً لخاصية النسق والنظم القرآني.

وهذه الخاصية القرآنية ليست عرضاً ظاهرياً، أو منحى جانبياً في القرآن، بل هي من آكد

---

(١) يقوم هذا التناول على أن اللغة «ليست فهرساً أو مدوَّنة أو كيساً للكلمات»، بل هي نظام معقّد من العلاقات بين الرموز والأشياء والكلمات، وأن هذا النظام نظام واسع من البنى والتراكيب، ويختلف في كل لغة عن أنظمة سائر اللغات الأخرى.

راجع: جورج مونان، المسائل النظرية في الترجمة، ص: ٦٧ ـ ٦٨، ٩٠، وينتظم هذا النسق المتكامل ثلاثة أنواع من العلاقات:

١ ـ العلاقات بين الرمز ومدلوله (العلاقة الدلالية).

٢ ـ العلاقات بين الرمز والجماعة اللغوية (العلاقة الذرائعية).

٣ ـ العلاقات بين الرمز داخل النظام اللغوي (العلاقات التركيبية).

راجع: أسعد حكيم، علم الترجمة النظري، ص: ٢٠١، دار طلاس، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

الخصائص القرآنية، ومناط التفرد اللغوي المعجز للنص القرآني.

والنظم القرآني هو أسلوب التأليف المتفرد في صياغة الجمل، وبناء التراكيب، وطرائق الأداء في إطار محكم من الملاءمة بين المعاني، ومراعاة المعاني والألفاظ لمقتضى الأحوال والمواقف.

ويقوم النظم القرآني على ثلاثة جوانب بلاغية، هي[(١)]:

١- الصياغة أو البناء النحوي للتراكيب.

٢- مناسبة دلالة الألفاظ (المواضعة) للوظيفة النحوية التي يظهرها الإعراب.

٣- دور مواقع الألفاظ في ترتيب ألفاظ التراكيب.

ويشمل النظم بذلك خمس عمليات تصنيفية، هي[(٢)]:

١- ضمّ الحروف بعضها إلى بعض لبناء الكلمات: اسم، فعل، حرف.

٢- تأليف الكلمات بعضها إلى بعض لتكوين الجمل المفيدة.

٣- ضمّ الجمل بعضها إلى بعض ضمّاً له مبادٍ ومقاطع، ومداخل ومخارج.

٤- مراعاة ألوان البديع في نهايات الكلام وختامه.

٥- صياغة الجمل المضمومة في قوالب إيقاعية موزونة.

ولم يكن تجاهل الغرب لخاصية النظم القرآني مرجعه الوحيد هو محاربة القرآن ورفض إسناد أية فضيلة له تفضي للقول بألوهية مصدره، بل إن الجهل الغربي بالإسلام من جهة وباللغة العربية من جهة ثانية، أحد أهم أسباب هذا التجاهل.

---

(١) شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص: ١١٧، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٦٥م.

(٢) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص: ١٠١٠، بتحقيق: مصطفى ديب، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى.

وإذا كان السبب الأول غير سائغ ، فإن السبب الثاني له ما يسوّغه ، إذ كيف يمكن لواحدٍ من هواة المترجمين أن يدرك أبعاد النظم القرآني ، وهو الذي عجز عن فهم معنى الآية: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥] ، فترجم (حافّين) على أنها حفاة بغير نعال ، وكذلك ترجمته (الأجر) في قوله - تعالى - : ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٧٢] ، إلى: (الراتب الشهري)؟!!

لكن الجهل أو التجاهل الغربي لخاصية النظم قد ترتّب عليه خروج النص المترجم مهلهلاً مشوشاً، ومن جهة ثانية فقد ترتّب على ذلك معاملة النص القرآني في الترجمة معاملة ألفاظ معجمية مفردة تتطلب ترجمة حرفية ، وربما يكون ذلك كذلك تفسيراً واضحاً للقاعدة المنهجية التي اعتمدها الغرب في الترجمة ، وهي ترجمة النص القرآني نفسه وليس معناه.

رابعاً: تعدّد نظام ترجمة أسماء السور:

لم يلتزم المترجمون نظاماً معيناً في ترجمة أسماء السور ، فبينما يترجم بعضهم معاني أسماء السور إلى اللغات الأوروبية ، فإن آخرين يترجمون بعض أسماء السور فقط ، وينقلون أسماء بعضها بالحروف الأوروبية ، مثل : (جاك بيرك) ، الذي نقل بعض أسماء السور بحروف فرنسية، ومنها: سورة الحجر، سورة الأحقاف ، وترجم بعضها الآخر ترجمة حرّة اعتمد فيها على أوائل الآيات ، فترجم أسماء السور على النحو التالي:

- ترجم (الإخلاص) إلى: (La Religion Fonciers).

- ترجم (الشرح) إلى: (Epanawissement).

- ترجم (الإسراء) إلى: (LeTraget Mocturne).

وأضاف إليه عنواناً توضيحياً آخر هو: Le Trajef mocturne ou les Fils d`Israeli.

- ترجم (الروم) إلى: (العاصمة الإيطالية ، Rome).

- ترجم (الطور) إلى: (الجبل ، Le mont).

- ترجم (الملك) إلى: (الملكية ،Le Royaute).

- ترجم (النصر) إلى: (النجدة المنتصرة ، Le secours victorieux).

أما (هيننج) فيخلط كذلك في ترجمة أسماء السور في نظام مضطرب ، فينقل بالحرف الألماني أسماء بعض السور مثل: هود ، الحجر ، طه ، لقمان ، يس ، ص ، محمد ، ق ، وهي كلها أسماء أعلام ، لكنه قام بترجمات أسماء بعض الأعلام الأخرى ، مثل: يوسف ، إبراهيم ، مريم ، نوح ، قريش.

وقد تصرّف في ترجمة بعض أسماء السور على نحو غير مألوف ، مثل:

- (الروم) ترجمت إلى: (البيزنطيون ، Die Byzantiner).

- (الطور) ترجمت إلى: (الجبل، Der Berg).

- (الصف) ترجمت إلى: (نظام المعركة ، Die Schlachtsordnung).

- (العصر) ترجمت إلى: (الوقت، Die Zeit).

- (الكوثر) ترجمت إلى: (الوفرة – الفيضان، Der Ueberfluss).

ويمثل تعدد نظام الترجمات الغربية لأسماء السور القرآنية تجسيداً حيّاً للطموح الغربي إلى تشويه القرآن ؛ وذلك لأن جميع أسماء سور القرآن المائة والأربع عشرة هي توقيفية ، وإن كان هناك عدد من السور لها تسميات أخرى عُرفت بها بين الصحابة[1].

---

(١) محمد سالم محيسن، تاريخ القرآن الكريم، ص : ٧٦- ٨٠ .

ومن جهة أخرى فإن أسماء السور القرآنية وحدة متكاملة تعكس الرسالة القرآنية في هيكلها الحضاري بجوانبه الروحية والمادية والعقلية في شمولها الحياة الكونية، والفردية، والاجتماعية، والاقتصادية، والأخلاقية، والعسكرية، والسياسية، والدينية.

المبحث الخامس
تقويم الترجمات الغربية للقرآن الكريم

حالت الدوافع الدينية، وضعف الإعداد اللغوي، والجهل المعرفي بالإسلام، دون إنجاز الغرب ترجمة أمينة وافية لمعاني القرآن الكريم، فالأمر المشترك في جميع الترجمات التي أنجزها الغربيون عدم فهمهم أو عدم محاولتهم تفهم المعاني القرآنية، وعدم اعتمادهم مناهج البحث العلمي الموضوعي لتقرير الحقائق؛ لأن مقاصدهم كانت إبعاد بني جلدتهم عن القرآن للحيلولة دون فاعلية تأثيره في النفوس[1].

فقد أدرك الغرب تفرّد القرآن في خاصية اجتذاب القلوب والنفوس إليه من خلال نصاعة مضمونه وملاءمة خطابه للملكات الإنسانية، بل إن تلك الخاصية القرآنية تُعدّ في نظر الغربيين أخطر سِمَات القرآن. يقول (فريتجوف شيون FRITEGOF CHION): «الطابع الخارق لهذا الكتاب ليس فقط في محتواه العقدي وحقيقته النفسانية والنسكية وسحره الذي يحوِّل ويبدِّل، وإنما يظهر كذلك في فعاليته الخارجية وفي معجزة انتشاره»[2].

ولـمّا كان يمكن للترجمة أن تكون: «سلاح معرفي لمحو الخصم، أو للغلبة عليه، أو لمنعه من الغلبة

---

(١) عبد الله الندوي، ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب، ص: ٣٦.

(٢) فرتيجوف شيون، كيف نفهم الإسلام، ص: ٥٤.

علينا ، أو للحفاظ المجرد على الذات»[١]، فإن الغربيين لم يجدوا أفضل من ترجمة القرآن الكريم وسيلة لتشويه نصِّه ، ولـمّا استشعروا عدم كفاية تشويه النص أكملوا ما يريدون بالملاحظات والهوامش التي لم تسعفهم ، فأوسعوا الكلام في المقدمات والمداخل[٢].

لذا ؛ فإن للترجمات ذات النص المشوَّه والحواشي المغرضة والمقدمات الجدلية آثاراً بعيدة المدى ، شديدة الخطر ، وتتمثل في بُعْدين يشكلان جسراً عملياً لتحقيق الأهداف الغربية من وراء ترجمة القرآن الكريم ، وهما:

أولاً: إبعاد الناس عن المعاني العظيمة والقيم السامية في القرآن الكريم:

جاء القرآن الكريم بتشريع كامل منظِّم للحياة البشرية في جوانبها الفردية والاجتماعية والإنسانية العامة ، متضمِّن لنسق بديع من القيم الدينية والأخلاقية والإنمائية ، مما لم يكن مألوفاً في الحضارات والثقافات والديانات السابقة.

ولأن التشريع القرآني يستهدف بناء حضارة إنسانية رشيدة فقد سُمِّي بـ «العقد الحضاري» ، وللوفاء بمتطلبات هذا العقد وتفعيله حرص القرآن على إعداد أتباعه الإعداد الملائم لطبيعة عقده المتفرد ، وشمل هذا الإعداد الملكات الإنسانية بكاملها: الروح ، العقل ، القلب، النفس، الحواس ، فجاء الإعداد: عقائدياً، علمياً ، نفسياً ، مادياً[٣].

---

(١) أبو يعرب المرزوقي، مدخل عام ضمن كتاب الترجمة ونظرياتها، ص : ٤٢، طبع: بيت الحكمة، تونس، ١٩٨٩م.

(٢) عبد الله الندوي، ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب ، ص : ٣٦ .

(٣) الهادي الدرقاش، العقد الحضاري في شريعة القرآن، ص : ١٧ - ٢٠، دار قتيبة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٩م.

وقد حرص الغرب على التعمية على معالم هذا العقد الحضاري وعلى وسائل الإعداد العلمي والعقدي والنفسي والمادي له، ومن غير الممكن -بالطبع- استقصاء جميع مفردات هذا العقد ووسائل الإعداد له، وكشف عمليات التعمية الغربية عليها في ذلك الحيز المختصر، فذلك يحتاج جهوداً ضخمة ودراسات عدة، ولكن تكفي الإشارة في هذا المقام إلى مسألتين تبرزان مخاطر الترجمة الغربية في مجال إبعاد الناس عن المعاني العظيمة والقيم السامية في القرآن الكريم، وهما:

أ ـــ الأخلاق القرآنية:

حرصت الترجمات الغربية على نفي المضمون الأخلاقي للقرآن أو على الغضِّ من شأنه بسبب كون المعيار الأخلاقي أحد أهمّ معايير الحكم على قيمة الأديان.

يقول (مرجليوث) في تقديمه لترجمة (رودول):

«إن التقدير الصحيح لأي نظام يرتكز على التفكير الديني ينبغي أن يعتمد على مقاييس ثلاثة:

١- ما يشمله هذا النظام من حقائق.

٢- المستوى الخُلُقي الذي يطالب معتنقيه باتّباعه.

٣- المصدر الذي نشأ عنه.

وبالنسبة للأمر الأول هناك اتجاه واضح متزايد بين الدارسين للتاريخ الديني أن محمداً يمكن أن يعتبر من الناحية الخُلُقية نبياً لبعض الحقائق.

وتبعاً للمقياس الثاني، فإن القصور الواضح في تعاليم القرآن الخُلُقية كافٍ في الحكم إذا كان الأساس في المقارنة هو ما عندنا من تعاليم خُلُقية رفيعة، أما إذا قُورن بين القرآن، وبين ما كان عليه العرب أو أي نوع من أنواع الوثنية فإن الحكم يكون في صالح القرآن.

وأن الطريقة التي اتّبعها محمد في نشر القرآن تتطلب التمييز في الحكم عليها ، فالأجزاء الأولى من الكتاب يبدو فيها الوحي النبوي بوضوح، ولكن محمداً ـ بعد ذلك ـ كثيراً ما كان يهبط إلى تلفيق مقصود وبلاغة ماكرة.

إنه في الواقع كيَّف حاسّته الخُلُقية بالظروف التي أحاطت به وتبعاً للدور الذي كان عليه أن يقوم به»[1].

وقد تابع المترجم (رودول) في مقدمته رأي (مرجليوث) قائلاً في وصف النبي ﷺ: «إنه كان ذا شخصية عظيمة ، وإن كانت غير كاملة من الناحية الخُلُقية ، وكان معلماً عظيماً وإن كان ذا أخطاء ، وإن كثيراً من أخطائه ونقائصه كان ثمرة للظروف والمزاج والعادات ، وأنه لا بد من أن يكون في النظام الذي جاء به ـ والذي هو مؤلفه الأول ـ بعض عناصر الحق»[2].

ولم يقتصر الطعن في قيمة النظام الأخلاقي في القرآن وكماله على مجرد الاتهام بالنقص وعدم التّمام، أو بعجزه عن المقارنة مع الأخلاق النصرانية واليهودية ، لكنه تعدّاه إلى توجيه ترجمة الآيات المتضمنة للنظام الأخلاقي وجهة تبعدها عن مراميها فإن لم تؤد الترجمة هذا الغرض فإن التعليق في الهامش يتكفل بذلك.

فـ (هيننج HENNING) الألماني – مثلاً – يترجم قوله – تعالى – : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]على النحو التالي:

(Und Siehe, du bist wahrlich von edler Natur).

ومعناها: وانتبه أنت حقاً من طبيعة نبيلة.

ثم يعلّق في الحاشية بقوله: خلق كبير ، وهذا يعني أن النبي ليس كما يتّهمه خصومه بأنه فقط

---

(١) أحمد إبراهيم مهنا، دراسة حول ترجمة القرآن الكريم، ص : ٨٥ – ٨٦ .

(٢) المرجع السابق، ص : ١٠٠ – ١٠١ .

ممسوس من الجن.

وهي محاولة مستميتة لصرف الأنظار عن المعاني الأخلاقية الكبرى التي تجلِّيها الآية والمعايير التي تؤسِّسها فتجعل من مكارم الأخلاق علامة من علامات نبوة محمد ﷺ وسِمَة مميزة لرسالته وهدفاً أساسياً تسعى لتحقيقه ؛ ولذلك تحاشى المترجمون استعمال كلمة (Moral) التي تستخدم للتعبير عن علم الأخلاق ، وكذلك بتوجيه معنى الآية في الحاشية إلى مجرد نفي صفة الجنون عن النبي ، والهدف من تلك المحاولة هو السعي إلى تأكيد النتيجة المقررة سلفاً والتي عبّرت عنها بوضوح الترجمة الفرنسية لـ : (دينسي ماسون) الصادرة عام ١٩٧٦م ، وهي من المراجع المهمة بالمكتبة الفرنسية، حيث تنص مقدمتها على أن: « الوحي القرآني تسيطر عليه تصورات أخروية بحتة ، فلا يؤكد على شيء من القيم الأخلاقية في السلوك والعمل الإنساني»[1].

ب ــــ الإشارات العلمية في القرآن الكريم:

تتصل هذه المسألة بما أشارت إليه الآيات القرآنية من ظواهر كونية وحقائق علمية لم يكن يتسنّى لبشر معرفتها في القرن السادس الميلادي على وجه العموم ، ولأُمِّيٍّ عربي على وجه الخصوص إلا أن يكون الله – تعالى – أوحاها إليه.

ومن ثم فإن ترجمة معنى هذه الآيات ترجمة صحيحة سوف يلفت النظر إلى القرآن بشدة، ويثير الاهتمام به لدى مَنْ لا يؤمن بالوحي الإسلامي ، وبخاصة إذا ارتبط ذلك بحقيقة أميّة النبي ﷺ ؛ لأن هذه الآيات تكشف عن ظواهر علمية هي من مكتشفات عصرنا الحاضر ، فإذا توفر لامرئ أدنى قدر

---

(١) موريس بوكاي ، الأفكار الخاطئة التي ينشرها المستشرقون ، ص : ١٣٧٠ .

من المعرفة بالعلوم الطبيعية ، ثم قرأ هذه الآيات ، فلا بد أن يدفعه ذلك إلى التساؤل عما إذا كان بإمكان إنسان معرفة هذه الحقائق وتأكيدها منذ خمسة عشر قرناً مضت؟

وللتعمية على هذه الإشارات العلمية وتضليل غير المسلم عنها ، فإن المترجمين قد عبّروا ببدائل لغوية لا تكشف من قريب أو بعيد عن المعنى الإعجازي في الآية ، مثل:

١ -ترجمة (هيننج) قوله - تعالى - في سورة يس: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس: ٣٦] ، إلى:

(Preis ihm, der erschaffen all Arten von dem, was die Erde spriessen laesset, und von ihnen selber, und von dem, was sie nicht kennen).

فترجم كلمة «الأزواج» إلى «الأنواع»، وقد قام (مراد هوفمان) في تنقيحه لترجمة (هيننج) بتصويب ترجمة (الأنواع Arten) إلى (أزواج الأنواع Arten Paarweise)، وعلى هذا النحو ترجمها (الهلالي وخان) في الإنجليزية إلى «كل الأزواج»:

(Glory be to Him who has created all the pairs of that which the earth produces, as well as of their own (human) kind (male and female), and of that which they know not).

وتوافق هذه الترجمة معنى الآية الوارد بالتفسير الميسَّر ، ونصه: «تنزَّه الله العظيم الذي خلق الأصناف جميعها من أنواع نبات الأرض ومن أنفسهم ، ذكوراً وإناثاً ، ومما لا يعلمون من مخلوقات الله الأخرى. قد انفرد سبحانه بالخلق ، فلا ينبغي أن يشرك به غيره»[1].

---

(١) التفسير الميسر، ص : ٤٤٢ .

وهي تشير إلى خلق عنصري الزوجية (الذكر والأنثى) في النبات والإنسان وغيرهما من الكائنات، وبذلك يكون القرآن قد قرّر بوضوح وجود «التزاوج» في النبات، وهي ظاهرة لم تكن معروفة في عهد النبي ﷺ، ولكنها من مكتشفات هذا العصر[١].

٢- تضيق الآفاق الواسعة التي كشف عنها القرآن بإشارته إلى وجود «عوالم أخرى» مما يعرفه الإنسان في عالمه الذي يعيشه، أو لم يعرفه بشكل تام بعد.

فترجم (جورج سال) قوله - تعالى - في سورة الفاتحة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] إلى: (The Lord of all Creatures)، ومعناها: رب كل المخلوقات.

وترجمتها الصحيحة: (The Lord of Worlds).

وكذلك ترجمها (رودي بارت) مثل ترجمة (جورج سال):

(Lop sei Gott, dem Herrn der Menschen in aller Welt).

ومعناها: ممدوح الإله رب الناس في كل العالم.

وترجمتها الصحيحة: (Lob sei Allah, dem Weltenherrn).

٣- ترجمة «العلق» في الإنجليزية إلى الدم المتجلط أو المتخثر: (Blood Clot)، أو (Congeald Blood)، ويخطّئ (موريس بوكاي) هذه الترجمة[٢].

وفي الألمانية ترجم (رودي بارت) «العلق» إلى: «الجنين»، وسمّى السورة بهذا الاسم، فجاءت ترجمته للآية: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢] على النحو التالي:

(den Menschen aus einem Embryo ersehaffen hat).

---

(١) موريس بوكاي، الأفكار الخاطئة التي ينشرها المستشرقون، ص: ١٣٧٢.

(٢) موريس بوكاي، الأفكار الخاطئة التي ينشرها المستشرقون، ص: ١٣٧٤.

وتعني: خلق الإنسان من جنين .

وقد تابعه في ذلك حرفياً (مصطفى ماهر) في الترجمة الهزيلة التي أصدرها الأزهر الشريف بالتعاون مع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر[1].

وهي ترجمة غير دقيقة ، لأن الجنين في اللغة: هو الولد ما دام في الرحم ، ولدى الأطباء ثمرة الحمل في الرحم حتى نهاية الأسبوع الثامن[2].

وكلا المعنيين يجعل ترجمة الآية لا يتفق مع مراحل خلق الإنسان المشار إليها في سورة «المؤمنون» :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا

---

(١) صدرت هذه الترجمة عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، وعليها ملاحظات كثيرة مردّها إلى كون المترجم أستاذاً في اللغة الألمانية، وليس متخصصاً في الدراسات الدينية بشكل عام أو الدراسات الإسلامية بشكل خاص، مما فوّت على الترجمة دقّة الاصطلاحات العلمية الدارجة بين دراسيّ الأديان ، خاصة فيما يتعلق باليهودية والنصرانية،= = وكذلك كان حال المراجعين للترجمة ، حيث تولّتها ابنته الألمانية (إليسا ماهر) والأستاذ (علي هوبر) ، وهما - فيما أعلم - ليسا من أهل الاختصاص . ومن جهة ثانية اعتمادها المفهوم الاعتزالي في تفسير الصفات، راجع على سبيل المثال ترجمة : صفة الاستواء على العرش : [الأعراف : ٥٤] S: ٢٢٢.

= (يونس : ٣) S : ٢٩٤.

(الرعد : ٢) S : ٣٦٢.

(طه : ٥) S : ٤٦٩.

(الفرقان : ٥٩) S : ٥٦٢ .

(السجدة : ٤) S : ٦٣٧ .

(الحديد : ٤) S : ٨٧٨ .

(٢) المعجم الوسيط، ص : ١٤٦، مادة «جني» .

ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةً فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمًا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٢ـ ١٤].

وعلى ذلك فالمراحل هي: النطفة، العلقة، المضغة، تكوين العظام،كسوة العظام باللحم، التسوية والتعديل إلى الهيئة المعروفة.

فالتعبير القرآني يجعل من النطفة - إذاً - طوراً من أطوار النشأة الإنسانية وهي بداية تلك النشأة. يقول الدكتور (حمد العمار): «وبداية الجنين هي النطفة الأمشاج المختلطة، حيث يلقح الحيوان المنوي البويضة في الثلث الوحشي من قناة الرحم ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢]، فإذا ما لقحت البويضة وصارت بويضة ملقحة ابتدأت انقسامات متعددة، ثم تتحول النطفة الأمشاج إلى ما يشبه التوتة، ثم تنتقل فتصير مثل الكرة المجوفة وتدعى عندئذ الكرة الجرثومية، ويبلغ قطر النطفة الأمشاج بعد أن تصبح كرة جرثومية ما لا يزيد عن مليمتر، وتستغرق هذه المرحلة أسبوعاً كاملاً حتى تعلق في جدران الرحم منذ اليوم السابع من بداية التلقيح، ثم إن هذه الكرة الجرثومية تنقسم إلى كتلة خلايا خارجية آكلة، وظيفتها العلوق بجدار الرحم وامتصاص الغذاء منه»[1].

وبذلك تكون ترجمة «العلق» إلى «الجنين» قد تجاوزت الصواب في ثلاثة أمور، هي:

أولاً: عبّرت عن «العلق» بلفظ يشمل أطوار الخَلْق الستة بما في ذلك المرحلة الأولى التي لم تكن النطفة فيها قد أصبحت علقة.

---

(١) حمد العمار، أساليب الدعوة الإسلامية، ص: ٢٩٣، مركز الدراسات والإعلام ـ دار إشبيليا، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

ثانياً: أغفل لفظ «الجنين» الخصوصية المرادة في الآية من لفظ «العلق»، حيث إن هذه المرحلة تمثل بداية الانقسام وتكوين الخلايا الآكلة المتعلقة بجدار الرحم لامتصاص الغذاء منه.

ثالثاً: ينصرف لفظ «الجنين» إلى المراحل التالية لمرحلة العلقة وهي مراحل: المضغة، تكوُّن العظام، كسوة العظام باللحم، التسوية.

وهي جميعاً مراحل فيها السِّمَة المميزة والغالبة عليها ليس هي كتلة الدم الغليظ التي تنفرد بها مرحلة العلقة وحدها.

ولكل ذلك فإن (مراد هوفمان MURAD HOFMANN) قد ترجم معنى الآية إلى:

(Erschuf den Menschen aus einem sich Anklammernden) .

ومعناها: خلق الإنسان مما يعلق (العالق، المتشبث) .

ثم يعلّق في الحاشية بقوله: «مما يعلق!! تجسيد لوصف دقيق لأحد أطوار النمو التي يلقح فيها الحيوان المنوي الذكري بويضة الأنثى. وفي العام ٦١٠م لم تكن هناك معرفة طبية مماثلة».

ولا شك أن ترجمته وإن كانت تراعي المعنى العام للعلق إلا أنها تقتصر على الوظيفة والهيئة دون أن تتطرق إلى الطبيعة الدموية للمادة المتعلقة، لذا؛ أعتقد أن الترجمة المناسبة التي تراعي الطبيعة الدموية للمادة والمعنى العام للعلق والذي يتضمن في الآن نفسه هيئة المادة ووظيفتها؛ هو التعبير بكلمة[1]:

(der sich Anklammernden Blut klumpen).

٤ - ترجمة «المضغة» وهي الطور الثالث من أطوار النشأة الإنسانية:

يترجمها (هينج) إلى (Fleisch) ومعناها (اللحم)، مساوياً بينها وبين ترجمة المرحلة الخامسة (كسوة العظام لحماً).

---

(١) راجع: جوتس شراجله، قاموس ألماني - عربي، ص: ٣١٣، ٢٢٩، مكتبة لبنان، بيروت.

فجاءت ترجمته على النحو التالي:

(alsdann schufen wir den tropfen und wahrlich, wir ershufen den Menschen aus reinstem Ton, alsdann setzten wir ihn als Samentropfen in eine sichere staette, alsdan schufen wir den Tropfen zu geronnenem Blut und schufen den Blutklumpen zu Fleisch und schufen das Fleisch zu Gebein und bekleideten das Gebein mit Fleisch, alsdann brachten wir ihn her vor als eine andre schoepfung).

ومعناها :

وحقاً خلقنا الإنسان من طين خالص ، ثم وضعناه كنقطة منوية في مكان أمين ، ثم خلقنا النقطة دماً متجلطاً ، ثم خلقنا كتلة الدم لحماً ، وخلقنا اللحم عظاماً ، وكسونا العظام باللحم ، ثم أحضرناه كخَلْق آخر .

فتكون مراحل الخلق لديه : نقطة منوية ، دم متجلط ، لحم ، عظام ، كسوة عظام لحماً، الخَلْق الآخر.

أما (رودي بارت) فيترجم المضغة إلى (Foetus) ، ومعناها (الجنين) مساوياً بينها وبين المرحلة الثانية «العلقة» حيث ترجمها إلى (Embryo) وتعني « الجنين» أيضاً.

(Hierauf schufen wir den Tropfen zu einem Embryo, diesen zu einem foetus und diesen Knochen).

وبذلك تكون مراحل الخَلْق لديه:

النقطة المنوية ، الجنين ، الجنين ، العظام، كسوة العظام لحماً ، الخَلْق الجديد.

ثانياً : تكريس المفاهيم المغلوطة حول الإسلام :

تبنّت الترجمات الغربية الرؤية اليهودية النصرانية التي تشرح الإسلام في ضوء اليهودية والنصرانية ، وتفهمه فهماً يهودياً نصرانياً لا إسلامياً ، ومن ثمَّ لا تعترف به ديناً مستقلاً ، بل تربطه - نهائياً - باليهودية والنصرانية وتعدُّه تحريفاً لهما.

وتهدف هذه الرؤية إلى تحقيق ثلاثة أغراض[1]:

١ - إبعاد النصارى عن الإسلام بدعوى كونه تحريفاً للنصرانية.

٢- إبعاد غير النصارى عن الإسلام وجذبهم إلى النصرانية؛ لأنها الأصل الذي انحرف عنه الإسلام.

٣- جذب بعض المسلمين إلى النصرانية ـ كذلك ـ بدعوى كون إسلامهم مجرد صورة محرفة للنصرانية.

ومن أجل إقحام تلك الرؤية الغربية على النص القرآني المترجم واستنطاقه بها كان لا بد من التأكيد على بشرية القرآن ، فهي الأساس الذي تبنى عليه إمكانية نشر تلك الرؤية.

وقد تطلّب ذلك مسلكاً ذا مستويين:

المستوى الأول: نظري:

وهو بمثابة التمهيد للمستوى الثاني ، إذ يسعى إلى التأكيد على بشرية القرآن من خلال ثلاث وسائل ، هي:

١ - عنونة الترجمات:

وذلك بإطلاق تسميات تربط القرآن بشخص النبي ﷺ، وتقطع الصلة بينه وبين الوحي السماوي، وقد سبق عرض قائمة بأسماء الترجمات الغربية للقرآن في المبحث الثاني.

٢ - المقدمات:

(١) محمد خليفة حسن، أزمة الاستشراق الحديث المعاصر، ص : ٢٤٣ .

لخّص المترجمون في مقدمات ترجماتهم رُؤاهم حول النبي ﷺ ، وقد مثلت تلك الرُّؤى للقراء المرشد الهادي لهم ؛ لأنها صادرة ممن هم بمثابة الخبراء والعارفين بالإسلام وكتابه ، وبذلك تشكلت المواقف والقناعات حول القرآن من قِبَل مطالعة آياته المترجمة!

وقد تراوحت لهجة التصريح بمضمون الرُّؤى الغربية حول القرآن ما بين الحدة والقسوة ، وما بين الغمز الشديد والإيحاء اللطيف ، لا فرق في ذلك بين المراحل الأولى في الترجمات وبين المرحلة الحديثة والمعاصرة ، فقد بقي جوهر الرُّؤى لم يتغير منذ العصور الوسطى، وإنما نفض عنه الثياب القديمة لأجل وضع ثياب جديدة تناسب العصر. ولعل أبرز الأمثلة على ذلك مقدمة الترجمة الإسبانية لـ (خوان.ن. بيرغوا) المنشورة بمدريد عام ١٩٧٥م ، الطبعة العاشرة.

إذ يقول (بيرغوا) : «سأتناول بنفس الأسلوب كل ما أراه في هذا الكتاب من خلال مؤلفه محمد ؛ لأنني أومن تماماً بأنه ما من طريقة أفضل للحكم على الرجال إلا من خلال مؤلفاتهم»[(١)].

ويضيف: «فقد اقتصر لتأسيس دينه على مواد سبق أن استُعملت من قبل في بناء أديان أخرى ، ومما يثير العجب حقاً كيف أمكن لهذا الهيكل الذي بناه أن يظل قائماً؟!» [(٢)].

٣ - إعادة ترتيب سور القرآن الكريم :

لا شك أن محاولات المترجمين إعادة ترتيب سور القرآن الكريم كما عرضناها عند تقرير مناهج الترجمة جاءت تعبيراً عن الرؤية الغربية لتاريخ النص القرآني ، والتي عرضها المستشرق الإنجليزي

---

(١) محمد عيسى، ترجمة إسبانية للقرآن الكريم، ص : ١٣٦، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد التاسع عشر، مدريد، ١٩٧٦ - ١٩٧٨م .

(٢) السابق، ص : ١٣٨ .

(جون وانسبرة) الأستاذ بمدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن، في نقاط ثلاث[١]:

- تطور القرآن تدريجياً في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين من أصل روايات شفوية وعن طريق تعديلات جرت عبر قرنين، ثم أعطيت شكلاً رسمياً، وكانت هذه العملية مماثلة لما حدث في تقنين الكتاب المقدس لليهود.

- الطابع الجدليّ لكثير مما جاء في القرآن يدل على أن معارضة يهودية كانت وراء عملية تقنين سور القرآن.

- روايات القرآن وقصصه وضعت متأخرة لأغراض دينية ودعوية، ثم نُسبت إلى وقت مبكر.

فهذه الرؤية تكرسها محاولة إعادة ترتيب سورة القرآن من خلال عكسها لشبهة بشرية النص القرآني وتأثّره بالظروف الشخصية والموضوعية التي واجهت الرسول ﷺ، حيث جاء القرآن صدى لآمال وآلام الرسول وصراعاته مع خصوم دعوته، وكذلك صدى للمشكلات التي واجهته والحلول التي طرقها لحلّها، والرُّؤى السياسية والدينية التي كان يحاول تثبيتها في مواجهة المشركين وأهل الكتاب[٢].

المستوى الثاني: عمليّ:

في هذا المستوى العمليّ يتم تكريس المفاهيم المغلوطة حول الإسلام عملياً من خلال تحوير ترجمة النص القرآني بما يلائم الرؤية الغربية التي تمّ التمهيد النظري لها من خلال العنونة، والمقدمات، ومحاولات إعادة ترتيب سور القرآن.

---

(١) محمد مهر علي، مزاعم المستشرقين حول القرآن الكريم، ص: ٨ - ٩، ندوة: «عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم» (٣ - ٦ رجب ١٤٢١هـ، ٣٠ سبتمبر - ٣ أكتوبر ٢٠٠٠م).

(٢) ساسي الحاج، الظاهرة الاستشراقية، ص: ٤٢٦ - ٤٢٨.

وقد انصبّ التحوير بشكل أساسي على الآيات ذات المعاني المتعلقة باليهودية والنصرانية، وقد سارت عملية التحوير في اتجاهين:

الاتجاه الأول: تحوير صفات النبي ﷺ:

جاءت صفة أمّية النبي ﷺ على رأس الصفات التي عُوملت بقسوة شديدة في الترجمة، بل يمكن القول: إنه لا توجد صفة من صفات النبي ﷺ أو آية قرآنية اجتمعت الترجمات الغربية على تحويرها مثل اجتماعها على تحريف لفظة «الأميّ» في قوله - تعالى - : ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]؛ لأن هذه الصفة المحورية تبطل كل الادّعاءات والشبهات المثارة حول بشرية القرآن ونبوة محمد ﷺ، إذ كيف يمكن لأميٍّ لا يحسن القراءة ولا الكتابة أن يطالع نصوص الكتب المقدسة لدى اليهود والنصارى، فيقتبس منها ما يشكل مذهباً دينياً متكاملاً استطاع في قرن ونصف من الزمان الاستعلاء والظهور على سائر الأديان، ثم استطاع اجتياز جميع الاختبارات والمحن التي واجهها من قِبَل خصومه حتى القرن الحادي والعشرين حيث يقف شامخاً صامداً؟!

ومن ثمّ بات من الضروري للمترجمين نفي هذه الصفة عن النبي ﷺ؛ لفتح الباب أمام القول باقتباسه من اليهود والنصارى، وذلك بتحريف معنى ترجمتها، على النحو التالي:

١ - في الترجمة المجرية[1]:

(١) أحمد تشابا، صعوبات في ترجمة القرآن الكريم وأولوياتها، ص: ٦٣، مجلة الفيصل (٣٠٠)، الرياض، جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ - أغسطس ٢٠٠١م.

ترجمت الآية: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] إلى:

(A KiK Kovetik akuldottet a Pogang Provetat).

ومعناها: الذين يتبعون الرسول النبي المشرك.

٢- لدى (بلاشير BLACHERE) (نشرة باريس ١٩٦٦م) :

يترجم «النبيّ الأميّ» إلى :

(Prophete des Gentils).

وتعني: (نبي غير اليهود): (نبي الوثنية) .

٣- لدى (دينيسي ماسون DENISE MASSON) (الطبعة الأولى ١٩٧٦م) :

تترجم«النبي الأمي» إلى : (Prophete des Infideles).

وتعني: (نبي الكفرة).

وفي الطبعات التالية عدّلتها إلى(نبي الوثنية).

٤ - لدى (جاك بيرك JACQUES BERQE):

يترجم « النبي الأميّ» إلى: (Le Prophete maternel).

وتعني: النبي الأمومي (من الأمومة) .

٥ - لدى (هيننج HENNING):

يترجم «النبيّ الأميّ» إلى: (dem heidnisch Propheten).

ومعناها: نبي الوثنيين ، ثم يعلق في الحاشية قائلاً:

«هذا يعني عدم اختصاصه بالديانات الكتابية» يقصد نبينا محمداً ﷺ.

٦ – لدى رودي بارت (RUDI PARET):

يترجم « النبي الأمي» إلى: (dem heidnischen Propheten).

وتعني: (نبي الوثنيين).

ويلاحظ أن تحوير صفة الأمّية بتوجيه معنى لفظة « الأميّ» في سورة الأعراف في جميع الترجمات الغربية إلى معاني: الوثنية، أو الشرك، أو الكفر، أو ديانة غير الكتابيين، إنما يخدم - إلى جانب ربط الإسلام والقرآن والنبي ﷺ باليهودية والنصرانية من جهة التعلم والاقتباس منها - قضية أخرى محورية وهي نفي عالمية الإسلام وشمولِ دعوته اليهودَ والنصارى، إذ كانت الآيات المقرِّرة عالمية الإسلام هدفاً آخر لعمليات التحوير الاستشراقي في الترجمة.

الاتجاه الثاني: ربط العقائد والشعائر والشرائع القرآنية باليهودية والنصرانية:

قام المترجمون في هذا الاتجاه بترجمة آيات الشعائر والمعتقدات والأحكام القرآنية إلى معاني وألفاظ ذات دلالات يهودية ونصرانية مألوفة لدى القارئ الغربي غير المسلم، حتى إذا ما طالعها في مواضعها من الآيات القرآنية تأكد لديه انبثاقها من نصوص وطقوس اليهودية والنصرانية، خاصة إذا ما كان قد وُجِّه إلى ذلك من خلال العنونة والمقدمات المسهبة التي بلغت في ترجمة (خوان. ب. بيرغوا) الإسبانية - مثلاً - مائة وتسعاً من الصفحات.

ومن الأمثلة على عمليات التحوير في ترجمة هذا القسم من الآيات القرآنية التي حاولت الترجمات ربطها بمجالين من مجالات الديانة النصرانية واليهودية، وهما:

١ ــــ أنسنة(١) الإله:

تُترجم آيات الصفات الإلهية بما يتفق مع النسق اليهودي النصراني في أنسنة الإله في العهد القديم وتجسُّده في العهد الجديد:

- ترجم (جاك بيرك JACQUES BERQUE) قوله - تعالى - في سورة البقرة: ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤]، إلى:

(Et pourtant, Ilsest repenti a votre endroit Il est l`Enclin - au- repentir, le misericordieux).

وتعني: أن الله هو الذي تاب بدلاً منكم لأنه يميل إلى التوبة.

- ترجم الروسي المشهور (كراتشكوفسكي KRATCHKOVSKI) سورة الناس إلى ما ترجمته الحرفية(٢): «إله الناس الذي يختبئ من شر الوسواس، الذي يوسوس صدور الناس».

- ترجمة (أندريه شوراكي ANDRE CHOURAQUI) ذات التعبيرات الحسية في مجال العقيدة والتعبيرات الفاضحة في غيرها، وهي بذلك تربط القارئ مباشرة بألفاظ التوراة الحسية والفاضحة، ويظهر ذلك جلياً في ترجمته لبعض الألفاظ، مثل: الكفار، الأميين، النبي، الرسول، الجهاد، التي صكّها في قوالب ومدلولات عبرية أخرجتها عن معانيها ومدلولاتها العربية(٣).

---

(١) أنسنة الإله أي: تصوير الإله في صورة إنسانية من حيث الأفعال والأقوال والخصائص الجسدية، مثل: الصورة المشهورة للإله في «العهد القديم» كتاب اليهود، ومثل: صورة الإله المتجسد في المسيح عيسى في العقيدة النصرانية.

(٢) فاشكيفيتش نيكولاي، الفرقان في ترجمة معاني القرآن، ص: ٥٧ - ٥٨، مجلة شمس الإسلام (٢)، لندن، موسكو، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٣) سعيد اللاوندي، إشكالية ترجمة معاني القرآن الكريم، ص: ١٣١.

٢ ـــ الطقوس والأسرار النصرانية:

تُترجَم الاصطلاحات والمسميات الإسلامية هنا إلى اصطلاحات ومفاهيم نصرانية خالصة، مثل:

- ترجمة (هينـنج HENNING) قولـه - تعـالى - في سـورة البقـرة : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٨] ، إلى:

(Die Taufe Allah (haben wir), und was ist besser als Allahs Taufe?).

ومعناها: «تعميد الله ، وما أحسن من تعميد الله؟».

ثم يؤكد في الحاشية على مقصوده في توجيه الآية إلى سرّ التعميد في النصرانية قائلاً:

«ليس مؤكداً إذا ما كانت كلمة (صبغة) تعني المسح أو التلوين ، على الأرجح أنها إشارة إلى الشعائر النصرانية التي انتقلت مجازياً إلى الإسلام».

- ترجمـة (جـاك بـيرك) قولـه - تعـالى - : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة: ٣] إلى: (Ils Croient au mystere).

وتعني : الذين يؤمنون بالسّر الكنسي المتعلق بالمسيح والثالوث.

- ترجمة (جاك بيرك) لـ ﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ ترجمتين مختلفتين :

إحداهما : كما في سورة الإسراء في ترجمته: (L`oratoire Consacre) وكلمـة (Oratoire) ، تعني : كنيسة صغيرة من أجل استخدام جماعة معينة.

والثانية : كما في سـورة التوبـة (Le Sanctuaire consacre)، وكلمـة (Sanctuaire) تعني : جزءاً من الكنيسة حول المذبح تتم فيه المراسم الطقسية.

ويمكن القول - من خلال الواقع الـمُشاهد - بأن الترجمات الغربية للقرآن الكريم قد نجحت إلى

حدٍّ كبير في صرف أنظار الغربيين وإبعادهم عن المعاني العظيمة في القرآن الكريم، وكذلك في تكريس المفاهيم المغلوطة حول الإسلام ، والتي لا يستطيع الإفلات من براثنها سوى مَن أُتيحت له فرصة الاطِّلاع الجيد على الترجمات الصحيحة لمعاني القرآن الكريم، وذلك يشكل عبئاً ثقيلاً على أهل الذِّكر من المسلمين يرتقي إلى مقام الفريضة الواجبة عليهم في تلبية مطالب جميع اللغات العالمية وسدّ حاجاتها إلى ترجمة صحيحة لمعاني القرآن الكريم.

خلاصة

ليس من الخطل -في نهاية المطاف- القول: بأن حركة الترجمات الغربية للقرآن الكريم كان يمكن لها أن تكون وسيلة حضارية فعّالة لإقامة الجسور والروابط وتوثيق العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب، وأن تكون عاملاً فاعلاً في إخماد الحروب الصليبية المتواصلة ضد الإسلام وأهله.

لكنها اختارت أن تكون امتداداً للحروب الصليبية ، وشكلاً من أبرز أشكال الصراع الديني ضد الإسلام ، وحلقة في مسلسل التشكيك والتزييف الذي يقوده الغرب ، ويحمّل من خلاله ترجمات القرآن الكريم توجهاته الفكرية ورُؤاه العقدية وتصوّراته الحضارية التي تستهدف تزييف الإسلام ، والحيلولة دون نجاحه في الغرب أو الشرق ، وتحجيم دور القوة الدافعة التي يبثّها القرآن في قلوب المؤمنين به.

فالترجمات الغربية منذ الترجمة الأولى في (دير الرهبان) في (كلوني)، مروراً بترجمات المرحلة الوسطى، وانتهاء بترجمات المرحلة الحديثة والمعاصرة ، لم يكن لها أيّ هدف سوى توجيه الإدانات ضد الإسلام وكتابه ونبيه ، تلك الإدانات التي امتدت سلسلتها على مدى قرون عديدة تتناثر عليها بعض أشهر الأسماء.

وخطورة حركة الترجمة الغربية للقرآن الكريم لا تكمن فقط في تحريفها لكَلِم رب العالمين، وإنما كذلك في كونها عائقاً أمام وصول رسالة الإسلام إلى المخاطبين بها في العالم كله على نحو صحيح يضمن تأثيره في غير المسلم ، كما تعمل على جعل المسلم فريسة للأوهام والدعاوى الغربية المبثوثة من خلال الترجمات.

وتتجاوز مخاطر الترجمة كل ذلك إلى ما استهدفته من أغراض أخرى ، وسلكته من مناهج ملتوية ،

وأفرزته من شخصيات وأعمال أبعدتها عن فلك الإسهام العلمي البنّاء، وجعلتها محصورة بين قطبي الجهل والتشويه.

إذ لا يكاد يوجد بين ترجمات الغربيين للقرآن الكريم ترجمة واحدة يُطمأن إليها من حيث الدقّة والأمانة، فهي في غالبها أعمال هواة مغرضين، وليست جهود أمناء مختصين.

الفصل الثاني:

الغرب والدراسات القرآنية

تمهيد

لا يجانب الصواب من يرى في سيل الكتابات الغربية التي تجعل من الإسلام وأمته وحضارته وعالمه عدوّ الغرب الحاليّ والمستقبلي الذي يمثل إمبراطورية الشر بعد زوال المعسكر الشيوعي، تجسيداً لأحد أبعاد الصراع الحضاري ذي الجوهر الديني الذي يعتور عالمنا المعاصر(١).

وهذا الجانب الثقافي الملتهب من جوانب ذلك الصراع هو الأكثر خطورة ؛ لأن المستهدف فيه هو القلوب النابضة والعقول المحركة للقاطرة البشرية .

ويتمثل هذا الجانب في تنوع أدوات ومجالات وحروب المعتقدات ومعارك الثقافة؛ التي تأتي في مقدمتها مواقف الغرب التي استهدفت أصالة القرآن الكريم بوصفه كلام الله المنزل على خاتم رسله محمد بن عبد الله ﷺ، في مقدمة سيل البحوث والدراسات الغربية التي تستلزم الوقوف الطويل أمامها والتأمل الفاحص فيها؛ بسبب ما خلَّفته من افتراءات وشبهات ودعاوى روّجتها دوائر البحوث الغربية، فقد كانت هذه الافتراءات قوية الأثر إلى الحدّ الذي شكّلت فيه الوعي الثقافي والمعرفي للعقل الغربي، وإلى الحدّ الذي انخدع له بعض الدارسين من أبناء جلدتنا(٢).

---

(١) يأتي في مقدمة تلك الكتابات دراسة بعنوان : (Christianity and Islam) ، للكاتب البريطاني (Edward Mortimer)، وأخرى بعنوان : (Islam and Marxism) ، للعالم الأنثروبولوجي (Ernest Gellmer) ، وقد نُشرت الدراستان كملف خاص عن الإسلام في مجلة (International Affairs 1991 Jnnuary ١ .٦٧ :B) ، وشهادة ثالثة جاءت على لسان سياسي بارز ومسؤول كبير كان يشغل منصب رئيس المجلس الوزاري الأوروبي ووزير خارجية إيطاليا (جياني ديميكليس) عندما برّر سبب وجود حلف الأطلنطي بعد زوال المواجهة مع حلف وارسو ؛ بأن المواجهة مع العالم الإسلامي هي مبرّر بقاء الحلف.
راجع : محمد عمارة ، استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي ، ص : ٢٨ ، مركز دراسات العالم الإسلامي ، مالطة ، ط١ ، ١٩٩٢م.

(٢) منهم على سبيل المثال فيما يخص موضوعنا :طه حسين ، محمد خلف الله ، محمد أركون ، نصر حامد أبو زيد.

مما استوجب تتبّع هذه الدراسات تاريخياً، ومنهجياً، ومضموناً ؛ لتجلية الرسالة التي تضمّنتها، والدوافع الموجِّهة لها، والاتجاهات التي سلكتها، والأهداف التي تغيَّتها، والتقويم العلمي لها.

وذلك من أجل تلافي قصور البحوث السابقة التي اهتمت بالردّ والهجوم والتفنيد بفعل التأثير والتأثّر العاطفي بعيداً عن قواعد الالتزام العلمي والمنهجي، لذلك فقد قعدت بها جوانب القصور عن القيام بواجب البحث العلمي المقنع.

وربما يعود ذلك في جانب منه إلى عدم التخصص المنهجي للدارسين، حيث جاءت هذه البحوث عرضاً في سياقات مختلفة من الحديث عن الإسلام أو الفكر الإسلامي وعلاقته بالغرب عموماً، وقد مثّل ذلك التناول الثانوي للقضية ثاني أسباب قصور تلك الدراسات.

بينما يتطلب هذا النوع من الدراسات إلماماً بجوانب معرفية عديدة، مثل: تاريخ الأديان، المعتقدات الدينية لدى أهل الكتاب، مضمون الكتب المقدسة، مناهج النقد العلمي؛ كالمنهج المقارن، ومنهج نقد النصوص، والنقد الشكلي، والنقد التاريخي.

وقد شملت الدراسة في هذا الفصل خمسة مباحث:

الأول: دور التنصير في نشأة الدراسات الغربية حول القرآن.

الثاني: دوافع دراسة الغرب للقرآن.

الثالث: تاريخ الدراسات القرآنية في الغرب.

الرابع: الاتجاهات الغربية في دراسة القرآن.

الخامس: تقويم الدراسات الغربية حول القرآن.

المبحث الأول

دور التنصير في نشأة الدراسات الغربية حول القرآن الكريم

(التنصير) يطلق على النشاط الذي تمارسه أفراد وهيئات ومنظمات أجنبية في الأراضي الإسلامية ضد العقيدة والثقافة والمجتمع في الإسلام.

وقد طرحت الكلمة كترجمة للمصطلح الأوروبي (Missions) بديلاً عن كلمة «التبشير»[١]، وهو ما نختلف معه، وذلك لأسباب تتعلق بصحة ترجمة اللفظ وبمفهومه، وهي:

١ - الترجمة الصحيحة لكلمة (Mission) هي (التبشير بالدين المسيحي، المأمورية، البعثة)، وليس التنصير[٢].

٢ - الهدف النهائي لذلك النشاط الهدّام ليس إدخال المسلمين في النصرانية، كما سيتبين فيما يأتي.

٣ - لا مسوّغ لعدم الرضا عن مصطلح التبشير خشية ظلاله الحسنة؛ لأن التبشير من البشرى وهي: التأثير الواضح في البشرة ويكون تأثيراً محموداً أو مذموماً، وقد عبّر به القرآن الكريم عن

---

(١) راجع هذا الاتجاه لدى:

- محمد عثمان بن صالح، النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير، ص: ٦٩، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

- علي النملة، التنصير، ص: ١٧، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م بدون بيانات.

- عبد العزيز العسكر، التنصير ومحاولاته في الخليج العربي، ص: ١٤، مكتبة العبيكان، ط١، الرياض، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- د. علي جريشة، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص: ٢٧.

(٢) Goetz schregle, Deutsch - Arabisches Woerterbuch, S : ٨٣٠ London –Beirut ١٩٧٧.

الحسن والطيب ، وعبَّر به كذلك عن السوء والشر وما لا تحمد عقباه ، كما قال - تعالى - :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران : ٢١]. وكقوله - تعالى - :

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[النحل : ٥٨ - ٥٩] .

وكقوله - تعالى -: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان:٧].

وقد قال - تعالى - : ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف:٢] ، فالعبرة بمضمون البشارة وليس بظلال المصطلح.

٤ - أن المستهدف بهذه الإرساليات والبعثات الدينية ليس المسلمين وحدهم، بل إن التبشير يُمارس ضدّ طوائف النصارى الشرقيين من أرمن وقبط وأرثوذكس[1].

٥ - كثير من أفراد البعثات التبشيرية قد انضمّ إليها لتحقيق أغراض ومآرب شخصية، مثل: السياحة والتجارة وغير ذلك[2].

٦ - التبشير هو إحدى مؤسسات التنصير وليس كلَّ التنصير ؛ مما يجعل من قصر مصطلح (التنصير) على العمل التبشيري وتخصيصه به تمويهاً على المستهدفين بالتنصير، وتحويل أنظارهم بعيداً

(١) د. علي النملة ، التنصير ، ص : ١٥.

(٢) د. فروخ الخالدي ، التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية ، ص : ٤٩ ، ٥٠ ، المكتبة العصرية ، بيروت، ١٩٨٦م.

عن نشاط المؤسسات التنصيرية الأخرى، التي ربما يفوق تأثيرها الهدَّام تأثير التبشير.

٧ - أن كلَّ مبشِّر منصِّر، لكن ليس كلُّ منصِّر مُبشِّراً.

أما عن مفهوم التنصير في البيئة الإسلامية فقد صيغ المفهوم وتحددت وظيفته فيما يؤدي إلى إخراج المسلمين من دينهم وليس بالضرورة إدخالهم في النصرانية [1].

وهذا المفهوم الحديث للتنصير يلمس أحد أبعاد العمل التنصيري، لكن هناك أبعاد أخرى لحقيقة التنصير لا يمكن الوقوف عليها إلا بإدراك طبيعة الصراع الكوني بين الديانات الكبرى من أجل استحقاق شرف ريادة الإنسانية وقيادتها، تلك القيادة التي تستمد مشروعيتها من امتلاك الحقيقة المطلقة المؤسَّسة على الوحي.

ولـمَّا كان الإسلام قد أثبت صدق دعواه - امتلاك الحقيقة المطلقة، والقدرة على قيادة الإنسانية باختلاف أجناسها وشعوبها وتطلّعاتها وآمالها - وذلك بما أنجزه في حيز التطبيق الفعلي لذلك الاستحقاق، حيث استطاع في قرن ونصف من الزمان أن يجمع تحت رايته أكثر من ثلثي المسكونة من بيض وسود، وعرب وعجم، وبربر وترك وهنود وقوقاز، سوَّى بينها في الحقوق والواجبات، وصهرها في بوتقة أَلَّفت أزهى عصور التاريخ: حضارة وعلماً وأخلاقاً.

فإن تلك القدرة الهائلة للإسلام قد أذهلت أهل الكتاب الذين قعدت بهم دياناتهم عن تبوّءِ تلك المنزلة أو ما يدانيها، على الرغم من الفترة الزمنية السحيقة التي قرعت العالم فيها نواقيس اليهودية والنصرانية.

لهذا أدرك أهل الكتاب خسارتهم معركة التحدي الكونية؛ بسبب فقد ديانة العهد القديم والعهد الجديد المقوّمات الذاتية اللازمة لقيادة الإنسانية والارتقاء بها حضارياً وأخلاقياً، فعمدوا إلى سلوك

---

(١) د. فروخ الخالدي، التبشير والاستعمار، ص: ٣٩.

طريق آخر يستهدف إقصاء الإسلام[1] عن الحلبة الكونية نهائياً ؛ حتى يتسنّى لهم قيادة المسكونة وامتلاك مقدراتها بما يدّعون من حقٍّ إلهي مقدّس.

فكانت المواجهة مع الإسلام والصراع ضدّه هي السبيل لتحقيق ذلك الهدف، وقد اتخذ ذلك الصراع شكلين أساسيين ، هما : الحروب العسكرية التدميرية، وحرب العقيدة والفكر التي تسعى للنيل من: الإسلام، ونبيِّه، وكتابه، ومعتقداته، وشرائعه، ونُظُمه ؛ بهدف زعزعة عقيدة المسلم وتشكيكه في دينه، مما يقود إلى الخروج من الإسلام وليس بالضرورة الدخول في النصرانية [2].

ويكشف لنا هذا الغرض النهائي من حرب العقيدة والفكر سرَّ المشاركة الفعّالة لليهود في الصراع ضد الإسلام جنباً إلى جنب مع النصرانية رغم كراهيتهم واحتقارهم لها، إذ إن المسلم الذي يخرج عن دينه لن يصلح للإنسانية في شيء ، فيكون خروجه نكاية من اليهودية في الإسلام، فإذا اعتنق النصرانية فذلك نكاية من اليهودية في الإسلام والنصرانية معاً، قال - تعالى - : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وعلى ذلك يكون الصراع ضد الإسلام عملاً يهودياً نصرانياً مشتركاً تنوّعت فيه الأدوار

---

(١) يصرح المنصرون برغبتهم في إقصاء الإسلام ؛ فالمنصر (جسب) يودّ أن يُمحى الإسلام من العالم ، ويصرِّح غيره بأن الغاية من عملهم هي : «القضاء على الأديان غير النصرانية».
راجع : فروخ والخالدي ، مرجع سابق ، ص : ٣٦ـ ٤٥.

(٢) راجع في هدف الإرساليات والوعاظ من النصارى واليهود :
- مصطفى الخالدي - عمر فروخ ، التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية ، ص : ٤٦.
- إبراهيم الجبهان ، ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير ، ص : ٢٧ ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض، ١٤٠٤هـ.

وتوزّعت التخصصات ما بين: الخبراء، وشركات الأعمال، والمؤسسات، والإرساليات، والجيوش، ووزارات الخارجية، ووكالات الاستخبارات، وأساتذة الجامعات، والمراكز والمعاهد العلمية، والمستشرقين، وصانعي السياسة(١).

وهذا الصراع الذي يمثل قاعدة البحوث والدراسات الغربية حول العالم الإسلامي(٢)، يجعل من حصر فعاليات التنصير في نشاط الإرساليات التبشيرية فهماً قاصراً لطبيعة التنصير وأبعاده وأدواته، فما هذا النشاط إلا إحدى آليات التنصير، ولذلك فإن تخصيصه وحده باسم التنصير، وصرف الهمم تجاهه وحده، واستنزاف الجهد في تتبّع وسائله وممارساته؛ ليشكّل وجهاً ثانياً من وجوه القصور في فهم طبيعة العمل التنصيري في جانبه العقدي، فهذا الجانب يشمل: جدليات، ودعاوى، ومزاعم، وشبهات مثارة من قِبَل دوائر تنصيرية عديدة إلى جانب الإرساليات التبشيرية ووعاظها، منها: الاستشراق، وكالات الاستخبارات، وسائل الإعلام، مراكز البحوث والمعاهد العلمية بالغرب، دوائر المعارف والدوريات المتخصصة.

من جهة ثانية فإن أخطر نتاج دوائر التنصير المختلفة هو الجدليات التي استهدفت أصالة القرآن الكريم؛ نظراً للتلازم بين القرآن والرسول ﷺ، كما قال - تعالى - :

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ

---

(١) بتصرف من: إدوارد سعيد، الاستشراق، ص: ٣٠٠، بترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

(٢) ربما يكون عبد الرحمن حبنكة الميداني قد وقف على الطبيعة الشمولية لعداء أهل الكتاب للإسلام، ذلك العداء المتمثل في الصراع ضد الإسلام بما أسماه: أجنحة المكر الثلاثة: الاستعمار - التنصير - الاستشراق.
راجع كتابه: «أجنحة المكر الثلاثة»، دار العلم، دمشق، ط ٥، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

فالضمير في «أنه الحق» كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «يرجع إلى القرآن، فإذا كان القرآن حقاً لزم كون الرسول الذي جاء به صادقاً يجب التصديق بما أخبر، وإطاعة ما أمر واجتناب ما نهى»[1].

ولا تكمن خطورة الجهد التنصيري في هذا المجال فقط فيما يستهدفه، بل كذلك في كثرة المؤسسات والمنظمات التنصيرية التي تقوم به وتنوّعها ما بين علمية وثقافية ودينية واجتماعية، فقد أثمر ذلك الجهد الهائل عن نجاح، إن لم يكن في تحقيق المسعى بتحويل المسلمين عن دينهم، فقد تمثّل في تنشئة طبقة من المثقفين المتعاطين لمنتجات الفكر التنصيري الثقافية والعقائدية، وإسهام هذه الطبقة في حقل الجدل ضد القرآن الكريم ربما يكون أكبر بسبب ما لها من سلطة فكرية وحضور ثقافي ومكانة علمية برّاقة، مكّنتها من القيام بدور المخبر الثقافي والنائب المحلّي للفكر التنصيري في بلاد العالم الإسلامي.

أما في الغرب فقد أسهم هذا الجهد في تشكيل الوعي الغربي حول القرآن علمياً وسياسياً وثقافياً، بحيث باتت طروحاته أصناماً وأوثاناً يتبتّل في محاريبها كل ميمّم قبلة المجد والشهرة والنجاح، وغدت تلك الطروحات ركائز كل المشروعات السياسية والثقافية والإعلامية الموجهة صوب الشرق الإسلامي.

ومثل هذا الجهد التنصيري الضخم يتطلب لمواجهته عملاً جماعياً منظماً لا يفي به بحث هنا أو مقال هناك. إن متابعة هذا النشاط الواسع لا تقوم به إلا مؤسسات، ونحن نفتقد حتى يومنا هذا مؤسسة متخصصة في هذا النشاط والردّ على جدلياته.

---

(١) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح: (٤/ ٢٥٠)، وانظر: (٤/ ٢١ - ٢٢)، مطبعة المدني، مصر، بدون ترقيم.

المبحث الثاني

دوافع دراسة الغرب للقرآن الكريم

تتعدد دوافع الغرب وراء دراسته القرآن الكريم، فمنها: دوافع خاصة بأهل الكتاب، ومنها: دوافع عامة لكل خصوم القرآن من كتابيين وغيرهم. ومن تلك الدوافع التي يمكن رصدها:

١ - صرف الأنظار بعيداً عن القرآن:

وقد كان ذلك أيضاً هدفاً لمشركي مكة قديماً، وسعوا إلى تحقيقه بوسائل عدة، منها: صدُّ الناس عن القرآن، التصفيق والصفير عند تلاوته، إثارة المزاعم والشكوك حوله.

وكان ظن المشركين أن ذلك مجلبة للغلبة والنصر، قال - تعالى - : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

وهذا ما اعتقده الغرب تماماً، يقول (وليم جيفورد بالكراف): «متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه»(١).

والمقصود بالحضارة التي حالَ القرآن بين المسلمين وبينها فيما أشار إليه (بالكراف) هي الحضارة ذات المفهوم الغربي للكون والحياة، ذلك النموذج الذي أكّد (جياني ديميكليس) رئيس المجلس

---

(١) جلال العالم، دمّروا الإسلام... أبيدوا أهله، ص: ٦٣، مكتبة الصحابة، جدة، مكتبة التابعين، القاهرة، ١٩٩٤م.

والمعنى نفسه كرّره (وليم موير): «إن سيف محمد والقرآن هما أكثر أعداء الحضارة والحرية والحقيقة الذين عرفهم العالم عناداً حتى الآن»، إدوار سعيد، الاستشراق، ص: ١٦٨، مرجع سابق.

الوزاري الأوروبي على ضرورة فرضه وإلا فالحرب هي الخيار[١].

ولا شك أن المناعة الذاتية الجبّارة التي خلقها القرآن في المسلمين قد حالت بينهم وبين الانحدار الحضاري أو السقوط المدوِّي أمام التكالب الأممي لجحافل التتار والصليبيين في الماضي وأمام الغزو الاستعماري الغربي في العصر الحديث، وكذلك جعلت من إمكان تنصير المسلمين مرهونة بإبعادهم عن القرآن وصرف أنظارهم عنه، وقد تجلى انكشاف تلك الحقيقة الثمينة في تأكيد (غلادستون) أحد موطّدي دعائم الإمبراطورية البريطانية في الشرق الإسلامي: «ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان»[٢].

٢ -موقف القرآن الكريم من كتب أهل الكتاب ومعتقداتهم:

حدّد القرآن الكريم بوضوح وجلاء موقفه من الكتب السابقة، متمثّلاً في:

أ - الهيمنة عليها، قال - تعالى -:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨].

ب - أفضليته وكماله، قال - تعالى -:

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ

(١) د. محمد عمارة، استراتيجية التنصير، ص: ٢٩، مرجع سابق.

(٢) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص: ٤١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]، وترجع أفضلية القرآن على غيره من الكتب إلى كماله من جهتين:

أولاهما: تبيانه لكل شيء، قال - تعالى - :

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقال - تعالى - : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

والثانية: إرشاده إلى غاية ما يصبو إليه الإنسان وما يحقق له كمال الدنيا والدين، قال - تعالى - : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

ج - كشف التحريف والتبديل الواقع فيها:

- بالإخفاء والكتمان، قال - تعالى -:

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩].

- أو بالنسيان، قال - تعالى -: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَسَوْفَ

يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤].

- أو بالوضع، قال - تعالى - : ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

- أو بالتغيير المتعمّد، قال - تعالى -: ﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

ورفض القرآن زعم اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه، وبكّتهم وذمَّ أخلاقهم وفضح خطيئاتهم بما يعنيه ذلك من طعن في مشروعية امتلاك حق مقدس في قيادة البشرية. قال - تعالى - : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

وأنكر عليهم دعواهم صلب المسيح، قال - تعالى - : ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨].

وكفّر الذين قالوا ببنوّة المسيح وألوهيته: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقال - تعالى - : ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ

مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة : ١٧].

وقد كان هذا الموقف القرآني الدقيق من العهدين القديم والجديد ومعتقداتهما جداراً صلباً أمام نجاح الفكر الغربي أو ما يرتبط به من رؤى حضارية في اختراق الحياة الروحية أو صمود العقيدة الإسلامية، مما دفع بدهاقنة الدراسات الغربية إلى التساؤل بعد قرون عديدة من البحوث حول القرآن[١]:

- هل من الممكن – حقاً – إقناع المسلم بأن النصارى لم يزوِّروا الكتاب المقدس؟ أو أنهم ليسوا مشركين؟ أو أن المسيح هو أكثر من كونه ابن مريم كما هو مذكور في القرآن؟ أو أن صلب المسيح وبعثه قد وقع فعلاً؟

- هل الإسلام بوصفه ديناً قائماً على الكتاب (القرآن) يعقِّد عملية قبول النصرانية أم ييسِّرها؟ وبأية وسيلة؟

- كيف يمكننا التغلّب على النصوص القرآنية التي تكذِّب بعض الأجزاء المهمة من رؤية العهد الجديد؟

٣ -إبطال المعجزة القرآنية:

لـمَّا كان القرآن الكريم هو دليل نبوة محمد ﷺ الأكبر، وبرهانها الساطع ، وحجتها البالغة ، وأخص آياتها ، وأظهر علاماتها بسبب اجتماع الوحي المدَّعي والدليل المعجز الذي تحدى به النبي ﷺ العالم ؛ إنسه وجنّه :

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء : ٨٨].

---

(١) التنصير : خطة لغزو العالم الإسلامي (الترجمة الكاملة لأعمال مؤتمر كلورادو التبشيري) ، ص : ١٨٨ - ٢٠٣ ، دون بيانات.

فقد أدرك الغربيون أن القرآن أقوى أسلحة المسلمين وأمضاها في صراعهم ضد جحافل الغزو الفكري، فعملوا جاهدين على إبطال فاعلية هذا السلاح، بتحجيم قيمته، وإفراغه من مضمونه، ونفي أصالته، تمهيداً لمحاولة سلب محمد ﷺ شرف النبوة بحجة: «عدم وجود معجزة في كتابه تؤيد نبوته»[١].

وقد حدّد الواعظ (جون تاكلي) هذا الباعث كسببٍ وراء دراسة الغرب القرآن الكريم، قائلاً: «يجب أن نستخدم كتابهم - وهو أمضى سلاح في الإسلام - ضد الإسلام نفسه لنقضي عليه تماماً، يجب أن تري الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً وأن الجديد فيه ليس صحيحاً»[٢].

ويمكن القول بأن افتراض نجاح الجهد الغربي في فكّ التلازم الضروري في الإسلام بين القرآن والوحي والرسول المبلِّغ، ذلك التلازم المستند إلى إلهية مصدر القرآن، لسوف يؤدي إلى «الضعف التدريجي في الاعتقاد بالفكرة الإسلامية وما يتبع هذا الضعف من الانتقاص والاضمحلال الملازم له، وسوف يفضي بعد انتشاره في كل الجهات إلى انحلال الروح الدينية من أساسها»[٣].

---

(١) تيودور أبو قرة، ميمر في وجود الخالق والدين القويم، ص: ٨٥، بتحقيق: إغناطيوس ديك، بيروت ١٩٨٢م.

وانظر:

Adel Theodore Khoury, Der theologische Streit der Byzantiner mit dem Islam , S : ٣٨ - ٣٩.

(٢) مصطفى خالدي ـ عمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية، ص: ٤٠، مرجع سابق.

(٣) أ. ل شاتليه، الغارة على العالم الإسلامي، ص: ٩، مرجع سابق، نشره: محب الدين الخطيب، بيروت، د.ت.

المبحث الثالث

تاريخ الدراسات القرآنية في الغرب

بدأ اهتمام الغرب بالقرآن مبكراً جداً مع أول تصادم بين المسلمين والجماعات المسيحية في الأراضي الخاضعة للدولة البيزنطية، وقامت الشام بأكبر الأدوار وأهمها في تاريخ الدراسات الغربية للقرآن، وقد تعددت مراحل تلك الدراسات، وتباينت معها أساليب الغرب وأطروحاته، فيما يمكن رصده من خلال الأدوار الآتية التي مرَّ بها تاريخ الدراسات القرآنية في الغرب:

أ -دور التأسيس (الجذور المشرقية للدراسات الغربية):

كان الشرق مهداً لنشأة الدراسات النصرانية للقرآن الكريم، نظراً لأنه كان نقطة التقاء الإسلام الفاتح بعقائده وكتابه وشرائعه مع المسيحية الشرقية بمذاهبها المختلفة من أرثوذكسية بيزنطية حاكمة، ونسطورية مخالفة، وآريوسية توحيدية.

يضاف إلى ذلك العامل اللغوي الذي مكَّن النصارى المشرقيين من الاطّلاع بيُسْر وسرعة على القرآن الكريم في لغته العربية، والوقوف على ما احتواه من عقائد وشرائع وأخلاق وقصص، ومن ثَمَّ الشروع في الجدل ضده، بخلاف كتّاب الغرب (اللاتين) الذين احتاجوا عدة قرون كي يتمكنوا من قراءة القرآن في إحدى ترجماته.

ويمكن في هذه المرحلة تمييز عدد من دارسي القرآن من النصارى، وهم:

١- يوحنا الدمشقي (ت ٧٥٠م):

يوحنا الدمشقي أحد أكبر آباء الكنيسة الأرثوذكسية، وبسبب قيمته الدينية الكبرى نال لقبين ذوي شأن، فلقِّب بـ «القديس يوحنا»، و«يوحنا ينبوع الذهب»، وبحكم كونه في خط الصراع الأول ضد الإسلام فإنه سارع بالعكوف على القرآن الكريم تفلية ونبشاً، مسخِّراً إتقانه العربية، وموظِّفاً إلمامه بالبيئة الثقافية الإسلامية التي يعيش في رحابها ويعايش أعلى مستوياتها العلمية والسلطوية،

حيث كان من كبار موظفي بلاط الخلافة الأموية[١].

وقد عُدَّ (يوحنا الدمشقي) بالنسبة للكنيسة الشرقية مثل (توما الإكويني) بالنسبة للكنيسة الغربية؛ بسبب استخدامه الدلائل العقلية إلى جانب الدينية في خدمة الإيمان الأرثوذكسي وتسويغه، وذلك باستخدامه الفلسفة اليونانية والهللينستية في تفسير الدين والدفاع عنه[٢].

وقد انتهى (يوحنا الدمشقي) إلى عدة آراء جدلية ضد الإسلام والقرآن والرسول ﷺ، لخّصها في كتابه (ينبوع المعرفة) الذي قسّمه ثلاثة أقسام، أولها: عن المنطق والفلسفة، والثاني: عن البدع، والثالث: شرح لمبادئ الدين القويم، وقد خصص الفصل (١٠٠ / ١٠١) في قسم البدع للجدل ضد الإسلام، وتتلخص رؤية (يوحنا الدمشقي) للإسلام، ونبيّه، وكتابه، فيما يلي[٣]:

أ - التشكيك في كون الإسلام امتداداً لحنيفية إبراهيم، لذلك يصف المسلمين على نحو لا يخلو من

---

(١) د. جواد علي، يوحنا الدمشقي، مجلة الرسالة (مصر)، (عدد ٦١٠)، ص: ٢٤٣، ربيع الأول ١٣٦٤ هـ / مارس ١٩٤٥ م.

(٢) Christiondom Dena John Geanakoplos , Byzantine East and Latin West : Two Worlds in Middle Ages and Renaissance , PP.٢٢F. Harpertoneh Books , New York ١٩٦٦ .

وللتوسع في معرفة أثر يوحنا الدمشقي، ومن ثمّ فضل النصارى الشرقيين على الدراسات القرآنية في الغرب، راجع:

Anton Pegis , «St. Anselm and the Argument of the Proslogion », Mediaeval Studies ٢٨ (١٩٦٦) ٢٢٨ - ٢٦٧ , ٢٣١ , ٢٣٣ - ٢٣٤.

وفي المجلّة نفسها راجع مقالة (دياني ي دوبرول) بالعدد رقم ٣٢، عام، ١٩٧٠م، ص: ١٢٨ - ١٣٧.

(٣) دانييل ساهاس، جدل يوحنا الدمشقي مع الإسلام، ص: ١٢٣ ـ ١٢٨، الاجتهاد، بيروت، عدد (٢٨) السنة السابعة، (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).

- جورج عطية، الجدل الديني المسيحي الإسلامي في العصر الأموي وأثره في نشوء علم الكلام، ص: ٤١٥ - ٤١٦، كتاب المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، جامعة اليرموك، عمّان، ١٩٨٩م.

- جواد علي، يوحنا الدمشقي، ص: ٣٠٧، مجلة الرسالة، مصر، عدد (٦١٢)، ربيع الآخر ١٣٦٤هـ / مارس ١٩٤٥م.

الخبث، بـ (السرازنيين)[(١)] (Saracens)، ويُعدّ أول كاتب مسيحي يستخدم هذا التشويه الإتيمولوجي لأغراض الجدل العنيف، كذلك يصف المسلمين بـ (المفسدين) وهي التسمية التي ستكثر في الجدليات التالية لـ (يوحنا).

ب - يعالج الإسلام على أنه هرطقة مسيحية.

ج - يقدم الإسلام على أنه مُؤْذن بالمسيح الدجّال.

د - يجعل الرسول ﷺ أحد أتباع (آريوس)، كما يجعله على عقيدة المذهب النسطوري، وذلك بسبب تأكيده على أن المسيح مخلوق وإنسان مجرد، وذلك ما قال به (آريوس ونسطور).

هـ - يحصر ما جاء به النبي ﷺ في أمرين:

أولهما: معرفته الضحلة بما قلّتْ قيمته من أسفار العهدين (القديم والجديد) اللذين وقع عليهما النبي ﷺ مصادفة.

الثاني: ما أخذه النبي ﷺ عن الراهب الأريوسي (بحيرا).

و - القرآن نتاج لأحلام اليقظة؛ لأن الرسول ﷺ تلقّاه وهو نائم.

ويمكن القول بأنه لا خلاف على ريادة (الدمشقي) للدراسات النصرانية حول الإسلام، كذلك يمكننا القول بأن جدليات (يوحنا) ضد القرآن هي الأهم في تاريخ الدراسات الغربية حول القرآن، حيث وضع (الدمشقي) آراءه في قوالب جدلية مكثفة أصبحت ركيزة الدراسات الغربية في كل أدوارها ومراحلها التالية، فقد ردّد جميع الدارسين الغربيين من بعده بعض أو كلّ قوالب (الدمشقي): «الإسلام هرطقة مسيحية، القرآن تلفيق من العهد القديم والعهد الجديد، تعلُّم النبي ﷺ من بحيرا

---

(١) السرازنيين نبذ بالألقاب للمسلمين، إذ تعني الكلمة: الذين أبعدتهم سارة باحتقار.

الراهب، المسلمون سراسنة».

٢ - تيودور أبو قرة (ت ٨٢٦م):

تلميذ لـ (يوحنا الدمشقي)، وقد تبع رأي أستاذه في النبي والقرآن، فعدّ النبي محمداً ﷺ نبياً (أريوسياً) مزيفاً[1].

٣- عبد المسيح الكندي (عاش في القرن العاشر الميلادي تقريباً):

كان عاملاً في بلاط الخليفة (المأمون)، وكتب ردّاً على رسالة (الهاشمي) التي يدعوه فيها إلى الإسلام، وقد لقيت رسالة (عبد المسيح الكندي) عناية كبيرة من دوائر البحث الغربية، حيث نُشرت أكثر من مرة لخدمة الإرساليات ليتعلموا منها أساليب مجادلة المسلمين حول القرآن والنبي[2].

٤ - بارشو لوميو الرهاوي (ت . حوالي القرن الثاني عشر الميلادي):

تركزت أطروحة (بارشو لوميو) من مدينة (الرّها) في أخذ النبي ﷺ القرآن عن راهب نسطوري، يقول (الرهاوي): «فعندما شهد ذلك الراهب الفاسق سذاجة القوم رأى أن يمنحهم عقيدة وشريعة على غرار مذهب (أريوس) وغيره من ألوان الكفر والزندقة التي حُرم من أجلها، فراح يسطر كتاباً هو الذي يسمونه القرآن، وهو شريعة الله، ناثراً فيه كل ما أودع من مروق... وعند ذلك أعطى كتابه

(١) Klaus Hock , Der Islam im Spiegel westlicher Theologie , S : ٩٩ , ١٠١ , ١١٢. Deutschland ١٩٨٩.
وانظر: رشا الصباح، الإسلام والمسيحية في العصور الوسطى، ص: ٧٠٦، مجلة عالم الفكر، عدد (٣) المجلد الخامس عشر، وزارة الإعلام، الكويت.

(٢) أ. ل شاتليه، الغارة على العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص: ٣٠.
- توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص: ١٠٤، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية.
- د. قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، ص: ٥٧، دار الرفاعي، الرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

لتلميذه (محمد)، وأبلغ أولئك البلهاء: أن ذلك الكتاب أنزل على محمد من السماء، حيث كان في حفظ جبريل الملك. فصدّقوه فيما قال، وبذلك مكّن الراهب لذلك القانون الجديد»[١].

٥ - بولس الأنطاكي (عاش في القرن السابع الميلادي تقريباً):

بولس الراهب الأنطاكي: إما أن يكون أسقف مدينة صيدا أو أسقف مدينة أنطاكية، وقيل: إنه أحد أساقفة سوريا.

وله عدة رسائل مطوّلة عن الإسلام[٢]، أهمّها: رسالته إلى أحد المسلمين التي ضمَّنها خلاصة معتقد النصارى في الإسلام وفي عقائد النصرانية، حيث يدلّل على صحة الديانة النصرانية، وعلى عدم حاجة العالم إلى القرآن، إذ جاءت التوراة بشريعة العدل، وجاء الإنجيل بشريعة الفضل، ولا يتبقى بعدهما جديد يحتاج الناس إليه[٣].

وتكشف الرسالة عن معرفة جيدة ودقيقة بالقرآن، فأكثرها نقول قرآنية احتجَّ بها المؤلف - جدلاً وشغباً - على المعتقدات النصرانية في الصّلب، والتثليث، والفداء، وصحة الأناجيل.

---

(١) د. محمد الفيومي، الاستشراق رسالة استعمار، ص: ٣٦٤ - ٣٦٥، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٢) رشا الصباح، الإسلام والمسيحية في العصور الوسطى، ص: ٨٥، مرجع سابق.

وانظر كتابي: منهج أهل السنة والجماعة في الردّ على النصارى ص ٦٣ - ٦٥، مكتبة التربية الإسلامية، القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

(٣) الرسالة منشورة بمجلة المشرق المسيحي، العدد (١٥) من السنة السابعة، عام ١٩٠٤م.

ونسخة أخرى - ننقل عنها - نشرها لويس شيخو في كتابه: «مقالات دينية قديمة لبعض مشاهير الكتبة النصارى»، ص: ١٥ - ٢٦، طبع الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٦م.

وعلى الرغم من أهمية الرسالة فإن صاحبها مجهول، حتى إن (لويس شيخو) ظنّ أن (بولس الأنطاكي) كان يعيش في القرن الثالث عشر الميلادي[1]، وهذا غير صحيح، فالرسالة من أوائل الجدليات التنصيرية، ولو تأمّل (لويس شيخو) قول (بولس الأنطاكي) في نص الرسالة عند حديثه عن الأناجيل لعلمَ خطأ تقديره لتاريخ ظهور رسالة (بولس الأنطاكي)، يقول (الأنطاكي): «وأما تعظيمه لإنجيلنا وكتبنا التي في أيدينا فقوله: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦]، ثم قوله -أيضاً-: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤]، فثبت بهذا المعنى ما معنا، ونفى عن إنجيلنا وكتبنا التّهم بالتبديل لها والتغيير لما فيها بتصديقه إياها.

قلت: فإن قال قائل: إن التبديل قد يجوز أن يكون بعد هذا القول.

قالوا: هذا ما لا يجوز لقائل أن يقوله؛ لأن كتبنا قد جاز عليها من نحو ستمائة سنة وصارت في أيدي الناس يقرؤونها باختلاف ألسنتهم»[2].

فالنص واضح في تحديد زمن كتابة الرسالة بالنصف الأول من القرن السابع الميلادي - الأول الهجري.

٦ - ابن كمونة اليهودي (ت ١٢٨٤م):

---

(١) لويس شيخو، مقالات دينية قديمة، ص: ١، مرجع سابق.

- لويس شيخو، المخطوطات العربية لكتبة النصرانية، ص: ٦٩، طبع الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٤م.

(٢) رسالة بولس أسقف صيدا الراهب الأنطاكي، ص ١٧ من نشرة لويس شيخو، مرجع سابق.

يُعَدُّ (ابن كمونة) أول دارس يهودي للقرآن الكريم، وقد ضمّن جدلياته ضد القرآن كتابه (تنقيح الأبحاث للملَل الثلاث)، فعقد فصلاً للقرآن الكريم أورد فيه خمسة عشر اعتراضاً على القرآن، منها ثلاثة تتعلق بأصالة القرآن الكريم، وهي:

أ - لِمَ لا يجوز أن يكون القرآن أُنزل على نبي آخر دعا محمداً أولاً إلى دينه وإلى هذا الكتاب فأخذه محمد منه وقتله[١]؟

ب - يحتمل أن محمداً طالع في كتب من تقدّمه أو سمعها فانتخب أجودها، وضمّ البعض إلى البعض[٢].

ج - كيف يستبعد سماعه ذلك من الآخرين وقد سافر إلى الشام قبل دعواه النبوة مرتين، وهي مملكة أهل الكتاب؟ وأيضاً فقد كان في العرب من أهل الكتاب جماعة فلا يبعد أنه سمع ذلك منهم[٣]؟

وقد تسببت جدليات (ابن كمونة) ضدّ أصالة القرآن الكريم في هياج العامة عليه ومحاصرة داره إلا أنه تمكن من الهرب، واختفى عدة أيام توفي بعدها[٤].

وتُعدّ مرحلة بدايات الدراسات النصرانية في المشرق من أهم أدوار الدراسات النصرانية وأخطرها،

---

(١) سعد بن منصور بن كمونة، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، ص: ٧٠، نشرة موسى برلمان، مطبوعات جامعة كاليفورنيا.

(٢) السابق.

(٣) السابق، ص: ٨٩.

(٤) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، ص: ٤٤١ - ٤٤٢، بتحقيق: مصطفى جواد، بغداد، ١٩٣٢م.

وانظر: الدكتور سعد العتيبي، نفوذ اليهود في عهد المغول الإيلخانيين، ص: ٥١٨ - ٥١٩، مجلة الدرعية، (عدد ٦، ٧)، ربيع الآخر - رجب ١٤٢٠هـ/ أغسطس - نوفمبر ١٩٩٩م.

إذ شكّلت قاعدة الجدل والأساس الذي بنى عليه الغربيون دراساتهم وجدلياتهم في مراحل البحث وأدواره المختلفة، وبالإضافة إلى هذه الملاحظة هناك ملاحظتان أخريان جديرتان بالرصد، هما:

١ - أن الدراسات في هذه المرحلة جهد فردي يتوقف على قدرات الدارس وثقافته، لكن بسبب إجادة الدارسين للغة القرآن الكريم ، فقد جاءت دراساتهم مكتظة باستشهادات مغلوطة من النصوص القرآنية مما أعطى لها نفوذاً روحياً وفكرياً وعقائدياً على النتاج الغربي في الدراسات القرآنية بأكمله، ولا يخفى في هذا الشأن المكانة المرموقة التي تبوّأتها طروحات (يوحنا الدمشقي) ، الذي امتُدح بأنه لم يأت برأي أصيل إلا في الإسلام(١)، وطروحات (بولس الأنطاكي) التي تلقّتها الأوساط الغربية بالتقدير لما تمتاز به في نظرهم من ألفاظ جيدة، وآراء سديدة صائبة، وبراهين واستدلالات وحجج جلية(٢)، إلى حدّ دعوة بعضهم إلى الاكتفاء بها في بيان موقف النصرانية من الإسلام.

وكذلك آراء (عبد المسيّح الكندي) في رسالته الشهيرة التي أصبحت عمدة العمل التنصيري في مجال الإرساليات(٣).

٢ - عقم الجدل الذي تمثله تلك المرحلة، إذ إن الدارسين على اختلاف مشاربهم لم يزيدوا على تكرار الشبهات الجدلية لمشركي مكة، بعد أن قاموا بإحلال رموز يهودية - نصرانية محل رموز المشركين في الدعاوى التالية:

الدعوى الأولى : القرآن قول شاعر بإلهام شيطان الشعر :

---

(١) بابا دوبولس ، تاريخ كنيسة أنطاكية ، ص : ٥٢٨ ، منشورات النور ، بيروت ، ١٩٨٤م.

- لويس غرديه - جورج قنواتي ، فلسفة الفكر الديني (٢ / ٤٣) ، دار العلم للملايين ، ط١ ، بيروت ، ١٩٦٧م.

(٢) لويس شيخو ، مقالات دينية قديمة ، ص : ١ ، مرجع سابق.

(٣) أ. ل شاتيله ، الغارة على العالم الإسلامي ، ص : ٣٠ ، مرجع سابق.

حيث كان العرب يتوهمون أن لكل شاعر شيطاناً من الجن يقول الشعر على لسانه[1]، وهذا ما نفاه الله عن القرآن في قوله - تعالى - : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤١]، وفي قوله - تعالى - : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [التكوير: ٢٥].

فاستبدل المجادلون شيطان الشعر الجاهلي، وأحلّوا محله الراهب (النسطوري) الفاسق الملحد كما تصور (بارشولوميو الرهاوي)، أو أحلام اليقظة كما اقترح (يوحنا الدمشقي).

الدعوى الثانية: بشرية مصدر القرآن:

زعم المشركون أن الرسول ﷺ قد تعلّم من صبي حدّاد: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، فجعل (الدمشقي) وتلميذه (أبو قرة) من هذا البشر هو (بحيرا) الراهب الأريوسي.

ولما زعم المشركون جماعية مصدر تعليم الرسول القرآن: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: ٤]، زاوج (ابن كمونة) في احتمالاته وأرجحها بين (بحيرا) الراهب أو أحد أهل الكتاب ممن كانوا بمكة أو الشام.

الدعوى الثالثة: القرآن من أساطير الأولين:

قال - تعالى - : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفرقان: ٤ - ٥].

ففسّر مجادلو نصارى المشرق كلهم أساطير الأولين بأنها: قصص التوراة والإنجيل.

---

(١) د. حسن طبل، حول الإعجاز البلاغي للقرآن، ص: ١١٣، مكتبة الإيمان، ط١، مصر، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

ب -مرحلة الجدل البيزنطي:

البيزنطيون هم أول من كتب من الأوربيين ضد الإسلام والقرآن[1].

وكان أول هجوم مفصل على القرآن في أعمال «نيكتياس البيزنطي» في مقدمة كتابه (نقد الأكاذيب الموجودة في كتاب العرب المحمديين) . أما أكبر هجوم جدلي ضد القرآن فهو ما قام به إمبراطور بيزنطة (جان كنتا كوزين) في كتابيه (ضد تمجيد الملّة المحمدية)، و (ضد الصلوات والتراتيل المحمدية) ، وكان هذا الهجوم باللغة اليونانية[2].

ج -مرحلة الأندلس:

كانت فترة الحكم الإسلامي للأندلس عصر ازدهار علمي وحضاري في مختلف الجوانب، وفيها ارتفع صوت الحرية الدينية والنقاش حول قضايا الأديان والعقائد، وقد استغلّ المنصّرون ذلك فصنّفوا مؤلفات جدلية كثيرة ضد الإسلام ، وتصدّى لهم علماء الإسلام ردّاً وتفنيداً، مثل: ابن حزم والقرطبي وأبي الوليد الباجي.... إلخ.

وتكمن أهمية هذا الدور من أدوار الدراسات النصرانية للقرآن في أنه كان معبراً أساسياً وبرزخاً انتقلت خلاله الدراسات القرآنية إلى الغرب.

---

(١) عبد اللطيف الطيباوي ، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية ، ص : ٥١٧ ، الترجمة العربية الملحقة بكتاب الفكر الإسلامي الحديث ، د. محمد البهي ، مكتبة وهبة ، ط ٨ ، ١٩٧٥م.

- محمد الفيومي ، الاستشراق رسالة استعمار ، ص : ٣٧٣ ، مرجع سابق.

(٢) عبد الرحمن بدوي ، دفاع عن القرآن ضد منتقديه ، ص : ٥ ، دار الجليل ، ط١ ، بترجمة : كمال جاد الله ، القاهرة ، ١٩٩٧م.

وأبرز الأمثلة على ذلك: كتاب (نقض الفقهاء Contrarietas elfolica) لأحد النصارى الإسبان، الذي كان له تأثير بالغ على (ريكولدو دي مونت كروس RICOLDUS DE MONTE CRUCIS) الحانق على الإسلام، وقد أفاد (كروس) من هذا الكتاب في تصنيف أشهر كتبه (تفنيد القرآن Canfutatia Alcorani) الذي عُني به (مارتن لوثر) وسارع إلى ترجمته للألمانية عام ١٥٤٢م[١].

د -مرحلة الحروب الصليبية (٤٩١هـ -١٠٨٩م،٦٩٠ هـ -١٢٩١م):

بدأت الحروب الصليبية بخُطب البابا (أوربانوس الثاني) في (كليرمون فيران Clermont - Ferrand) بفرنسا، وإعلانه الحرب على الإسلام والمسلمين، ووعده المشاركين فيها بالفوز ببركة الكنيسة وبالغفران الكامل لخطاياهم مكافأة لهم على حمل السلاح تحت راية الصليب[٢].

وكان (بطرس الناسك) ذا أثر كبير في تعبئة العامة من أجل النهوض بأعباء القتال والحملات الصليبية[٣].

ولما كانت الحروب الصليبية التي امتدّت قرنين من الزمان «لتدمير الإسلام»[٤]، فإن عهدها يُعدّ لدى المنصرين «أروع العهود في العصور الوسطى كلها»[٥].

وقد استمرت الحروب الصليبية على المستوى الدولي، وفي ذلك - كما يقول (روم لاندرو) - برهان قاطع على أن كرّ السنين لم يخفف إلا قليلاً من أعمال اللاتسامح التي قام بها الصليبيون باسم الله[٦].

(١) قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، ص: ٦١.

(٢) روم لاندرو، الإسلام والعرب، ص: ١٢٢، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ١٩٧٧م.

(٣) السابق، ص: ١٢٤.

(٤) فروخ الخالدي، التبشير والاستعمار، ص: ١١٥.

(٥) Julius Richter , Ahistory of the Protestant Missions in The Near East , P. ١٤ , New York ١٩١٠ .

(٦) روم لاندرو، الإسلام والعرب، ص: ١٣١ - ١٣٢.

وتزامن مع عمليات الإبادة الجماعية التي مارسها الصليبيون ضد المسلمين حركة بحث ودراسات واسعة استهدفت أصالة القرآن الكريم على يد عدد من الدارسين المشهورين في العصور الوسطى، لكن أبرز ما يميز تلك المرحلة هو كونها إرهاصاً بظهور التنصير المؤسَّسي (الرسمي) عقب نهاية حرب الفرسان حاملي السيف والصليب، كذلك فإن أهم نتاج هذه المرحلة هو ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية تلك الترجمة التي كانت محل دراسة موسعة في الفصل الأول.

وأهمّ الرموز الغربية لدارسي القرآن في هذه المرحلة، هم:

١ - (بطرس المحترم PETRUSVENERABILIS) (١٠٩٢ -١١٥٦م):

(بطرس المحترم) هو أول جدليّ ضد الإسلام في الكنيسة الغربية كما يقول المنصِّر (إديسون)[١]، وهو راهب لاهوتيّ رئيس لدير «كلوني» الذي سيقوم بدور كبير في حركة الجدل الغربي ضد أصالة القرآن.

وقد قام برحلة إلى الأندلس، ألّف عقب عودته منها كتاباً في الردّ على الإسلام والقرآن عام ١١٤٣ م، وأمر بترجمة القرآن إلى اللغة اللاتينية[٢].

٢ - (روجر بيكون الراهب الفرنسيسكاني ROGERBACON) (١٢١٤ -١٢٩٤م):

وجّه (بيكون) رسالة إلى البابا (إكليمنص الرابع) سنة ١٢٦٦م ضمَّنها دعوته إلى[٣]:

- وجوب إدخال اللغات الأجنبية إلى مناهج الدراسات الجامعية وبخاصة اللغة العربية للإفادة منها كوسيلة للتبشير ضد الإسلام.

---

(١) قاسم السامرائي، مرجع سابق، ص: ٧٨.

(٢) Trevor - Roper , Hugh , The Rise of Christian Europe , P ١٤٥ , Oslo - London ١٩٧٨ .

(٣) نجيب العقيقي، المستشرقون: (١ / ١٢٠)، دار المعارف، ط٤، مصر.

- دراسة أحوال المسلمين للوقوف على الطرق التي يمكن النفاذ منها إلى هدم عقيدتهم وتقويضها.

٣ - (وليم الطرابلسي WILLIAM OF TRIPOLI) (١٢٧٣م):

صنّف مؤلّفاً حول القرآن، جاء فيه: «بعد أن مات (محمد) أراد أنصاره أن يعالجوا العقيدة والشريعة معالجة شاملة قائمة على تعاليمه، فلما تبيّنوا أن الرجل الذي نيط به العمل لم يرزق الكفاية اللازمة لأداء ذلك على الوجه الأكمل طلبوا إلى اليهود والمسيحيين الذين أسلموا أن يساعدوه، وعند ذلك رأى هؤلاء من الأفضل أن ينتقوا فقرات مناسبة من العهد القديم والجديد، وأن يمزجوها بالكتاب كيفما اتفق، وبذا أصبح الكتاب على عظيم من الرونق والجمال المنقول من الكتب المنزلة ما بين مسيحية ويهودية»[(١)].

٤ - (ريموند مارتيني RAYMOND MARTINI) (١٢٢٠ - ١٢٨٤م):

راهب مبشر دومينيكاني إسباني، تبحّر في دراسة القرآن، واجتهد في الجدل ضده، فألّف كتاباً بعنوان: (الخلاصة ضد القرآن)، وبلغت به رغبته في تفنيد القرآن أن حاول معارضته بعد أن علم أنه معجزة النبي ﷺ، فوضع سورة غاية في السخافة والسقامة[(٢)] كما سبق ذكرها[(٣)].

وبصرف النظر عن مدى سقم محاولة (مارتيني) إلا أنها تكشف عن قفزة كبيرة وتطور في مستوى الدراسات القرآنية في عهد الحروب الصليبية، وانتقالها من مجرد الطعن في أصالة القرآن إلى محاولة المعارضة، وفي هذا دليل كاف على عدم دقة ما ذهب إليه الدكتور عبد الرحمن بدوي من: أن الجدل ضد القرآن بدأ في المسيحية الغربية على يد (نيقولا دي كوزا

---

(١) محمد الفيومي، الاستشراق رسالة استعمار، ص: ٣٦٨.

(٢) عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص: ٢١٣ - ٢١٥، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ١٩٨٩م.

(٣) انظر: ص ٥٠ من هذا الكتاب.

NIKOLAUS VON KUES) (١٤٠١ - ١٤٦٤م)[1].

هـ ـــ مرحلة التنصير المؤسَّسِي(الرسمي):

بدأت هذه المرحلة إثرَ فشل الحروب الصليبية في تدمير الإسلام، فعندما خابت دول أوروبا في الحروب الصليبية الأولى من طريق السيف أرادت أن تثير على المسلمين حرباً صليبية جديدة من طريق التبشير[2].

وقد جاء هذا التحول بناء على وصية القديس (لويس التاسع) ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية السابقة التي انتهت بالفشل ووقوع (لويس) نفسه في الأسر والسجن في مدينة المنصورة بمصر.

وتلفت الوصية الأنظار إلى صعوبة قهر المسلمين عن طريق القوة بسبب روح الجهاد لديهم، وتوصي بتلمّس طريق الغزو الفكري الهادف إلى دحض العقائد الإسلامية وتزييفها[3].

ويمكن القول بأن بطل هذه المرحلة بلا منازع هو (ريموند لول Raymond Lull) وهو مبشِّر حانق على الإسلام، كان حلم حياته هدم الإسلام، وصرف حياته لمهمة تنصير المسلمين، وسعى جاهداً لتحقيق هدفه من طريقين[4]:

- طريق شخصي بتصنيف المؤلفات والكتب الجدلية ضد الإسلام والقرآن.

---

(١) عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن، ص: ٥.

(٢) Julius Richter, A history of the Protestant Missions in the Near East, P.١٤.

(٣) علي جريشة - محمد الزيبق، أساليب الغزو الفكري، ص: ٢١، ط٢، دار الاعتصام، مصر.

(٤) أرنست رينان، ابن رشد والرشدية، عادل زعيتر، ص: ٢٦٧، القاهرة، ١٩٥٧م.

- يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ص: ٢٦ - ٢٧، بترجمة: عمر العالم، ط ١، دار قتيبة، دمشق - بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

- سعيد عاشور، الحركة الصليبية: (٢ / ١٢٧٩)، مكتبة الأنجلو المصرية، ج١، القاهرة، ١٩٦٣ م.

- طريق مؤسَّسي، بإقناع ملك (ميورقة) بإنشاء كلية (الثالوث المقدس) لإعداد المبشّرين للعمل ضد الإسلام وفي الغرب بتقديم ثلاث عرائض إلى البابا (كليمان الخامس) لإنشاء كلية للدراسات العربية، وعدد من كراسي تعليم اللغة العربية في الجامعات المختلفة لتكون من أهمّ وسائل الجدل ضد الإسلام والقرآن، وأفضل الوسائل لتنصير المسلمين.

وبالفعل نجحت مساعي (ريموند لول Raymond Lull) المؤسَّسية، فقد أمر (يعقوب الأول) ملك (ميورقة) بإنشاء كلية (الثالوث المقدس) لإعداد المبشرين وقام (لول) نفسه بإعدادهم فيها[١].

وقرّر مجمع فيينا الكنسي (١٣١١م) إنشاء خمسة كراسي لتعليم اللغة العربية في أكبر خمس جامعات في أوروبا (باريس، أكسفورد، بولونيا، سلمنكا، جامعة الإدارة المركزية البابوية)، وعيَّن للتدريس فيها مدرسين كاثوليكيين[٢].

ويُعدّ هذا القرار الكنسيّ البداية الرسمية للتنصير المؤسَّسي في الغرب، إذ أثمر عن ظهور أكبر مؤسستين غربيتين تنصيريتين للعمل ضد الإسلام والقرآن حتى اليوم، وهما:

المؤسسة الأولى: التبشير:

كانت كلية (الثالوث المقدس) القاعدة التي انطلق منها التنصير المؤسَّسي، فهي أولى لبنات مؤسسة التبشير ضد الإسلام، ولم يكن (ريموند لول) أول معلم فيها فقط، بل كان «أول من مارس التبشير ضد الإسلام، فجال في بلاده وناقش علماءه»[٣].

---

(١) سعيد عاشور، الحركة الصليبية: (٢/ ١٢٧٩)، مكتبة الأنجلو المصرية، ج١، القاهرة، ١٩٦٣م.

- يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ص: ٢٦ - ٢٧، مرجع سابق.

(٢) يوهان فوك، ص: ٣١، مرجع سابق.

(٣) أ. ل. شاتليه، الغارة على العالم الإسلامي، ص: ١٢ - ١٣، مرجع سابق.

ولما كان الرهبان ورجال الدين النصارى يؤلفون الطبقة المتعلمة في أوروبا ؛ فكان من الطبيعي أن يقودوا العمل التبشيري ضد الإسلام ؛ نظراً لمعرفتهم لغات المسلمين، فأصبحت الكنائس والأديرة مرتكزات وقواعد للعمل التبشيري لتخريج أهل الجدل الذين يجادلون ضد الإسلام والقرآن[1].

ومن أوائل المبشرين الرهبان الجدليين ضد القرآن الراهب الدومينيكاني (ريكولدو دي مونت كروس RICOLDUS DE MONTE CRUCIS) (١٢٤٣ -١٣٢٠م) الذي بعثه البابا (نقولا الرابع) إلى الشرق، فتجوّل مبشّراً في فلسطين ومجادلاً باللغة العربية ضد القرآن، ثم ألّف أهم الكتب الجدلية ضد القرآن بعنوان:

(الجدل ضد المسلمين والقرآن Disputatio Contra Saracenos et Alchoranem)[2].

ثم كتب الكاردينال (نيقولا دي كوزا NIKOLAUS VON KUES) (١٤٠١ - ١٤٦٤) بتوجيه من البابا (بيوس الثاني) :

١ - نقد الإسلام وتفنيده.

٢ - غربلة القرآن[3].

وقام عدد من الآباء الدومينيكانيين والجزويت بتصنيف جدليات ضد القرآن ، منهم[4]:

- (دينيس DENIS) ، (حول الخداع المحمدي) ١٥٣٣م.

- (ألفونس سينا ALFONS SINA) ، (التحصين الإيماني) ١٤٩١م.

---

(١) نجيب العفيفي ، المستشرقون (١ / ١٠٤) ، مرجع سابق.

(٢) عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص : ٢١١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٩م.

(٣) عبد الرحمن بدوي ، دفاع عن القرآن ، ص : ٥ ، مرجع سابق.

(٤) السابق ، ص : ٦.

- (جان دي تيريكريماتا JAN DE TERE CREMATE)، (بحث للرد على الأخطاء الرئيسية الخادعة لمحمد) ١٦٠٦م.

- (لويس فييف LEWIS VIEV)، (الإيمان المسيحي الحقيقي ضد المحمديين) ١٥٤٣م.

- (ميشيل نان MICHAEL NAN)، (الكنيسة الرومانية اليونانية في الشكل والمضمون للدين المسيحي ضد القرآن والقرآنيين دفاعاً وبرهاناً) ١٦٨٠م.

- (لودو فيجو مراتشي LUDWIGO MARRACCI)، (مقدمة في دحض القرآن) ١٦٩٨م.

وبرز من المبشرين الجدليين ضد القرآن في العصر الحديث كل من:

١- (هنري لامانس HENRI LAMMENS)، مبشر يسوعي وراهب متعصب، خلف (لويس شيخو) في إدارة مجلة المشرق، وإدارة المجلة التبشيرية (البشير)، وقد أودع جدليته ضدّ القرآن في مقاله: «هل كان محمد أميناً؟»، وفي كتابه «الإسلام: عقائد ونظم»[1].

٢- (وليم موير WILLIAM MUIR) (١٨١٩ - ١٩٠٥م)، مبشر إنجليزي أحد أعضاء البعثة التبشيرية الإنجليزية في شمال الهند، كتب جدليتين ضد القرآن:

- «القرآن: تأليفه وتعالمه» ١٨٧٧م.
- «الجدال مع الإسلام» ١٨٩٧م[2].

٣- (ريتشارد بل RICHARD BELL) (توفي في النصف الثاني من القرن العشرين)، أحد

(١) عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص: ٣٤٨ - ٣٤٩.

(٢) عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص: ٤٠٤ - ٤٠٥، مرجع سابق.

رجال الدين المسيحي وصرف سنين كثيرة في دراسة القرآن[١]، وله في الجدل ضد القرآن عدة كتب ومقالات تبرز التأثير المسيحي على النبي ﷺ، وأهمّها: مقدمته لترجمة القرآن التي ضمّنها جدليته الأساسية ضد أصالة القرآن الكريم.

٤- (سانت كلير تسدال SAINT CLAIR TISDALL) (توفي في أوائل القرن العشرين)، قسيس مبشر في إيران[٢]، صنّف أعنف وأخطر جدلية ضد أصالة القرآن الكريم: «المصادر الأصلية للقرآن» وكتبها بالألمانية، ثم ترجمها المبشّر (وليم موير WILLIAM MUIR) إلى الإنجليزية[٣].

٥- (آرثر جيفري ARTHER JEVRY) (توفي في النصف الثاني من القرن العشرين)، من محرري مجلة العالم الإسلامي التبشيرية وأبرز كتّابها، وقد بُعث للعمل في الجامعة الأمريكية في بيروت، ثم للتبشير في أمريكا اللاتينية، ثم إلى مدرسة اللغات الشرقية بالقاهرة.

وله عدة جدليات ضد القرآن الكريم وأصالته، نُشر بعضها في مجلة العالم الإسلامي ١٩٣٥م، ونشر بعضها في كتابه «مصادر تاريخ القرآن»، وأودع بقيتها في مقدمة تحقيقه لكتاب «المصاحف» لأبي بكر بن أبي داود[٤].

٦- (آرينز AHRRENS)، مبشر، له جدلية بعنوان: «عناصر نصرانية في القرآن»[٥].

---

(١) العقيقي، المستشرقون (٢/ ٩٣ - ٩٤).

(٢) أ. ل. شاتليه، الغارة على العالم الإسلامي، ص: ٣٦.

(٣) Saint Clair Tisdall, The Original Sources of the Qur'an , Landon , ١٩٠٥ .

(٤) إسماعيل سالم عبد العالم، المستشرقون والقرآن: (١/ ٢٥)، سلسلة دعوة الحق عن رابطة العالم الإسلامي، العدد ١٠٤، مكة المكرمة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، وقد قام - رحمه الله - بالرد التفصيلي على مقدمة جيفري لكتاب المصاحف.

(٥) العقيقي، المستشرقون (٣/ ٥٣٧).

٧- (كينث كراج KENNETH GRAGG)، خليفة (زويمر) في توجيه النشاط التبشيري في منطقة الشرق الأوسط، ورئيس تحرير مجلة العالم الإسلامي التبشيرية، ورئيس مؤتمر التبشير المنعقد في أكسفورد عام (١٩٨٦)، له جدليتان ضد أصالة القرآن، طبعتا أكثر من مرة لمساعدة وعاظ التنصير، وهما: «نداء المئذنة»، «القبة والصخرة».

٨ - (بول بوبارد PAUL POUPARD)، راهب فرنسي معاصر، أشرف على إعداد قاموس للأديان «Dictionnaire des Religions» نشرت طبعته الأولى عام ١٩٨٤م، وقامت على طبعه «المنشورات الجامعية الفرنسية»، وأنجز أغلب مواده أساتذة المعهد الكاثوليكي بباريس.

وقد ردّد المبشرون القائمون على الكتابة فيما يخص أصالة القرآن الجدليات القديمة نفسها، بإرجاع القرآن إلى الأصول التوراتية والإنجيلية التي وقف عليها النبي ﷺ، مستدلين على ذلك بالعناصر المشتركة بين القرآن وكُتب العهدين[١].

المؤسسة الثانية: الاستشراق:

بدأ الاستشراق بقانون كنسي حدّد مهمة المؤسسة الاستشراقية في التمهيد والإعداد لارتداد العرب إلى المسيحية[٢].

ولذلك نصّ قرار إنشاء كرسي اللغة العربية بجامعة كمبردج عام ١٦٣٦م - مثلاً - على أن الكرسي أنشئ: «بهدف توسيع حدود الكنيسة، ونشر المسيحية بين المسلمين الذين يعيشون في

---

(١) محمد عبد الواحد عسيري، صورة الإسلام والمسلمين في قاموس الأديان، ص: ٢٢ - ٢٤، بحث مقدم إلى ندوة: «مصادر المعلومات في العالم الإسلامي» المنعقدة في الرياض (٢٢ - ٢٥ رجب ١٤٢٠ هـ/ ٣١ أكتوبر- ٣ نوفمبر ١٩٩٩م).

(٣) Francis Dvornik, The Ecumenical Concils, PP. ٦٥ - ٦٦, Hawthorn Books New York ١٩٦١ .

الظلمات»[١].

ولم تقتصر جوانب التنصير في المؤسسة الاستشراقية على الهدف وسلطة الإنشاء، بل تعدَّتها إلى الممارسة والتنظيم.

فقد كان الرهبان في طليعة المستشرقين[٢]، ولا زالت لهم اليد العليا في العصر الحديث، حيث يزيد عددهم عن مائة راهب من: (البندكتيون، الفرنسيسكان، الكيوشيون، الكرمليون، الدومنيكان، البيض، اليسوعيين)[٣].

أما التنظيم والإعداد فقد اضطلع به الفاتيكان، واصطنع للمؤسسة الاستشراقية النفوذ لدى السلطات الحاكمة واضطلع بوسائل التمويل[٤].

وربما كانت الطبيعة التنصيرية الخالصة للمؤسسة الاستشراقية بعناصرها الأربعة: (سلطة الإنشاء، والهدف، والتنظيم، والممارسة)، تسبب الالتباس في أمر المؤسستين، وتحول في كثير من الأحيان دون التفرقة بين العمل التبشيري والعمل الاستشراقي.

لكن على الرغم من الطبيعة التنصيرية المشتركة بعناصرها الأربعة بين المؤسسة التبشيرية والمؤسسة الاستشراقية، فهناك فوارق بين المؤسستين تتمثل في أداة العمل التنصيري ومجاله، حيث إن: «الاستشراق أخذ صورة البحث العلمي، وادّعى لبحثه الطابع العلمي الأكاديمي، أما دعوة التبشير

---

(١) عبد اللطيف طيباوي، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، ص: ٤٧٧، مرجع سابق.

(٢) العقيقي، المستشرقون: (٣ / ٢٤٩)، مرجع سابق.

(٣) علي النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، ص: ٧٦، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٤) العقيقي، المستشرقون: (١ / ١٠٤)، مرجع سابق.

فقد بقيت في حدود مظاهر العقلية العامة، أي : العقلية الشعبية، وبينما استخدم الاستشراق الكتاب والمقال في المجلات العلمية ، وكرسي التدريس في الجامعة، والمناقشة في المؤتمرات العلمية العامة، سلك التبشير طريق التعليم المدرسي في دور الحضانة ودور الأطفال والمراحل الابتدائية والثانوية للذكور والإناث على السواء، كما سلك سبيل العمل الخيري الظاهري في المستشفيات ودور الضيافة والملاجئ للكبار ودور اليتامى واللقطاء»[1].

وهذا يعني أن مؤسسة التبشير استهدفت تنصير العامة وذوي الحاجات بما يناسبهما من وسائل، واختص الاستشراق بتنصير النخبة والمثقفين، بوسائط علمية وفكرية.

وهناك فارق آخر يمكن رصده، يتمثّل في المشاركة اليهودية في نشاط المؤسستين ، حيث شارك اليهود في الاستشراق بنسبة كبيرة وفعالة لا يمكن مقارنتها بالمشاركة الضئيلة في النشاط التبشيري وإن كان الدور التبشيري الخطير الذي مارسه (صموئيل زويمر) حركياً، وتنظيمياً، وجدلياً لا يمكن إنكاره.

أما فيما يخص الدراسات القرآنية والتكييف العقدي للإسلام، فإن المؤسستين تتفقان وتتحدان في استلهام التراث التنصيري للمراحل السابقة وإعادة أطروحاته الأساسية، وهي:

- الإسلام هرطقة مسيحية.
- محمد ﷺ نبي مزيف لا أخلاقي.
- القرآن تلفيق من كُتب العهدين القديم والجديد.

---

(١) محمد البهي ، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام ، ص : ٢ ، الإدارة العامة للثقافة ، مطبعة الأزهر ، القاهرة ، د. ت.

- الفكر الإسلامي الحديث ، ص : ٤٥٩ - ٤٦٠ ، ط ٨ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٧٥م.

لذلك فإنه كما يقول (إدوارد سعيد) ساخراً: «سيكون مستشرقاً بحّاثة ومختصاً ألمعياً ذلقاً في أيامنا هذه من يشير إلى الإسلام على أنه هرطقة آرية من الدرجة الثانية، وأن محمداً نبي لا أخلاقي، وأنه ألّف كتابه معتمداً على كتب التوراة والإنجيل»(١).

وقد وصلت الدراسات الغربية حول القرآن الكريم أقصى مدى لها، وبلغ الجدل التنصيري ضده ذروته في هذه المرحلة ، بفضل الوسائل والإمكانات التي توفرت للمؤسسة الاستشراقية، ومن أبرز الدراسات الغربية حول القرآن في هذه المرحلة (٢):

- دراسات ذات نزعة يهودية:

١- (الحاخام إبراهام جيجر ABRAHAM GEIGER):

- ماذا أخذ محمد من النصوص اليهودية؟ بون ١٨٣٣م ، ط ٢ ، ليبزج ١٩٠٢م، إعادة طبع ١٩٦٩م.

٢- (هيرشفيلد: HERRSCHWELD):

- العناصر اليهودية في القرآن، برلين ١٨٧٨م.

- مقالة في شرح القرآن، ليبزج ١٨٨٦م.

- أبحاث جديدة في فهم القرآن وتفسيره، لندن ١٩٠٢م.

٣- (سيدرسكي SIDERSKEY) :

---

(١) إدوارد سعيد ، الاستشراق ، ص : ٤٤ ، ٩٤.

(٢) راجع : إدوارد سعيد ، الاستشراق ، مرجع سابق.

- نجيب العقيقي ، المستشرقون : (٥٣١ - ٥٤١).

- عمر رضوان ، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره : (١ / ٢٢٠- ٢٣١).

- عبد الرحمن بدوي ، دفاع عن القرآن ، ص : ٢٣ - ٢٤.

- أصل الأساطير الإسلامية في القرآن، باريس ١٩٣٢م.

٤- (هورفيتز HORFETZ) :

- بحوث قرآنية، برلين - ليبزج ١٩٢٦م.

٥- (إسرائيل شابيرو ISRAEL SCHABIERO) :

- حكايات التوراتية في أجزاء القرآن، برلين ١٩٠٧م.

- عناصر من الهجادة في قصص القرآن ، ليبزج ١٩٠٧م.

٦- (فايل FAIEL) :

- التوراة في القرآن ، ١٨٣٥م.

٧- (جولدزيهر IGNAZ GOLDZIHER) :

- العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة : محمد يوسف موسى وزميله، القاهرة، ١٩٤٨م.

٨- (س. د. جويتين S. D. GOITEIN) :

- اليهود والعرب: علاقاتهم عبر التاريخ ، نيويورك ، ١٩٥٥م.

٩- (بيرنات هيللر BERNAT HELLER) :

- عناصر يهودية في مصطلحات القرآن الدينية، ١٩٨٢م.

١٠- (جوزيف هاليفي JOSEF HALLEFY) :

- السامريون في القرآن ، المجلة الآسيوية، ١٩٠٨م.

١١- (ج فانسبرف G. VANSBERV):

- المصادر وطرق لتفسير الكتاب المقدس ، طُبع بتمويل من جامعة لندن ، عام ١٩٧٢م.

١٢- (ميشائيل كوك MICHAEL COOK) :

- محمد، مطابع جامعة أكسفورد ، ١٩٨٧م.

١٣-(رودي بارت RUDI PARET) :

- محمد والقرآن : تاريخ النبي العربي ودعوته ، نشر دار كول هامر ، ضمن سلسلة أربان الألمانية ، عام ١٩٥٧م، وأُعيد طبعه ١٩٦٦م.

-دراسات ذات توجّه مسيحي:

١- (ج. بوستل G. POSTEL) :

- توافق القرآن والإنجيل، ١٥٤٣م.

٢- (كراديفو KRADEVO) :

- راهب بحيرا والقرآن، ١٨٩٨م.

٣- (فلهلم رودلف WILHILM RUDULF) :

- صلة القرآن باليهودية والمسيحية، بترجمة : عصام الدين حفني ناصف، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٤م.

٤- (جون بيرتون JOHN BERTTON) :

- جمع القرآن، جامعة كمبردج ، ١٩٧٧م.

٥- (ريجي بلاشير REGIS BLACHERE) :

- القرآن، بترجمة : رضا سعادة، وإشراف : الأب فريد جبر، دار الطليعة، بيروت ، ١٩٧٤م.

٦- (وولكر باسيلي WOLLKER PASELY) :

- طابع الإنجيل في القرآن، ١٩٣١م.

٧- (بوم شتارك BOOM STARK) :

- مذهب الطبيعة الواحدة في القرآن، مجلة المشرق المسيحي ، ١٩٥٣م .

٨- (سترشتين SETRISTEIN) :

- القرآن: الإنجيل المحمدي، ١٩١٨م.

٩- (ريتشارد بيل RICHARD BELL) :

- أصل القرآن في بيئته المسيحية، لندن ، ١٩٢٦م، وأُعيد طبعه عام ١٩٦٨م.

١٠- (تور أندريا TOR ANDERIA) :

أصل الإسلام والمسيحية، أوسلو ، ١٩٢٦م.

ويلاحظ أن مرحلة التنصير المؤسّسي كانت أكثر المراحل وأبعدها أثراً في الدراسات القرآنية في الغرب، وذلك لطول فترتها الزمنية منذ بدايتها ١٣١١م حتى اليوم، ولضخامة الجيش العامل في مؤسستيها: التبشير والاستشراق ، وكذلك عِظَم الإمكانات المسخرة لعمل المؤسستين.

ويكفي دليلاً على ذلك الطابور الخامس من المثقفين الذين أفرزتهم المرحلة من الباحثين المسلمين (الجالسين تحت أقدام المستشرقين كما وصفهم إدوارد سعيد)، الذين ردّدوا الأطروحات الغربية نفسها، وكان لهم أثر بالغ في محيط ثقافي واسع، مثل: (طه حسين) بكتابه «في الشعر الجاهلي»، (محمد خلف الله) بكتابه: «الفن القصصي في القرآن الكريم»، (محمد أركون) بكتابه «الفكر العربي» ، وبحثه المنشور عام ١٩٧٧ «مسألة صحة نسبة القرآن إلى الله»، (نصر حامد أبو زيد) بكتابه «مفهوم النص»... إلخ.

المبحث الرابع

الاتجاهات الغربية في دراسة القرآن الكريم

سار الغربيون في دراساتهم للقرآن الكريم في عدة اتجاهات، سعوا من خلالها إلى نفي ربانية مصدر القرآن، وهي:

الاتجاه الأول: البحوث التنصيرية حول القرآن:

بدأ هذا المسلك مع بداية مرحلة التنصير المؤسّسي، حيث عكفت مؤسستا التنصير: التبشير والاستشراق على إجراء بحوث ودراسات حول القرآن لتقرير إنسانية مصدره، وتطبيق مناهج نقد النصوص الأدبية على القرآن.

وقد أسهمت مدرسة النقد التاريخي في الغرب - التي أسسها الكاثوليكي (ريتشارد سيمون RIECHARD SIMON) بكتابه «التاريخ النقدي للعهد القديم» عام ١٦٧٨م[1]- بدور فعّال في هذا المجال، حيث تناولت القرآن الكريم ضمن مبحثين من مباحث النقد التاريخي للنصوص، وهما:

---

(١) ظنّ الدكتور محمد خليفة حسن في كتابه - «آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية»، ص: ١٠٣، دار عين للبحوث والدراسات، القاهرة، ١٩٩٧م -أن (فلهاوزن) مؤسس علم النقد التاريخي، وهذا غير صحيح؛ لأن جهود (فلهاوزن) في اكتشاف مصادر التوراة الأربعة مسبوقة بجهود (ريتشارد سيمون) صاحب أول مؤلّف في علم النقد التاريخي، وتلته جهود خلفائه المذكورين في المتن، والذين اكتشفوا كلٌّ على حدة أحد مصادر التوراة الأربعة، وقام (فلهاوزن) بترتيبها وتصنيفها وكشف دلالاتها.

راجع في ذلك:

- Hans. Joachim Kraus , Geschichte der historisch - Kritischen Erforschung des Alten Tesament , Neukir chen - Vluyn. ١٩٦٩.

- Rudolf Smend , Epochen der Bibelkritik , Muenschen ١٩٩١.

أ- مصادر القرآن:

لم ير هذا المبحث النور إلا في أعقاب نجاح جهود مدرسة النقد التاريخي من خلال بحوث: (ريتشارد سيمون RIECHARD SIMON)، (يوهان سملر JOHANN SEMLERS)، القس الألماني (تلننج برنارد فيتر TLENNING BERNHARD WITTER)، (جان أستروك JEAN ASTRUC)، (كارل دافيد إيلجن KARL DAVID ELLGEN)، (دي فيته DE WETTE)، (هيرمان هوبفلد HERMANN HUPFELD)، (تيودور نولديكه THEODOR NOLDEKE)، (فلهاوزن WELHAUSEN) في اكتشاف الوثائق أو النسخ أو التقاليد (الكهنوتية - الإيلوهيمية - اليهوية - التثنية) التي شكلت مصادر كتابة التوراة على يد محرّريها من اليهود.

ولما كان الأخيران من رجال مدرسة النقد التاريخي (نولديكه NOLDEKE، وفلهاوزن WELHAUSEN) هما في الآن نفسه من كبار علماء المؤسسة الثانية من مؤسسات التنصير (الاستشراق)، فقد وجّها البحث في هذا المجال إلى القرآن الكريم، وذلك لإضفاء ثوب برّاق من العلمية والمنهجية الزائفة على الادعاء التنصيري القديم بأن القرآن تلفيقٌ من التوراة والإنجيل.

لذلك أصبح موضوع «مصادر القرآن» أو «مصادر الإسلام» فرعاً مستقلاً بذاته في دراسات مؤسّستي التنصير: الاستشراق والتبشير.

وقد حرص الباحثون الغربيون في هذا المجال على إرجاع كل كبيرة وصغيرة في القرآن إلى مصدر سابق سواء أكان دينياً أم غير ديني، وقد دارت مصادرهم المقترحة للقرآن الكريم حول مصادر ستة[1]:

١- الوسط الوثني في شبه جزيرة العرب (معتقدات، عادات، عبادات، أشعار)، وعلى الأخص شعر (أمية بن أبي الصلت).

---

(١) عمر رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره: (١ / ٢٣٧ - ٣٦٥).

- محمد الشرقاوي، الاستشراق، ص: ٨٤ - ١١٤، مطبعة المدينة، القاهرة، د. ت.

٢- الحنفاء.

٣- الصابئة.

٤- الزرادشتية وديانات الهند القديمة.

٥- النصرانية.

٦- اليهودية.

ومن بين الدراسات الغربية حول أصالة القرآن في هذا المجال:

١- المصادر الأصلية للقرآن، للمبشر البورتستانتي (سانت كلير تسدال SAINT CLAIR TISDALL).

٢- مصادر القصص الإسلامية في القرآن وقصص الأنبياء، (سيدرسكي SIDERSKEY)، باريس ١٩٣٢م.

٣- تاريخ الإسلام، إصدار: جامعة كمبردج عام ١٩٧٠م، بإشراف (برنارد لويس BEHRNARD LEWIS).

٤- مصادر القصص الكتابي في القرآن، (سباير SPAYER).

٥- مصادر تاريخ القرآن، (آرثر جيفري ARTHER JEVRY).

٦- محمد، (ميشائيل كوك MICHAEL COOK)، طبع: جامعة أكسفورد، ١٩٨٧م.

٧- القرآن والكتاب، الخوري الحداد، مطبعة حريصا البولسية، لبنان.

٨- مصادر الإسلام، المبشر (وليم موير WILLIAM MUIR)، لندن، ١٩٠١م.

وغيرها الكثير مما سبقت الإشارة إليه في النتاج الجدليّ لمرحلة التنصير المؤسّسي، واكتفينا بذكره في موضعه تجنّباً للتكرار.

ب - تاريخ القرآن :

أُدرج هذا الموضوع ضمن مباحث منهج النقد التاريخي التي عالجت كتاب العهد القديم والعهد الجديد معالجة تاريخية، بوصفهما عملين أدبيين بإسهامٍ إنساني يمثّل أرقى إنتاج إنساني متطور عبر العصور، لأنه لم يُؤَلَّف دفعة واحدة أو بقلم واحد، بل مرَّ بمراحل تطور تاريخية وأدبية يمكن رصدها وتحليلها، حيث مرّ في رحلة تكوينه : -تأليفاً وجمعاً وتثبيتاً- بما يزيد عن ألف عام بالنسبة للعهد القديم، وما يقارب نصف المدة بالنسبة للعهد الجديد، وفي تلك الرحلة الطويلة تغيّرت المضامين الدينية عبر مراحل التطور، وتغيّر البناء التركيبي للنصوص أدبياً ولغوياً، مما استوجب بحثاً نقدياً تاريخياً، يفسّر، ويبيّن، ويفصل ما بين تلك المراحل[1].

وقد صنّف باحثو الغرب من أتباع مدرسة النقد التاريخي عدة مؤلفات حول القرآن الكريم تضعه في مصافّ الأعمال ذات المراحل التطورية المتعاقبة، بما يعنيه ذلك من دمغ له بالبشرية، تصنيفاً، وتحريراً، وتطويراً.

ومن هذه المصنفات[2]:

١- تاريخ القرآن ، (بوتيه POTIEU) (١٨٠٠- ١٨٨٣م)، باريس، ١٩٠٤م.

٢- التطور التاريخي للقرآن، (إدوارد سل EDWARD SELL)، مدراس (الهند)، ١٨٩٨م.

٣- القرآن، فلهاوزن (WELHAUSEN) (١٨٤٤ - ١٩٨١م) ، مقال بالمجلة الشرقية الألمانية عام ١٩١٣م .

---

(١) محمد خليفة حسن ، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، ص : ١٠٢ ، مرجع سابق .

(٢) عمر رضوان ، آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره : (١/ ٢٢٠ - ٢٣١) .

- محمد خليفة حسن ، مرجع سابق ، ص : ١٠٣ - ١٠٤.

٤- مواد لدراسة تأريخ نص القرآن، (آرثرجفري ARTHER JEVERY) ليدن ، ١٩٣٧م.

٥- تـاريخ الـنص القـرآني، (أجنـاس جولدتـسهر IGNAZ GOLDZIHER)، جـوتنجن، ١٨٦٠م، وقد أعيد طبعه والتعليق عليه في مجلدين بواسطة (ف. شوالي)، ليبتزج، ١٩٠٩م.

٦- تاريخ النص القرآني، (نولديكه NOLDEKE).

٧- تاريخ قراءات القرآن، (برجشتراسر BERGECHTER ASER).

وذلك بخلاف المداخل التي صنّفها الدارسون الغربيون للتعريف بالقرآن الكريم وتناولت قضية «مصادر القرآن»، «تاريخ القرآن»، مثل: المدخل الذي وضـعه (بلاشـير BLACHERE) الفرنـسي ونُـشر في باريس ١٩٤٧م بعنوان «مدخل إلى القرآن»، وكـذلك المـدخل الـذي وضـعه (د. بـل D. BELL)، ونشر في أدنبرج ١٩٥٤م بعنوان «مدخل إلى القرآن».

الاتجاه الثاني: إصدار الدوريات والقواميس ودوائر المعارف المتخصصة:

من أبرز الدوريات الغربية المتخصصة في الدراسات القرآنية :

- مجلة (العالم الإسلامي، The Muslim World) التي أسسها القس الأمريكي (صمويل زويمر SAMUEL ZWEMER) ، ورأس تحريرها لمدة ستة وثلاثين عاماً، وخلفه فيها المنصِّر (كينيث كراج KENNETH GRAGG).

- ومجلة (الإسلام DER ISLAM) باللغة الألمانية والفرنسية والروسية، والتي أسسها الألماني (كارل هاينرش بيكر KARL HEINRICH BEKER) في مطلع القرن العشرين الميلادي.

- ومجلة (عالم الإسلام DIE WELT DES ISLAM) باللغة الألمانية .

ومن أهم دوائر المعارف الغربية في هذا المجال:

- «دائرة المعارف الإسلامية»[1]، التي صدرت طبعتها الأولى باللغات الثلاث: الإنجليزية والفرنسية والألمانية في الفترة من ١٩١٤م إلى ١٩٤٢م، وتوفَّر على إصدارها عتاةُ المستشرقين والمبشّرين بإشراف الاتحاد الدولي للمجامع العلمية، ولما نفدت هذه الطبعة بدأ إصدار طبعة جديدة اعتباراً من سنة ١٩٥٤م.

وبدأ صدور الترجمة العربية للطبعة الأولى منذ عام ١٩٣٤م، وفي عام ١٩٩٧م صدرت ترجمة كاملة لدائرة المعارف الإسلامية بالتعاون بين الهيئة المصرية العامة للكتاب ومركز الشارقة للإبداع الفكري.

وتُعدّ هذه الدائرة أضخم عمل مرجعي عن الإسلام، كما أنها تتصف بصفة العالمية، حيث شارك في تصنيفها قرابة ثلاثة آلاف مؤلف ينتمون إلى مختلف الجنسيات والديانات، مما أعطاها زخَماً كبيراً في مجال الدراسات القرآنية بما لها من انتشار وقبول.

وقد وفّرت كل تلك الخصائص للدائرة سمات العمل التنصيري الناجح في تشويه حقائق الإسلام وإثارة الشبهات حول أصالة القرآن.

يقول (فريد وجدي): «إن أكثر كُتّاب الدائرة قسس مبشّرون يهمهم أن يحيفوا الإسلام لا أن ينصفوه»، لذلك يصف (رشيد رضا) مباحث الدائرة بما فيها من أغلاط ومطاعن ومخالفة الحقائق،

---

(١) راجع: تاريخ نشأة الموسوعة وبيانات المؤلفين والموضوعات، لدى:

- محمد فتحي عبد الهادي، المصادر المرجعية العربية عن الإسلام والمسلمين، ص: ٨ – ١٠، ندوة: «مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي»، مرجع سابق.

- أعراب عبد الحميد، دائرة المعارف الإسلامية، ص: ٨ – ١٥، ندوة: «مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي»، مرجع سابق.

بأنها: «أضرُّ من شر كتب دعاة المبشّرين وصحفهم»[1]، أما أحدث دائرة للمعارف فهي دائرة (معارف القرآن ENCYCLOPEDIA OF THE QURAN)، بإشراف البروفيسور: (جاني دامن ماك وليف JANE DAMMEN MCAULIFFE) عميدة كلية الآداب بجامعة جورج تاون بالولايات المتحدة الأمريكية، وهي صادرة باللغة الإنجليزية في (٦٠٦) صفحة، عن (BRILL A CADEMIC PUBLISHERS) بالولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠٠٢م.

وقد رُتبت مواد الموسوعة ألف بائياً، وشملت الأعلام والأماكن والموضوعات الواردة في القرآن الكريم، وهي تتبنّى نهجاً تشكيكياً في أصالة وصحة وصدق الوحي القرآني، لذلك تتطلب دراسة مستقلة للرد التفصيلي على طروحاتها مع العناية بنشر هذا الرد خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، من أجل تصحيح المفاهيم المغلوطة، ودرء الشبهات والمزاعم التي تثيرها[2].

---

(١) أعراب عبد الحميد، دائرة المعارف الإسلامية، ص: ٩، ندوة: «مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي»، مرجع سابق.

(٢) راجع على سبيل المثال وليس الحصر:

أ- مادة (الحديث والقرآن) التي وضعها (ج. هـ. ا. جان بول): (٢/ ٣٧٦-٣٩٦)، والتي تكرر شبهات قدامى الغربيين حول جمع القرآن وترتيبه، مثل (شغالي ونولدكه).

ب- مادة (الإنجيل) التي وضعها (سيدني. هـ. جريفث): (٢/ ٣٤١-٣٤٣)، ومادة (يأجوج ومأجوج) التي وضعها (كيت ليفن شتين): (٢/ ٣٣١-٣٣٣)، ومادة (جالوت) التي وضعها (جيمس ليند ساي): (٢/ ٣٣٤-٣٣٥).

وجميعها تجعل من هذه القصص والأسماء تكراراً لنصوص الكتاب المقدس عند الغرب، بل تبدأ هذه المواد بإيراد النص المقدس لدى الغرب بوصفه الأساس والمصدر للقصص القرآني المقابل، وفي مادة (الإنجيل) يتهم مؤلفها جزءاً من القصص القرآني حول المسيح بعدم الصحة؛ لأنه يقابل نصوصاً في المؤلفات المنحولة في النصرانية أو في القصص الشعبي في المسيحية المبكرة.

ج- مادة (النحو والقرآن) التي وضعها (رفائيل تالموت): (٢/ ٣٤٦-٣٦٩)، والذي يجعل مصدر اللغة القرآنية ثلاث لغات، إحداها: لغة عربية من قبل الإسلام، ولغة شعرية، وأخرى دارجة ترجع إلى ما قبل العصر العباسي، وذلك لأجل إثبات فكرة تطور النص القرآني نحو الاكتمال من بعد وفاة النبي ﷺ. =

الاتجاه الثالث: ترويج المزاعم وإثارة الشبهات:

اتّجه الغربيون في دراساتهم حول القرآن منذ البداية إلى إثارة الشبهات والمزاعم حول المصدر الإلهي للقرآن الكريم، وكانت جدلية (الدمشقي) ضد الإسلام هي المنطلق والفرضية الأساسية التي بنيت عليها مزاعم وشبهات الدراسات الغربية حول أصالة القرآن الكريم.

فمنذ أرسى (الدمشقي) دعائم جدليته الأساسية «الإسلام هرطقة مسيحية»، ولا زال الفكر الغربي يردّدها عبر مراحله المختلفة، ففي العصور الوسطى تلقفها (توما الإكويني) الذي صبغ العصور الوسطى برؤيته، فوصف الإسلام بأنه دين زائف وهرطقة بدعية[(١)].

وفي العصر الحديث أكّد المبشر الأمريكي (ماكدونالد)، مؤسس مدرسة كنيدي لإعداد الإرساليات التبشيرية، وصاحب الدراسات الواسعة عن الإسلام ومؤلف أكثر من «مادة» من مواد دائرة المعارف الإسلامية، أكّد فيها على أن «الإسلام مسيحية مهرطقة»[(٢)].

وتجسدت هذه الجدلية في الأعمال الأدبية والفنية التنصيرية، ففي «الكوميديا الإلهية» لـ (دانتي) الذي كان يتبنّى الفلسفة اللاهوتية لـ (توما الإكويني)، يظهر محمد ﷺ في فصل (كانتو) ٢٨ من الجحيم، وقد وُضع في الدائرة الثامنة من دوائر الجحيم التسع، وهي دائرة من الخنادق الكئيبة التي تحيط بمعقل الشيطان ولا يفصل بين محمد ﷺ وقعر الجحيم - حيث يقبع الشيطان- سوى المزيفين والخونة، مثل: (يهوذا الإسخريوطي، وبروتس الروماني). كما أن عقابه فريد مثير للاشمئزاز، حيث يقطع نصفين من ذقنه إلى شقين، وهو يسوِّي بينه في استحقاق العقوبة وبين قسيس شهواني مرتد

د- مادة (الخير والشر) التي ألّفها (برانون. م. ويلر) وينفي فيها أن تكون تلك الألفاظ في القرآن الكريم قد تضمنت بُعْداً أخلاقياً، وذلك من أجل التأكيد على الاتهام الغربي للنبي والقرآن بأنه كتاب لا أخلاقي لنبي لا أخلاقي.

(١) Montgomery Watt, The Influence of Islam on Medieval Europe, p. ٧٤, Edinlburgh up ١٩٧٢.

(٢) إدوارد سعيد، الاستشراق، ص: ٢٢٠، مرجع سابق.

ادّعى لنفسه مكانة دينية بارزة اسمه (فرا دولشينو).

بينما يضع كُلاً من (ابن سينا وابن رشد وصلاح الدين) في الدائرة الأولى من الجحيم، حيث يقاسون أخف ألوان العقاب؛ لأنهم أفاضل فاتتهم فقط نعمة الوحي المسيحي[١].

وقد ترتب على هذه الجدلية الادّعاء بأن القرآن ليس كتاباً سماوياً أصيلاً بل كتاب هرطقة، وهو ما تفرع عنه زعمان وشبهتان رئيستان روّجتهما دوائر البحث الغربية في دراساتها حول القرآن، وهما:

أ - القرآن تلْفيق من اليهودية والنصرانية:

يقول اليهودي الألماني (إبراهام جيجر ABRAHAM GEIGER) في كتابه «ماذا اقتبس محمد من اليهودية؟ ، WAS HAT MOHAMMED AUS DEM JUDENTUM AUFGENOMMEN ?» :

«إن القرآن مأخوذ باللفظ أو بالمعنى من كتب اليهود»[٢].

ويؤكد اليهودي (برنارد لويس BERNAHRD LEWIS): «أن محمداً خضع للتأثيرات اليهودية والمسيحية كما يبدو ذلك واضحاً في القرآن»[٣].

ويشرح (جولدتسهر GOLDZIHER) قائلاً: «تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتّصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثراً عميقاً، والتي رآها جديرة بأن توقظ في بني وطنه عاطفة دينية صادقة... فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار

(١) إدوارد سعيد، الاستشراق، ص: ٩٧، مرجع سابق.

(٢) نقلاً عن: محمد صالح البنداق، مرجع سابق، ص: ١٠٨.

(٣) نقلاً عن: عبد الحميد غراب، مرجع سابق، ص: ١١٢.

يعتبر هذه التعاليم وحياً إلهياً»[١].

ويستدل (الخوري الحداد) المبشّر اللبناني في جدليته الضخمة ضد أصالة القرآن[٢]، على صحة مزاعم أسلافه من المنصرين الغربيين، بقوله: «فوجود العالِم المسيحي ورقة بن نوفل في جوار محمد خمسة عشر عاماً قبل البعثة، وأعواماً بعدها في أوائل الدعوة، ووجود هذه الحاشية الكريمة في المدينة مع النبي في كل زمان ومكان حجة قاطعة على أن بيئة النبي والقرآن كانت كتابية من كل نواحيها، وأن ثقافة محمد والقرآن كتابية في كل مظاهرها، وذلك بمعزل عن الوحي والتنزيل»[٣].

ب - القرآن تكرار لقصص العهد القديم والجديد :

ساقت الدراسات الغربية هذا الزعم تخصيصاً لما أجمل في الشبهة السابقة، استناداً إلى العناصر المشتركة بين القصص القرآني وقصص العَهْدين.

---

(١) جولدتسهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص: ١٢، بترجمة: محمد يوسف موسى وآخرون، القاهرة، ١٩٤٨م.

(٢) صدرت هذه الجدلية منتصف القرن العشرين في أربع مجلدات طبعتها مطبعة حريصا البولسية في لبنان بعنوان «دروس قرآنية»، مع عنوان خاص لكل كتاب، يجسد فيه مضمون جدليته، وجاءت على النحو التالي:

١ - الإنجيل والقرآن.

٢ - القرآن والكتاب.

٣ - القرآن والكتاب وهو تكملة للجزء الثاني.

٤ - نظم القرآن والكتاب، وقد تصدى له الشيخ (محمد عزة دروزة) في ردٍّ تفصيلي في كتابه «القرآن والمبشرون» الصادر عن المكتب الإسلامي بدمشق، في مؤلف عدّه الدكتور (فريد مصطفى) من أفضل ما كتب الشيخ (دروزة).

راجع: فريد مصطفى سليمان، محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم، ص: ٤٢٤، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

(٣) الحداد، القرآن والكتاب، (٢/ ١٠٦٠)، مرجع سابق.

يقول (جولدتسهر GOLDZIHER): «لقد أفاد محمد من تاريخ العهد القديم وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء ليذكِّر على سبيل الإنذار والتمثيل بمصير الأمم السالفة الذين سخروا من رسلهم ووقفوا في طريقهم»(١).

ويستطرد موضحاً طريقة الإفادة، بقوله: «إن محمداً أخذ يجمع ما وجده في اتصاله السطحي أثناء رحلاته التجارية مهما كانت طبيعة هذا الذي وجده، ثم أفاد من دون أي تنظيم»(٢).

أما اليهودي الهولندي (فنسنك A. J. WENSINCK) فيخرج بدائرة الإفادة عن حدود العهد القديم، ويربط لنا بوضوح بين هذا الزعم وسابقه والفرضية الأساسية والمنطلق الذي تفرعت عنه هذه الادعاءات قائلاً: «النبي كان يبشر بدين مستمدّ من اليهودية والنصرانية، ومن ثمَّ كان يردد قصص الأنبياء المذكورين في التوراة والإنجيل، لينذر قومه بما حدث لمكذِّبي الرسل قبله، وليثبِّت أتباعه القليلين من حوله»(٣).

ولأن هذه المزاعم الغربية تستمد أصولها من مزاعم مشركي مكة حول أصالة القرآن الكريم كما اتّضح ذلك من خلال رصد خصائص الدراسات الغربية في مرحلة البدايات المشرقية، فإن القرآن الكريم نفسه قد تصدّى لهذه المزاعم مفنّداً إياها من طرق:

أولها: طريق التحدي، وهو طريق الردع لذوي اللجاجة في الجدل غير المنقادين إلى المسلّمات والحقائق، والرافضة لكل برهان يقينيّ ودليل إلزامي وحجة دامغة، قال - تعالى -: ﴿ قُل لَّئِنِ

---

(١) جولدتسهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص: ١٥، مرجع سابق، والمعنى نفسه أورده بلفظ مقارب في «مذاهب التفسير الإسلامي»، ص: ٧٥، بترجمة: عبد الحليم النجار، القاهرة، ١٩٥٥م.

(٢) جولدتسهر، العقيدة والشريعة، ص: ٢٥، مرجع سابق.

(٣) نقلاً عن: عبد الحميد غراب، مرجع سابق، ص: ٩١.

ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

فإن كان محمد ﷺ قد استطاع بمساعدة أهل الكتاب أن يأتي بالقرآن من عند نفسه، فليحاول أهل الكتاب أنفسهم ومعهم الثقلان من الجن والإنس أن يأتوا بمثل القرآن إن كانوا صادقين في زعمهم مبدأ الإفادة.

وهذا التحدي يشمل دليل بطلان مزاعمهم، إذ التحدي مكلّل بإخفاقهم وهو دليل على بطلان دعواهم.

الثاني: طريق المقارنة، حيث يدعو القرآن إلى تأمّل آياته وقصصه وأخباره، إذ ينتهي ذلك التأمّل إلى نتيجة حتمية مؤدّاها تنزيه القرآن عن الاختلاف والتناقض، وهذه سمة الوحي الإلهي الأصيل فقط، أما غيره فيشمل وجوهاً من الاختلاف والتضارب، قال - تعالى -: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

الثالث: طريق الإلزام التاريخي، وفيه ألزم القرآن مجادليه بحقيقتين تاريخيتين تبطلان مزاعمهم:

الحقيقة الأولى: أميّة الرسول ﷺ وعدم معرفته بالقراءة والكتابة.

قال - تعالى -: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

الحقيقة الثانية: عُجمة المعلمين المزعومين، فـ(الحداد) الذي نسبوا إليه تعليم النبي ﷺ كان لسانه أعجمياً لا يجيد العربية، بينما القرآن في أعلى طبقات الفصاحة، والتي لا يستقيم عقلاً أن يتعلّمها النبي ﷺ من أعجمي، قال - تعالى -:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

المبحث الخامس

تقويم الدراسات الغربية حول القرآن الكريم

فرضت طبيعة الدراسات الغربية حول القرآن بما أثارته من دعاوى وبما سلكته من ضروب ومسالك نوع المنهج المناسب لتقويم تلك الدراسات، وليس ثمّة شكّ في أهمية الدور الذي يمثله المنهج في هذا المجال، لأن الباحثين الغربيين ألبسوا دراساتهم وادعاءاتهم ثوب المنهجية، وبثّوها مباشرة أو من خلال الجالسين تحت أقدامهم من المخبرين الثقافيين المحليين عبر بوابات العلم ومَداخله.

لذلك فإن المنهج المقارن إلى جانب منهج النقد التاريخي، ومنهج نقد النصوص، وبحوث تاريخ الأديان هي الأبرز شأناً في تقويم الدراسات الغربية حول القرآن الكريم، فلهذه المناهج العلمية الأصيلة القدرة على إثبات أصالة الحقيقة التاريخية الثابتة لتلقّي النبي محمد ﷺ الوحي القرآني من ربّه من خلال الشواهد التاريخية، ومن خلال نتائج بحوث تاريخ الأديان ومقارنة النصوص ونقدها.

كما أن لها القدرة على كشف التزييف والاختلاف الذي تجنّى به الغرب على القرآن قروناً عديدة باسم العلم والمناهج الحديثة، وستأتي هذه المناقشة على النحو الذي سلكته دوائر الباحثين الغربيين في طرح تصوراتها حول القرآن من خلال محورين:

١- المحور الأول: مناقشة الدعوى الأولى «القرآن تلفيق من اليهودية والنصرانية»:

لا شك أن العلاقة بين الإسلام واليهودية والنصرانية - قبل تحريفهما - غير منكورة ابتداءً، إذ يقول - تعالى - :

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ

وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

كذلك شأن العلاقة بين القرآن والكتب السابقة ؛ لقوله - تعالى - في شأنها :

﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧].

لكن هذه العلاقة غير المنكورة بين القرآن والكتب السابقة ليست علاقة اقتباس ومتابعة من القرآن كما أشاعت الدراسات الغربية، بل هي كما قرر القرآن الكريم نفسه :

١ - هيمنة قرآنية وتصديق ، كما قال - تعالى - : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨].

٢ - كشف للمستور ، كما قال - تعالى - : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة :١٥].

٣ - فصل في مواضع الخلاف : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦].

٤ - تفـــصيل : ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ

يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [يونس: ٣٧].

ومثل هذه العلاقة التغايرية التقابلية بين القرآن وكتب العهد القديم والجديد، علاقة: «المهيمن» بالـمُهتمين عليه، «الـمُبيِّن»، بالـمُستَبْيَن، «الفيصل» بالمفصول فيه، «المفصِّل» بالمبهم، لا بد أن تتضمَّن اختلافاً بعيداً بين الفاعل والمنفعل، بين المؤثِّر (القرآن) والمتأثر (كتب العهدين).

وذلك يجعل من القول باقتباس القرآن من التوراة والإنجيل مناقضاً لطبائع الأشياء وبدهيات الأمور، ومنافياً لحقيقة الاختلاف والتباين البعيد بين القرآن وكتب العهدين القديم والجديد.

وهذا ما نطق به المبشر الدومنيكاني الراهب (دي مونت كروس DE MONTE CRUCIS) رغماً عنه في أحد مقاطع جدلياته ضد أصالة القرآن، قائلاً: «يا محمد! أنا لا أصدق أنك قد تسلمت هذه الآراء من الله؛ لأنك عجيب غريب في رسالتك؛ لأنك لا تتفق مع أي كتاب مقدس آخر.... يجب أن ننبذ ما ادّعى محمد أنه تسلّمه من الله ؛ لأنه مناقض تماماً للأحكام التي كتبها موسى والأنبياء والرسل بعده»(١).

وليست طبيعة العلاقة بين القرآن وكتب اليهود والنصارى هي العائق الوحيد أمام صحة الزعم باقتباس القرآن من كتب العهدين القديم والجديد، بل هناك عوائق أخرى يحول كل منها أمام أيّ احتمال للقول بسلامة هذا الزعم من وجه من الوجوه، وتتمثل هذه العوائق - التي تشكل في الآن نفسه دلائل تهافت شبهة اقتباس القرآن من كتب اليهود والنصارى - فيما يلي :

أولاً: شخصية الرسول ﷺ :

تقدم حياة النبي ﷺ برهاناً ساطعاً على صحة تلقّيه الوحي القرآني عن ربّه ، وعدم صحة الزعم باقتباسه ﷺ من كتب اليهود والنصارى أو تعلّمه من أحدهم، وذلك من وجوه:

١ - حياته ﷺ المعروفة بتفاصيلها ودقائقها، حيث لم يُؤْثر عنه الجلوس إلى أحد النصارى أو اليهود بمكة أو غيرها للتعلم والـمُدارسة، وليس هناك أيُّ دليل محسوس أو ملموس على تعلّمه ﷺ شيئاً من

(١) قاسم السامرائي ، مرجع سابق ، ص : ٦٢.

أهل الكتاب، بل ولا دليل على جلوسه للتعلم على يد أحد من غيرهم في أيٍّ من فروع العلم والثقافة أو الصناعات والحرف، وقد استدل القرآن على لسان النبي ﷺ بذلك الدليل في مواجهة قومه، قال - تعالى -: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦].

أمّا ما تذكره الدراسات الغربية من مصادر تعليمية حيّة للنبي ﷺ على يد بعض أسماء من أهل الكتاب، فهي أصناف ثلاثة:

الصنف الأول: (ورقة بن نوفل) ابن عم خديجة أم المؤمنين زوج النبي ﷺ، وهنا يقدم لنا علمُ نقد النصوص البرهان الكافي على أصالة تلقّي النبي ﷺ الوحي القرآني من ربّه وامتناع تعلّمه شيئاً من (ورقة) أو غيره، حيث يقول (ورقة) ما نصُّه: «وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً»(١)، إذ لم يكن (ورقة) ليؤمن بنبوة رجل يجلس منه مجلس المتعلم.

الصنف الثاني: (بحيرا) الراهب، ونسبة تعلّم النبي ﷺ شيئاً منه هي نوع من الخيال القصصي الذي يتهاوى أمام الفحص النقدي لمتون القصص، حيث تقطع وقائع القصة بأنها تمت في جزء من نهار أمام أعين القرشيين، وأن النبي ﷺ كان مُسْتَخْبَراً عنه، ولم يكن مُخْبِراً بشيء، وأن الراهب أخبرهم أن محمداً ﷺ رسول إلى العالمين بدليل خاتم النبوة أسفل كتفه(٢).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، حديث رقم: (٣).

(٢) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك: (٢ / ٢٧٨ - ٢٧٩)، ط٥، دار المعارف، القاهرة.

- ابن هشام الحميري، السيرة النبوية: (١ / ١٨٠ - ١٨٣)، ط٢، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٣٧٥هـ.

- أبو الفداء بن كثير، البداية والنهاية: (٣ / ٤٣٥ - ٤٤٢)، دار هجر، القاهرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

وقد أورد الترمذي في جامعه إخبار (بحيرا) بنبوة نبينا محمد ﷺ إلى العالمين واستدلاله بخاتم النبوة تحت كتفه ﷺ.

جامع الترمذي: كتاب: المناقب، باب: ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ، حديث رقم: ٣٦٢٩.

الصنف الثالث: مَنْ كانوا في صحبة النبي ﷺ، مثل: (بلال الحبشي، أو صهيب الرومي، أو ماريا القبطية) رضي الله عنهم، وهؤلاء وغيرهم لا يقوم بهم دليل على شبهة تعليم النبي ﷺ ؛ وذلك لسببين:

أولهما: تاريخيّ ؛ حيث لم يظهروا في صحبة النبي ﷺ إلا بعد بدء نزول القرآن وبعد ظهور الإسلام، والثاني: كونهم مسلمين آمنوا بصحة نبوته ونزول الوحي عليه بالقرآن الكريم، وليس هناك برهان على انتفاء شبهة التعلم منهم أظهر من تصديقهم لتلقّيه الوحي بالقرآن وإيمانهم به.

٢ - أمانته وصدقه ﷺ، حتى إنه كان يُلقّب بالصادق الأمين، ولم يكن هذا الصادق ليذرَ الخيانة والكذب على الناس، ثم يقترفها في حق الله.

ثانياً: تاريخ كتب العَهْدين القديم والجديد :

يقوم تاريخ العهد القديم والعهد الجديد حائلاً أمام شبهة التعلم منهما، وذلك من جانبين:

الجانب الأول: النسخة العربية من كتب العَهْدين.

هذه النسخة لم تكن موجودة في عهد النبي ﷺ، ولا بعده بقرون، فقد بحث القس (روبير شدياق) محقق كتاب «الرد الجميل» للغزالي عن ترجمة عربية للعهد الجديد، فلم يعثر على أي ترجمة حتى عصر الغزالي في القرن الخامس الهجري[١].

وهذه النتيجة هي ما انتهت إليه أحدث دائرة للمعارف الدينية (Realenzklopuedie Theologische)، من خلال تتبّعها الدقيق لتاريخ أقدم تراجم العهد الجديد[٢].

أما وجود نص عربي للتوراة فأبعد في الاستحالة، وإلى جانب ذلك فلم يكن بمكة أحد من علماء

---

(١) مالك بن نبي، الظاهرية القرآنية، ص: ٢٤٧، بترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.

(٢) Theologische Realenzklopuedie , ٤ , ٢١١ - ٢١٣ , London - New York - Bonn.

اليهود يمكن الادّعاء بأن محمداً ﷺ قد تعلم منه، أما الزعم بإمكانية الإفادة من يهود المدينة، فذلك باطل تاريخياً ؛لأن السور المكية هي التي عرضت أطوار قصص التوراة بتفاصيلها الدقيقة، على النحو التالي[1]:

(سورة الأعراف) عن آدم ١١ - ٢٥ وموسى ١٠٢ - ١٧٦، و(سورة يونس) عن موسى ٧٥ - ٩٢، و(سورة هود) عن نوح ٢٥ - ٤٩ وإبراهيم ولوط ٦٩ - ٨٢ ، و(سورة يوسف) عن يوسف ، و(سورة الحجر) عن آدم وإبراهيم ولوط ٢٦ - ٧٧، و(سورة الإسراء) عن بني إسرائيل ٤ - ٨ ، و(سورة الكهف) عن أهل الكهف ٩ - ٢٥، وموسى ٦٠ - ٨٢ ، و(سورة مريم) عن زكريا ويحيى ومريم وعيسى... إلخ ١ - ٣٣، و(سورة طه) عن موسى ٩ - ٩٨، و(سورة الأنبياء) عن إبراهيم ٥١ - ٧٠ وداود وسليمان ٧٨- ٨٢، و(سورة الشعراء) عن موسى وإبراهيم ونوح.... إلخ ١٠- ١٨٩، و(سورة النمل) عن موسى وداود وسليمان ٧ - ٤٤، و(سورة القصص) عن موسى ٣ - ٤٣، وقارون ٧٦- ٨٢، و(سورة العنكبوت) عن نوح وإبراهيم ولوط ١٤ - ٣٥، و(سورة سبأ) عن داود وسليمان ١٠ - ١٤، و(سورة ص) عن داود وسليمان وأيوب ١٧- ٤٤، و(سورة الذاريات) عن إبراهيم ٢٤ - ٣٧ .

وذلك يعني انهيار الدعوى محل النزاع من أساسها، فلا النص - موضع الدعوى - موجود في زمنه ﷺ ، ولا إمكانية القراءة سبيل الإفادة من النص متوفرة لدى المدعى عليه.

الجانب الثاني: نُسَخُ العهد القديم والجديد:

تشكل نُسَخُ العهد القديم والجديد أكبر عائق أمام الزعم بتعلم النبي ﷺ أو غيره من كتب اليهود والنصارى ؛ لأن العهد القديم والجديد ليس نسخة واحدة معتمدة من معتنقيها، بل يمكن القول

---

(١) محمد عبد الله دراز ، مدخل إلى القرآن الكريم ، ص : ١٥٦ - ١٥٧ ، دار القلم ، الكويت ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١ م.

بدون أيّ تجاوز علمي : إن العهد القديم ثلاثة كتب مختلفة الحجم والمحتوى والأسلوب ، وهي[١]:

١ - توراة السامرة.

٢ - الترجمة السبعينية.

٣ - توراة العبرانيين.

ولا يختلف الأمر بالنسبة للعهد الجديد الذي يختلف باختلاف الكنيسة التابع لها، ولذلك توجد أكثر من ثلاث نسخ رئيسة للعهد الجديد، وهي:

العهد الجديد للأرثوذكس، العهد الجديد للكاثوليك، العهد الجديد للبروتستانت، العهد الجديد للأقباط، العهد الجديد للأرمن [٢].

وفي النصف الأول من القرن الماضي اكُتشفت في وادي (قمران) بالأردن وفي نجع (حمادى) بصعيد مصر عدة مخطوطات بيَّنت أن هناك كتباً مقدسة أخرى لدى طوائف اليهود والنصارى [٣].

ولا شك أن الاعتماد على أية نسخة من النُّسخ سيقود حتماً إلى التناقض مع معطيات النُّسخ الأخرى، ويكفي للتدليل على ذلك، ذكر مثال واحد للاختلاف بين نُسَخُ التوراة الثلاث حول أعمار الخليقة من آدم إلى الطوفان، كما يبينها الجدول المدرج في الملحق رقم (٢)[٤].

---

(١) R. Smendl , Die Entstehung des Alten Testament , Stuttgart - Mainz ١٩٧٨.

- Wemer. Kuemmel , Einleitung in das Neue Testament , Heidlberg ١٩٨٣.

(٢) B. F. Westcott , The Bible in the Church , Grand Rapids. (U.S.A ١٩٨٠)

(٣) J. M. Robinson , Die Bedeutung der Bibliothek von Nag Hammadi Fuer die Theologie und Fruhe Christentum, Bamberg ٢٢,٦,٩٣ (vortrag) Heutige.

(٤) سعود الخلف ، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، ص : ٨٦.

وانظر في محتوى مخطوطات البحر الميت :

- محمود العابدي ، مخطوطات البحر الميت ، دائرة الثقافة والفنون ، عمان ، ١٩٦٧م.

- أنيس فريحة ، مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران ، بترجمة: إبراهيم مطر ، بيروت ، ١٩٥٧م.

وكذلك الشـأن فيما يخص الأناجيل، إذ الاختلاف بينها أعمق خاصة فيما يتعلق بنسب المسيح - عليه السلام - من حيث أعداد الأنسال وأسماؤهم من آدم إلى المسيح، كما يظهر من خلال الجدول المدرج في ملحق رقم (٣)[١].

والذي يظهر منه التضارب الشديد بين (متّى ولُوقا) من حيث:

١ - الأجداد قبل إبراهيم لا يذكر (متّى) عنها شيئاً.

٢ - يزيد (لُوقا) في أعداد أجداد المسيح من إبراهيم إلى داود فيذكر (١٥) جدّاً، أما (متّى) فيذكر (١٤) جدّاً.

٣ - الأجداد من بعد داود، إلى جانب الاختلاف الشديد في الأسماء تختلف الأعداد اختلافاً كبيراً، إذ يذكر (متّى) (٢٦) جدّاً، أما (لُوقا) فيذكر (٤١) جدّاً.

ثالثاً: إعجاز النظم القرآني:

النظم القرآني هو طريقة التأليف العجيبة التي تفرّد بها القرآن، وباينت جميع طرق العرب في البلاغة وأعجزتهم عن إجابة التحدي الذي دعاهم إليه[٢].

ويتضمن إعجاز النظم القرآني جوانب أربعة يظهر من خلالها تفرّده، وهي:

أ - اللفظ، حيث جاءت ألفاظ القرآن على غير المعهود من الجزالة.

ب - المعنى، وتبدو بلاغة المعاني في مطابقتها للألفاظ، وفي تعبيرها التام بأوجز العبارات.

ج - التركيب، وجاء معتدلاً غير متباين، متناسباً غير متنافر، محكماً إذا نزعت أحد لبناته ثم أديرت

---

(١) موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص: ١٠٨ - ١١٠، دار المعارف، لبنان، ١٩٧٧م.

(٢) حسن طبل، حول الإعجاز البلاغي للقرآن، ص: ٧٤ - ٧٦، مرجع سابق.

كلمات العرب كلمة كلمة لم يوجد أنسب منها.

وهذا الجانب من جوانب الإعجاز القرآني لا تعرفه كتب اليهود والنصارى التي يُزاد فيها السّفر والسّفران، والإصحاح والإصحاحان، والآية والآيتان، والكلمة والكلمات من دون إحساس بتغيير أو تبديل في الأسلوب؛ لأن طرائق التعبير لدى المؤلفين متقاربة.

كما أن هذه الكتب صُنِّفت على مراحل زمنية طويلة ونُسخت بلغات عدة، مما أوهن من قيمتها التعبيرية.

فهل من الممكن أن يحاكي السامي في طبقته المتدنّي عنه؟!

رابعاً: الاختلاف بين اليهودية والمسيحية والإسلام في أصول الإيمان:

جاءت أصول الإيمان في القرآن وكتب العَهْدين متباينة تبايناً واضحاً يئدُ معه كل محاولة للقول بتأثير وتأثّر بين سابق ولاحق، وذلك على النحو التالي:

١- الألوهية: في اليهودية الإله عنصري قبليّ ذو صفات بشرية، وفي المسيحية الإله مثلّث أحد أضلاعه ابن يُولد لأب يسمح بتقديمه إلى الضرب والإهانة والصلب والموت،ثم يقوم الإله الميت من قبره ويصعد إلى جوار أبيه بدون أن يلقى عوناً من أبيه أو من الروح القدس - الرب الثالث المنبثق من الأب الوالد والابن المولود حسب العقيدة الكاثوليكية؛ والمنبثق من الأب الوالد وحده وفق قانون الإيمان الأرثوذكسي، أما في الإسلام فالله – سبحانه - واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

٢- النبوّة: تكون النبوة في اليهودية فردية وجماعية وتُكتسب بالتعليم، وفي النصرانية مُرْسِلُ الأنبياء هو المسيح، وفي الإسلام النبوة اصطفاء من الخالق لبعض عباده المؤيَّدين بما يثبت صدق دعواهم في التبليغ عن ربهم.

٣ - اليوم الآخر : تصمت اليهودية، ولا تنضبط المعتقدات الغامضة للنصارى فيه، ويفصّل الإسلام أخبار اليوم الآخر تفصيلاً دقيقاً.

٤ - الكتب السماوية : يكفر اليهود بالإنجيل والقرآن، ويكفر النصارى بالقرآن، ويؤمن المسلمون بجميع الكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله .

٥ - الملائكة : يصور العهد القديم الملائكة على أنهم أبناء الله المجتمعون في حضرة رب السماء ومعهم الشيطان[١]، وفي بدء الخليقة اتخذوا صورة بشرية، حيث تزوجوا من بنات آدم، وأنجبوا منهن عمالقة جبابرة[٢].

ويقدم العهد الجديد الملائكة على أنهم أبناء الله الذين لا يموتون[٣]، وهم واقعون تحت سلطان الخطيئة حيث يخطئون فَيُقيّدون في السلاسل ويُطرحون في جهنم[٤]، والذي يقوم بمحاسبتهم هم رسل المسيح[٥].

أما الملائكة في الإسلام فمخلوقات نورانية منزّهة عن الخصائص البشرية ومبرّأة من المعصية، فهم عباد مكرمون، مفطورون على الطاعة، لا يعصون الله ما أمرهم وكلّفهم به من أعمال[٦].

٦ - القدَر، في الإسلام لا يقع شيء في الكون سواء أكان مادياً أم كان متعلقاً بأفعال الإنسان

---

(١) العهد القديم (نسخة الكاثوليك) ، سفر أيوب (١ / ٦ - ٧ ، ٢ / ١ - ٢) ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٨٩م.

(٢) العهد القديم ، سفر التكوين (٦ / ١ - ٤) ، مرجع سابق.

(٣) العهد الجديد (نسخة الكاثوليك) ، إنجيل لوقا (٢٠ / ٣٦) ، دار المشرق ، بيروت، ١٩٨٩م.

(٤) العهد الجديد ، رسالة بطرس (٢ / ٤) ، رسالة يهوذا (١ / ٦)، مرجع سابق.

(٥) العهد الجديد ، الرسالة إلى أهل كورنثوس (٦ / ٢ - ٣).

(٦) ابن قيم الجوزية ، إغاثة اللهفان (٢/ ١٧٠-١٧٩).

- عمر الأشقر ، عالم الملائكة ، ص : ٢٢ ، ٣٢ ، دار النفائس ، الأردن ، ١٩٩٥م.

إلا بإذن الله، وأن جميع تلك الأحداث مسطورة بعلم الله في كتاب سابق، أما المسيحية فإنها ترجع الأفعال إلى المحبة، ولا يتضح في اليهودية أي تأثير للقدرة الإلهية على أفعال العباد.

وكما اختلفت أصول الإيمان بين الديانات الثلاث اختلف الأساس الذي يقوم عليه الإيمان:

ففي اليهودية الإيمان وراثيّ عنصريّ، وفي المسيحية يقوم الإيمان على إلغاء العقل، كما أرسى ذلك القديس (أوغسطين) في محاورته: «أنا أؤمن لأني لا أعقل»، والقديس (أنسلم أسقف كانتربورى): «آمن كي تعقل»[(١)].

أما القرآن فقد أنكر كل اتّباع أعمى يلقي بزمامه إلى سلطة لا تستند إلى العقل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]، وقد دعى دائماً وباستمرار إلى التأمّل الفردي المنسحب من تأثير الوسط الخارجي والأفكار المسبقة، ومن كل فكرة مستقاة بدون تمحيص: ﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

وقد أقرّ المنصِّر الإيطالي (لودوفيكو مرتّشي LUDWIGO MARRACCI) بذلك التفرد للإسلام في مقدمته الجدلية «دحض القرآن» حينما كان يفتش عن سرّ إقبال الوثنية على الإسلام دون المسيحية. يقول (مرتّشي):

«القرآن والإنجيل حين يُعرضان على غير المؤمنين فإنهم يفضّلون القرآن على الإنجيل، ويجب ألا نشكّ في أن كتاب محمد لا يقدم للعقل أفكاراً يصعب على العقل فهمها؛ لا سيما العقل الفاسد وعدو الغموض».

---

(١) راجع: ترجمة المحاورتين لدى: حسن حنفي، نماذج من الفلسفة المسيحية، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٨م.

فمثلاً لا يوجد إلا إله واحد حكيم وقدير، خالق الأشياء كلها ومدبّرها، ومخالف للحوادث، ويجب أن يُصلّى له بخشوع وخضوع، وأن يكون الإنسان متسامحاً مع الفقراء، ويؤدّي مناسك الحج، ويطهّر بدنه بالصيام، ويحافظ على العدل والوسطية وطيبة القلب والشفقة، وكذلك كل الفضائل السهلة الأخرى، فلا يجوز أن يُؤذى إنسان بل يجب أن يُحمى من السرقة والقتل والزنا وأي جريمة أيّاً كانت، ويجب أن يحتقر كل ما في الدنيا باعتباره عابراً وغير ثابت، ويستمسك فقط بالأعمال الصالحة التي لن يضيع أجرها، وسيكون لنا في النهاية يوم نعود فيه إلى الله لنُجزى على ما فعلنا؛ فالطيبون سيجدون في الآخرة نعيماً مقيماً وما يشتهون، وسيذوق الأشرار في جهنم عذاباً لا نهاية له.

كل هذه المبادئ وغيرها تنتشر في القرآن بطريقة مفهومة وواضحة أكثر من المبادئ الإنجيلية.

ومن ناحية أخرى إذا سمع أحد الوثنين كلام أحد المبشّرين: أن الإله الحق الواحد الذي يتكلم عنه واحد وثلاثة، وأن الإله حلَّ في رجل، وأنه فقير، وأنه عانى وصُلب، ومات ودُفن، وكان هو نفسه معجزة، وفي سرّ القربان المقدس أن سر التوبة ضروري مطلقاً، وأن الزواج الأحادي لا بد منه، وأن الرباط المقدس لا يفصم، وأن الحياة يجب أن تكون صليباً مفصلاً، وأنه يجب أن يحسن الإنسان حتى إلى أعدائه، وأن السعادة الحقة تكمن في أشياء لا تراها العين، ولم تسمعها الأذن، ولم تخطر على قلب الإنسان... وحكم أخرى مشابهة تكون في متناول السماع الإنساني أو تكون صعبة جداً إن لم تكن مستحيلة بالنسبة لحياتنا وحماقتنا الطبيعية.

فأيّ وثنيّ سيسمع هذه الأشياء ويقارنها بمذهب القرآن، انظر إلى أيّ جهة سيتوجه؟»[١].

خامساً: أثر القرآن والتوراة والإنجيل في الارتقاء بجوانب الحضارة الإنسانية:

جاءت الكتب السماوية لهداية الإنسان وإرشاده إلى ربّه وتحقيق العبودية الكاملة له، ثم لمساعدة

---

(١) نقلاً عن: عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن، ص: ١٤١ - ١٤٢.

الإنسان في القيام بأعباء الاستخلاف في الأرض.

وهنا يبرز التفاوت الكبير في أثر القرآن والتوراة والأناجيل في تنظيم حياة الإنسان ورقيّه الحضاري.

ويبدأ هذا التفاوت من منهج المعالجة، فبينما يغيب معنى الإنسانية عن العهد القديم، ويختفي من العهد الجديد الجانب التشريعي والواقعي، نجد الشمول(١) في المعالجات القرآنية لقضايا الاعتقاد والتشريع والنفس الإنسانية والسلوك، يقول - تعالى - : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٨].

فالقرآن يتناول حقائق الكون والحياة بدءاً من ذرة الوجود المستودعة في باطن الصخر والمستقرة في أعماق البحار ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ١٦]، إلى النجم السابح في فلكه نحو مستقره المعلوم: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [يس: ٣٨].

وكذلك يتقصى أبعد الجوانب في النفس الإنسانية مسجّلاً أدقّ الانفعالات والخلجات الشعورية، ونتيجة التعمّق في تناول النفس الإنسانية جاءت تقريراته الأخلاقية ثمرة للمعرفة العميقة بالطبيعة الإنسانية، فسجّل القرآن خرائط تفصيلية للفضائل الإنسانية المتجسدة لدى الأسوة الحسنة من الأنبياء والرسل، وبيّن ما يجب على ذي الخلق اجتنابه من رذائل الأعمال وكبائر الإثم والفواحش.

أما تاريخ الإنسانية فيتجه القرآن نحو ماضيها البعيد، ويوجّه مستقبلها، ويُعْلم بحاضرها من

---

(١) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، بترجمة: عبد الصبور شاهين، ص: ١٨٧، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.

خلال تتبّع أخّاذ لمشاهد الحضارات وارتقاء الأمم.

ويتجلى التفاوت الكبير بين أثر القرآن وكلٍّ من العهد القديم والعهد الجديد في الارتقاء بجوانب الحضارة الإنسانية، في الجوانب التالية:

الأول: الأخلاق:

جاءت التعاليم الأخلاقية في العهد القديم قاصرة على توجيه بني إسرائيل وإصلاح الفساد الأخلاقي المتأصل في نفوسهم جيلاً بعد جيل على امتداد عشرات القرون.

فقد وصفهم (سفر التثنية) – من أوائل المكتوبات التوراتية– بأنهم: «جيل متقلب، أولاد لا أمانة فيهم»[(١)]، ثم وصفتهم أسفار أنبيائهم الكبار بأن: «أعمالهم أعمال إثم، وفعل الظلم في أيديهم، أرجلهم إلى الشر تجري وتسرع إلى سفك الدم الزكي، أفكارهم أفكار إثم، في طرقهم اغتصاب وسحق، طريق السلام لم يعرفوه، وليس في مسالكهم عدل، جعلوا لأنفسهم سبيلاً معوجة كل من يسير فيها لا يعرف سلاماً»[(٢)].

وجاء أجمع تشخيص لأخلاق اليهود على لسان (أرمياء): «وأنتم أسأتم في عملكم أكثر من آبائكم، وها أنتم ذاهبون كل واحد وراء عناد قلبه الشرير»[(٣)].

وكان هذا هو محور التعاليم الأخلاقية في العهد القديم التي دارت حول إصلاح الفساد الأخلاقي وتهذيب النفوس الشريرة؛ ولذلك جاءت الوصايا العشر – وهي أبرز التعاليم الأخلاقية في اليهودية – بصيغة السلب أو الانتهاء عن فعل الشر: «لا تقتل، ولا تزن، ولا تسرق، ولا تشهد على قريبك شهادة زور، ولا تشتهِ امرأة قريبك، ولا تشتهِ بيت قريبك، ولا حقله، ولا عبده، ولا أَمَته، ولا ثوره، ولا حماره،

---

(١) سفر التثنية: (٣٢ / ٢٠).

(٢) إشعياء: (٢٩/ ٦–٨).

(٣) أرمياء: (١٦/ ١٢).

ولا كلَّ ما لقريبك»[١].

فالتعاليم الأخلاقية في اليهودية - إذاً - تعاليم خاصة بعنصر بشري ذي طبيعة سلوكية مريضة.

ولم تبتعد التعاليم الأخلاقية في الإنجيل عن ذلك كثيراً، إذ تدعو إلى الكف عن فعل الشر وإلى عدم مقاومته، كما جاء في موعظة المسيح على الجبل «سمعتم أنه قيل : عين بعين وسنّ بسنّ ، وأما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدّك الأيمن فحوِّل له الآخر أيضاً ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً ، ومن سخَّرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين ، من سألك فأعطه ، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده .

سمعتم أنه قيل : تحب قريبك وتبغض عدوّك، وأما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصَلُّوا لأجل الذين يسيؤون إليكم ويطردونكم»[٢].

وكما أن هذه التعاليم الأخلاقية قد جاءت - خاصة - للحدّ من غلواء بني إسرائيل الذين أرسل المسيح إليهم، فإنها إلى جانب ذلك تعاليم غير واقعية لا يقدر عليها كثير من البشر، حتى المسيح نفسه -كما تحكي عنه الأناجيل- عندما لطمه أحد خدّام رئيس الكهنة لم يدِر له المسيح خدَّه الآخر، بل قال له : «إن كنتُ تكلمت رديّاً فاشهد على الردي ، وإن حسناً فلماذا تضربني؟»[٣].

أما القرآن فقد شمل دستوراً أخلاقياً متكاملاً يقوم على عناصر ثلاثة ، هي[٤]:

---

(١) سفر التثنية: (٥/ ١٧ - ٢١) ، وانظر : سفر الخروج: (٢٠/ ١٣ - ١٦).

(٢) إنجيل متى: (٥/ ٣٨ - ٤٤).

(٣) إنجيل يوحنا: (١٨ / ٢٣).

(٤) عبد الراضي محمد عبد المحسن ، أسس فلسفة الأخلاق الإسلامية ، ص : ٤١ - ٧٢ ، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية ، السنة السادسة ، عدد ٦ ، القاهرة ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

١ - **المعرفة:** حيث فاضت نظرية الأخلاق الإسلامية بأمهات المسائل والقضايا الأخلاقية المتعلقة بمبادئ الأخلاق، وأصولها، وطبيعتها، وطرق اكتسابها، وغايتها، ومصادر الإلزام فيها.

٢ - **التربية:** وهي الوسائل والوسائط الأخلاقية المنوط بها تحويل المعرفة والمبادئ الأخلاقية إلى سلوك عملي، أي : أنها تخرج الأخلاق من حالة القوة إلى الفعل من النظرية إلى التطبيق، وهذا العنصر تتفرد به منظومة الأخلاق في الإسلام، حيث تقدم دستورها الأخلاقي مقروناً بمنهج تطبيقه، وبوسائل نقله من حالة النظر المجرد إلى واقع الحياة والعمل، عن طريق الوسائل الدافعة، مثل: القدوة الصالحة، الموعظة، الصحبة. والوسائل المانعة، مثل: الاعتبار، العقوبة.

٣ - **السلوك:** وهو الأفعال الأخلاقية الإرادية التي تشمل الفعل الظاهر وأعمال القلب من نية وإرادة واعتقاد، مما يترتب عليه الجزاء والمسؤولية ، سواء أكان متعلقاً بعلاقة الفرد بنفسه أم بالمجتمع أم بالكائنات الحية الأخرى، وهذا المفهوم جعل الحياة الإنسانية كلها ميداناً للعمل الأخلاقي في الإسلام.

ويعني هذا أن الأخلاق الدينية جزء رئيس من العمل الأخلاقي في الإسلام، وهذا مما تفردت به - كذلك - منظومة الأخلاق في الإسلام.

ويمكن القول: إن دستور الأخلاق الإسلامية هو الدستور الوحيد متكامل الجوانب في تاريخ الأخلاق ذات المصدر الديني أو الفلسفي، بما تضمّنه من دائرة خطاب تشمل الإنسانية كلها، وبما شمل التكليف الأخلاقي من دوائر ثلاث:

١ - فعل الخير والدعوة إليه.

٢ - اجتناب الشر ودواعيه.

٣ - مقاومة الشر والتصدّي له، وهو ما يجعل مبادئ الأخلاق فيه إيجابية بخلاف غيره.

وإلى جانب هذا التكامل في الجوانب الأخلاقية في الإسلام، هناك الوسطية والواقعية التي تُعدّ

أهم خصائص الدستور الأخلاقي في الإسلام، والتي تمكن بها من أن يكون الدستور الأخلاقي الوحيد الذي طُبِّق بحذافيره من قِبَل مبلِّغه محمد ﷺ، ومن قِبَل صحابته الأخيار والأجيال الفاضلة من بعدهم، ولا زال يطبّق بشكل جزئي حتى يوم الناس هذا.

الثاني: المجتمع:

على أرض فلسطين وضع العهد القديم أسس مجتمع عنصريّ خاص بالعبرانيين، لذلك فإن الدول التي كوّنها شعب العهد على أرض فلسطين حملت أسماءه العنصرية السلالية، دولة يهوذا في الجنوب، ودولة إسرائيل في الشمال.

ولزم عن ذلك أن حق الحياة وحق المواطنة الكاملة كانتا مكفولتين للإسرائيلي فقط، أما غير الإسرائيلي فحكمه إما القتل وإما الاستعباد، يقول (سفر التثنية): «وحين تقرب مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير ويستعبد لك.

وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاها الرب إلهك.

هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هذه الأمم هنا، وأما مدن هذه الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما»(١).

وقد لخّص (مناحيم بيجن) رئيس الوزراء الأسبق للكيان الصهيوني واجب اليهود تجاه المجتمع الإنساني كما تعلّمه من التوراة، قائلاً: «بالدم والنار والدموع والدخان وبنوعٍ جديد من الإنسانية، نوع مجهول للعالم منذ أكثر من ألف وثمانمائة عام اليهودي المحارب، قبل كل شيء يجب أن نبدأ

(١) سفر التثنية (٣٠/ ١٠ - ١٦).

الهجوم، فمن الدم والعرق سوف يولد جيل فخور كريم قوي»[١].

وفي جانب المعاملات مع غير اليهود يوصي العهد القديم أتباعه قائلاً: «للأجنبي تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا»[٢]. ويشدّد على أهمية التضييق على الأجانب في المعاملات قائلاً: «الأجنبي تطالب، وأما ما كان لك عند أخيك فتبرئه يدك منه»[٣].

لكن المسيحية فتحت الباب أمام الوثنيين في حق الحياة والمواطنة، إلا أن روح الاستعباد والتدمير ما فتئت حيّةً في الخلق المسيحيّ، فلا زالت «المدنية الأوروبية في واقعها وثنية مادية لا تؤمن بغير القوة»[٤]، وقد اتّضح ذلك من خلال ممارسات الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش، والحروب التدميرية العالمية الأولى والثانية، والحروب الاستعمارية الطويلة ضد العالم الإسلامي، وفي أيامنا هذه حروب الإبادة ضد المسلمين في أوروبا كحرب البوسنة والهرسك، وحرب كوسوفا. وفي قارة آسيا الحرب على أفغانستان والحرب على العراق.

أما القرآن فقد أرسى دعائم مجتمع إنساني متكافئ ، دعامة التميّز فيه هي التقوى، قال - تعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات : ١٣].

وأساس الحكم فيه العدل بين الجميع حتى الخصوم والأعداء منهم.

---

(١) رشاد عبد الله الشامي ، الشخصية اليهودية ، ص : ١٨٦ ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد (١٠٢) ، وزارة الإعلام بالكويت.

(٢) سفر التثنية: (٢٣ / ٢٠).

(٣) سفر التثنية: (١٥ / ٣).

(٤) محمد أسد ، الإسلام على مفترق الطرق ، ص : ٤١ ، مرجع سابق.

قال - تعالى - : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة :٨]، وحق الحياة مكفول للجميع، فحرمة النفس ذات شأن عظيم القدر ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة : ٣٢].

ولذلك انصهرت في بوتقة الإسلام مختلف الأمم والشعوب التي ضمّتها دولته، بل برزت من أبناء الشعوب الإسلامية غير العربية قمم في العلوم التجريبية والعربية والإسلامية، فكانت ظاهرة لافتة للنظر.

بل إن أبناء أهل الكتاب من اليهود والنصارى أُتيحت لهم فرص النبوغ والتفوق العلمي في ظل الدولة الإسلامية، فعاش واشتهر موسى بن ميمون، وسعديا الفيومي، وابن كمونة، ويوحنا الدمشقي، وابن العسال، وغيرهم ممن تبوّأ كذلك المناصب الإدارية العالية في الدولة الإسلامية، أو حظي بالمكانة لدى الخلفاء والأمراء لموهبته الأدبية كالشعراء.

الثالث: العلم:

لـمّا كان العهد القديم كتاب إصلاح لجماعة محدودة من البشر في فترة مدة من الزمن، فإن قضايا العلم وموضوعاته لا تحتل أيّ مكان يعتدّ به في أسفاره وإصحاحاته؛ لأن العلم يتطلب استقراراً روحياً، واجتماعياً، ودافعاً إيمانيّاً لخدمة بني الإنسان، وكلها عوامل افتقدها شعب العهد القديم.

لذلك لا يمكن بحال الحديث عن أثر للعهد القديم في إسهام علميّ أو معرفيّ عبر التاريخ؛

بل يمكن الحديث عن معوِّقات وعراقيل وضعها العهد القديم أمام التطور العلمي؛ لأنه بإمكاننا رصد عدم ظهور أية عقلية علمية يهودية قبل الإسلام، وبخصوص علماء اليهود الذين عرفهم العالم بعد الإسلام فذلك راجع لفضل الإسلام ، كما يستبين ذلك عند بحث تأثير الإسلام في اليهودية والنصرانية.

ولعل أهم أسباب الخصومة بين العهد القديم والعلم، ومن ثم انتفاء أيّ أثر للعهد القديم في نشأة العلوم أو تطورها؛ هو افتقاد رب العهد القديم نفسه صفة العلم التي تمكنه من مجرد القدرة على التمييز بين بيوت أتباعه وبيوت أعدائهم ؛ لذلك فإنه لـمّا أراد إخراج شعبه من مصر وإنزال العقاب بالمصريين، أمر بني إسرائيل أن يلطِّخوا بيوتهم بالدم كي يميزها عن بيوت المصريين فلا ينزل بها العقاب، يقول (سفر الخروج) :

«ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها، فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر» (١).

ولم تكن المسيحية أقل هوادة في خصومتها للعلم استناداً لقول (بولس الرسول) مؤلف الجزء الأكبر من أسفار العهد الجديد: «حكمة هذا العالم حماقة عند الله. إن الرب عليم بأفكار الحكماء ويعلم أنها باطلة» (٢).

ولذلك استأسدت الكنيسة في حربها ضد العلم والعلماء، فلما تجرّأ (غاليليو GALILIO) على مقاومة اعتقاد الكنيسة في أن الأرض محمولة على قرني ثور، وأن الشمس تدور حولها، وأعلن أن الأرض هي التي تدور حول الشمس، كان جزاؤه التكفير والمطاردة، ولم يصدر الفاتيكان وثيقة تبرئة

---

(١) سفر الخروج: (١٢ / ١٣).

(٢) الرسالة الأولى إلى قورنتس: (٣/ ١٩ -٢٠) ، وانظر : (١/ ١٩ ، ٢٠ ، ٢٧).

(غاليليو) من الكفر إلا عام ١٩٩٢م[1].

وقد كان كل ذلك طبيعياً ومتفقاً مع فكرة مؤلفي العهد الجديد عن العالم والتي جاءت غير علمية مطلقاً[2].

مما دفع بالعلامة (ماكس بلانك MAX PLANC) لإصدار حكمه الشهير عام ١٩٤٧م بأنه: «للإبقاء على قيمة ما للمسيحية للعالم المعاصر ومن ثمَّ للعالم الغربي، يجب على الإنسان أن يقرر بإخلاص التخلّي عن المعجزات التي تشكل عائقاً شائكاً أمام وصول المسيحية إلى إنسان الحضارة المعاصرة بسبب تعارضها مع العلم»[3].

وبالفعل لم يتقدم العالم المسيحي علمياً إلا بتأثير الحضارة الإسلامية، وبعد الفصل بين ديانة العهد الجديد وتعاليمه، وبين شؤون الدنيا ومنها العلم، يقول (محمد أسد) :

«وهكذا تكون نسبة نتاج المدنية الغربية الحديثة إلى النصرانية خطأ تاريخياً عظيماً، إن النصرانية ساهمت في جزء يسير جداً من الرقيّ العلمي المادي الذي فاق به الغرب في مدنيّته الحاضرة كل ما سواه. وفي الحق أن ذلك النتاج قد برز من كفاح أوروبا المتطاول للكنيسة المسيحية ولاستشرافها للحياة»[4].

أما القرآن فكان أكثر الكتب احتفاء بالعلم ، حيث وردت لفظة (العلم) ومشتقاتها أكثر من (٨٢٣) مرة؛ لأن العلم في القرآن أحد وسائل المعرفة التي منحها الله للإنسان لمساعدته في القيام بأعباء الاستخلاف في الأرض، ولمعرفة الله ـ تعالى ـ والإيمان به؛ لذلك استشهد الله ـ تعالى ـ على وحدانيته

---

(١) محمد السماك ، مقدمة إلى الحوار الإسلامي – المسيحي ، ص : ١٠٩ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

(١) Willim Born, Christlicher Glaube und Naturwissenschaft , S : ٤, Blefeld ١٩٥٤ .

(٢) Hermann Lais, Was sagt die Kirche zum Wunder? S : ١٨, in: Wunder umd Magie, Gesmmelten Beitraege , Wuerzburg ١٩٦٢.

(٤) محمد أسد ، الإسلام على مفترق الطرق ، ص : ٤٠ ، ٤٦ ، مرجع سابق.

بشهادة العلماء: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، فالعلماء أكثر الناس خشية لله بما علموا من خلقه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقد بلغ عدد الآيات القرآنية المتعلقة بالعلوم وحقائقها أكثر من (٧٥٠) آية، شملت معظم مجالات العلم: كالفلك، والطب، والجيولوجيا، والزراعة، وعالم النبات، والحيوان، والتناسل، والاقتصاد، والتجارة، والزراعة، وعالم البحار....إلخ.

لذلك جاء أثر القرآن في تطور العلم وتأسيس العلوم والمعارف بعيداً ومدهشاً[1]. يقول (روم لاندو ROM LANDO): «ففي الإسلام لم يُوَلِّ كلٌّ من الدين والعلم ظهره للآخر ويتخذ طريقاً معاكسة.لا، والواقع أن الأول كان باعثاً من البواعث الرئيسة للثاني، إن الرياضيات هي كما نعلم أمُّ العلوم التجريبية كلها، ولقد لعبت الرياضيات - من غير ريب دوراً حاسماً في العلم العربي، ومع ذلك فحتى في علم تجريدي كالرياضيات كان الدِّين - كما سوف نعلم - هو الذي قرّر طبيعة منجزات العرب ومداها، ولم يكن لدى العرب في الأصل أيّ رياضيات خاصة بهم طبعاً»[2].

وحينما تتبع (لاندو LANDO) المدة الزمنية التي احتاجها المسلمون لتشييد الصروح الشامخة

---

(١) في ذلك يقول (جورج سارطون) مؤرخ العلوم: «إن معجزة العلم العربي كانت ترجع في الأكثر إلى الأثر الذي حدث بفعل النشاط والجد العربيين، وبفعل الإيمان الإسلامي».
- نقلاً عن: ترجمة (عمر فروخ) لمحاضرة (سارطون) التي دعت إليها مؤسسة (جورج ل كايزر).
- راجع: الفيومي، الاستشراق والاستعمار، ص: ٤٣٥، مرجع سابق.

(٢) روم لاندو، الإسلام والعرب، ص: ٢٤٦، بترجمة: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧م.

للتقدم العلمي وجد أنهم: «أحرزوه خلال مائتي سنة انقضت على وفاة الرسول ليس غير، وعمق ذلك التقدم أمر يدعو إلى الذهول حقاً.

ذلك بأن علينا أن نتذكر أيضاً أن النصرانية احتاجت إلى نحو من ألف وخمسمائة سنة لكي تنشئ ما يمكن أن يدعى حضارة مسيحية»[١].

ويلخّص قاموس (برتلس مان BERTLSMANN HANDBUCH) لديانات العالم المجالات العلمية التي طوّرها المسلمون، والمجالات البحثية التي أنشؤوها، قائلاً:

«تلقى الغرب من الشرق الإسلامي معارف هامة في مجالات كثيرة، فقد جمع المسلمون علوم العالم ومعارفه: هندية، بابلية، مصرية، فارسية، ويونانية، وترجموا أهم الكتب والمصادر، ونقلوا تلك العلوم والمعارف إلى الآخرين ثانية.

وفي الآن نفسه أسّسوا قواعد البحث العلمي في مجالات: الجبر، الحساب، الكيمياء، الفيزياء، الجيولوجيا.

وكان استخدام الصفر العربي أساس التقدم في الرياضيات الحديثة، وأكمل المسلمون ما أخذوه من معرفة فلكية من البابليين واليونان بواسطة ملاحظاتهم الفلكية الدقيقة.

واكتشف الأطباء المسلمون لأول مرة في تاريخ العلم الدورة الدموية، وامتلكوا معرفة عن العدوى والتعقيم، ووقفوا على وظيفة الرحم، وقاموا بعمليات التخدير الكامل، وخطوا خطوات واسعة في طرق وأساليب الجراحة.

وعلى أيديهم تطور علم الوسائط الطبية تطوراً كبيراً، وكذلك العناية بالمرضى في المستشفيات كانت نموذجية، وعُمّمت لتشمل الطبقات الفقيرة.

---

(١) المرجع السابق.

وظلّت صناعات الحديد الإسلامية لا تبارى لأزمان طويلة، واخترع المسلمون البوصلة، واستعملها بحّارتهم في القرن الحادي عشر الميلادي، ويبدو أثر التقدم المعماري الإسلامي واضحاً في كل من بريطانيا وفرنسا ، خاصة في مجال القلاع والحصون والأسوار والمنارات»(١).

ويظهر أثر القرآن في تطور العلم بشكل أكثر جلاء حينما نقارن بين أثره في أمة العرب بعد اعتناقها الإسلام وبين أثر العهدين القديم والجديد في أمة اليونان بعد اعتناقها النصرانية.

فقد ارتقى المسلمون العرب أعلى قمم النضج الحضاري والعلمي والعقلي، بينما النصارى اليونانيون كانوا في أعلى القمم في الفلسفة والطب، وحينما اعتنقوا النصرانية زالت فلسفتهم، وانقرضت حكمتهم، وولّت علومهم، بسبب تعارض كتابهم المقدس مع العقل والعلم.

ويكشف الجدول المدرج في الملحق (٤) الفارق بين تأثير القرآن في نهضة العلوم والمعارف بعد مائتي عام من نزول القرآن على محمد ﷺ، وبين تأثير العهد القديم والعهد الجديد بعد عشرات القرون من تلقيهما بالقبول من أهل الكتاب(٢).

سادساً: تأثير الإسلام في اليهودية والنصرانية:

لعلَّ هذا الوجه من أبرز دلائل تهافت مزاعم الدراسات الغربية حول تلفيق القرآن من اليهودية والنصرانية ؛ لأن واقع الأمر وحقيقة الحال أن اتجاه التأثير كان عكسياً من اللاحق إلى السابق، وليس من السابق إلى اللاحق، وهذا الاتجاه التأثيري العكسي وإن كان على غير المألوف إلا أن له ما يسوغه،

(١) Religionen der Welt, S: ١٨٣, Bertlsmann Handbuch, Heraus gegeben von: Monika Tworuschka. Muenschen Guetersloh ١٩٩٢.

وانظر بالعربية : غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص : ٤٣٥ ، ٥٧٩ ، بترجمة : عادل زعيتر ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٩م.

- محمد أسد ، الإسلام على مفترق الطرق ، ص : ٤٣.

(٢) روم لاندو ، الإسلام والعرب ، ص : (٢٨٣ – ٢٨٧).

حيث جاءت اليهودية والنصرانية دعوة مرحلية لجماعات قبلية محدودة من البشر، فلمّا أرادت تجاوز طبيعتها وأهداف رسالتها احتاجت إلى عناصر تمكّنها من ملائمة الدائرة الزمانية والمكانية والثقافية الجديدة التي أرادتها لنفسها، ولـما كانت تفتقد إلى تلك العناصر التي لم تتوفر إلا للإسلام بحكم طبيعة رسالته العالمية الخاتمة، فإن اليهودية والنصرانية تلمّستا تلك العناصر في الإسلام واقتبستها منه.

حتى إننا لا ندري إلى أي مدى يمكن أن تكون ثورات الفكر المسيحي منذ الحركة الألبية حتى حركة الإصلاح البروتستانتي محسوبة كنتائج مباشرة أو غير مباشرة لمفهوم العقيدة في القرآن(١).

يقول قاموس (برتلس مان BERTLSMANN HANDBUCHH) لديانات العالم: «لقد أثَّر الإسلام تأثيراً عظيماً في العقيدة المسيحية والفلسفة، وقاد - على سبيل المثال - إلى نقاش جديد حول عبادة الصور وتقديسها في المسيحية»(٢).

لكن تأثير الإسلام لم يكن قاصراً على العقيدة في المسيحية فحسب، بل يمتد إلى الشريعة والكتب المقدسة، كذلك فإن تأثير الإسلام تناول اليهودية إلى جانب المسيحية، وذلك في عدد من الجوانب يمكن إجمالها فيما يلي:

١ - المبادئ الثلاثة عشر التي جعلها موسى بن ميمون أساس الدين اليهودي وأركان الإيمان فيه، فصاغها على غرار أصول الإيمان في الإسلام، وأدرج فيها بعض أصول الإيمان الإسلامية مما لم يكن معروفاً في اليهودية من قبل أو مدرجاً في العهد القديم، كالاعتقاد بأن الله عالم، وبالثواب والعقاب في الآخرة، والاعتقاد في بعث الموتى(٣).

---

(١) مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية ، ص : ١٩٢ ، مرجع سابق.

(٢) Religionen der Welt , Bertelsmann Handbuch , S : ١٨٣ , ders .

(٣) راجع المبادئ الثلاثة عشر في :

Moses ben Maimone : Sein Leben , Seine Werke und sein Einfluss , S : ١١٢ , Hrsg von : W. Bacher. Leipzig ١٩٠٨.

وقد أقرَّ (ابن كمونة) بعدم ذكر الثواب والعقاب الأخروي في التوراة، وراح يعتذر عن ذلك ويحاول تبريره[١]، وهذا يؤكد اقتباس ابن ميمون هذه الأصول من الإسلام.

٢ - تحديد مفهوم النبوة والمعجزة لأول مرة في اليهودية، والذي جاء إما متأثراً بنظرية الفلاسفة المشّائين كالفارابي وابن سينا، وإما متابعاً لجمهور علماء الإسلام في استدلالهم على هذه المعتقدات بالنصوص القرآنية[٢].

٣ - نقد التوراة، يقول (واكسمان WAKESMANN) صاحب كتاب «الأدب اليهودي»: «في القرن الحادي عشر دخلت الفلسفة اليهودية مرحلة جديدة متأثرة بالمؤلفات الفلسفية الإسلامية والأفكار الإسلامية، وكان من أثر هذا أن بدأ الشك في التلمود، وبدأت تظهر أفكار حرة، ولم يقتصر الهجوم والنقد الذي قام به القراؤون والطوائف المتصلة بهم على التلمود، بل شمل الكتاب المقدس أعظم إنتاج عقلي في الدين اليهودي»[٣].

٤ - إقرار المسيحية بالوظيفة النبوية للمسيح الأرضي عيسى -عليه السلام- والتي لم تجد لها مكاناً في وثائق الكنيسة إلا في قرار مجمع الفاتيكان الثاني عام ١٩٦٥م[٤].

٥ - دعوة البروتستانت إلى حرية قراءة الكتاب المقدس، ورفض احتكار الكنيسة تفسيره؛ والتي فتحت الباب أمام حركة نقد الكتاب المقدس في الغرب، تلك الحركة المنهجية التي تدين بالفضل لعلماء الإسلام كابن حزم والقرطبي وابن تيميّة وابن القيّم، وغيرهم.

---

(١) ابن كمونة، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، ص: ٤٠- ٤٣.

(٢) راجع كتابنا: المعتقدات الدينية لدى الغرب، ص: ٤٤ - ٥٥، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

(٣) نقلاً عن: إبراهيم موسى هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص: ١٤٤، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٣م.

(٤) Katechismus der katholischen kirche. Leipzig - schweis ١٩٩٣.

٦ - تحريم البروتستانت لعبادة الأيقونات، ومنع وضعها في الكنائس لأنها عمل وثني.

٢ - المحور الثاني: مناقشة الدعوى الثانية «القصص القرآني تكرار لقصص التوراة والإنجيل»:

سبق القول بأن هذه الدعوى تفصيل للدعوى الأولى، وتحديد لمجمل منطوقها، وتعيين القصص القرآني بأنه موضع الاقتباس والإفادة من قصص التوراة والإنجيل، ولن يجدي في مناقشة هذه الدعوى سوى منهج نقد النصوص المقارن ؛ لإبراز جوانب التباين بين مرويات القصص القرآني ومنهجها، وبين القصص التوراتي والإنجيل.

وبواسطة هذا المنهج أمكن الوقوف على أربعة دلائل لا تصح معها دعوى تكرار القرآن لقصص التوراة والإنجيل، وهي:

الدليل الأول : اختلاف منهج القصص في القرآن عن المنهج القصصي في التوراة والإنجيل:

يختلف منهج القصص في القرآن عن المنهج القصصي في التوراة والإنجيل من عدة جوانب ، منها:

١ - الخيال القصصي، بينما يلعب الخيال القصصي في التوراة والإنجيل أكبر الأدوار في صياغة وتشكيل قصصهما، وهو ما كشفت عنه دراسات حديثة تُعدّ مرجعيات في هذا الباب، مثل دراسة: جيمس فريزر عن الفلكلور في العهد القديم[١]، ودراسة: «زينون كاسيدوفسكي» عن الحقيقة والأسطورة في التوراة؛ والتي لخّص فيها مكانة الخيال والخرافة في القصص التوراتي، بقوله: «تناقل اليهود تراثهم الديني من جيل إلى جيل، وساهم الطابع الفلكلوري لنقل الروايات الحقيقية بتطعيمها بكثرة من الخرافات والأساطير والأمثال والأقصوصات، جعلت من الصعب الآن التمييز بين الواقع والخرافة فيها»[٢].

(١) جيمس فريزر ، الفلكلور في العهد القديم ، بترجمة : نبيلة إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكاتبات ، ١٩٧٣م.

(٢) زينون كاسيدوفسكي ، الحقيقة والأسطورة في التوراة ، ص : ٥٢ ، الأبجدية للنشر ، دمشق ، ١٩٩٠م.

وكذلك الأمر فيما يخص العهد الجديد، مما حدا بـ (رودولف بولتمان RUDOLF BULTMANN) أحد رواد مدرسة الأشكال الأدبية وتاريخ الأديان، إلى السعي نحو مشروع تطهير العهد الجديد من الأساطير حتى تكون له قيمة في الوقت الراهن، بقوله: «تقف المسيحية اليوم أمام خيار عسير: فبمطالبتها الإيمان بعقائدها فإنها تشق على البشرية بإلزامها التسليم بقصص وخرافات أسطورية عفا عليها الزمن.

فإن كان هذا المطلب غير ممكن التحقيق ويترتب عليه التساؤل: عمّا إذا كان العهد الجديد يتضمن ذاتية مستقلة عن عالم الأساطير؟ فإن الواجب اللازم للباحث في الأديان تطهير الدعوة المسيحية من الأساطير تطهيراً كاملاً، وليس جزئياً، فإما أن يقبل المرء الأساطير أو يرفضها كلياً»(١).

أما القرآن الكريم فلا يعرف الخيال القصصي طريقاً إلى مادة مروياته، حيث يلجأ القرآن في قصصه إلى الاحتكام لمعياره النقدي في الأخبار: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦].

فهو يطالب قارئ قصصه بتلمّس دلائل واقعيتها وصدقها التاريخي في آثارها الماثلة للعيان: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٧].

وقد وقف الأثريون على آثار القصص القرآني الشاهدة على الصدق التاريخي، مثل : آثار سيل العرم الذي هدّم سدّ مأرب باليمن، فلا زالت آثار الجنتين الواقعتين عن يمين السد وشماله موجودة حتى اليوم تؤكد صحة قصة سبأ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُواْ

(١) Rudolf Bultmonn , Neues testament und Mythologie, S: ٢١, in :Kergma und Mythos, Hrsg. von : Hans - Werner Hamburg ١٩٦٠.

مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [سبأ: ١٥ - ٢١].

وكذلك اكتشف علماء الآثار النقوش الثمودية في أرض تبوك ومدائن صالح وتيماء(١).

ولذلك يصف القرآن قصصه بأنه: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣]؛ لما توافر له من علم ومعاينة: ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٧]، وما اتّسم به من حقيقة وصدق: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٦٢].

٢- التشخيص البياني، وهو التعبير بالصورة المحسوسة المتخيلة عن المعاني الذهنية والحالات الشعورية والمشاهدات والأحداث الحقيقية، وهذا النهج التشخيصي هو الأداة المفضلة في القصص القرآني، يقول سيد قطب:

---

(١) سيدة إسماعيل كاشف، مصادر التاريخ، ص: ١٦.

«إن التعبير القرآني يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة التي يتناول بها جميع المشاهد والمناظر التي يعرضها فتستحيل القصة حادثاً يقع ومشهداً يجري لا قصة تُروى ولا حادثاً قد مضى»[١].

٣- التصريح والتلميح، في الوقت الذي يهتم القرآن بإبراز أدق التفاصيل النفسية والشعورية لأشخاص قصصه، فإنه يكتفي بذلك التشخيص معرضاً عن التصريح بالأسماء كما في قصة «العبد الصالح» مع موسى، وكما في قصة ثمود ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾ [الشمس:١٢]، وكما في مؤمن آل فرعون.

وقد يكون هذا التلميح إلى جانب ملاءمته للمنهج القصصي الذي يهتم بإبراز الحدث وقيمته ومغزاه لكونه الهدف من القصّ، فإنه يناسب طبيعة التشريع الإسلامي فيما يخصُّ أسماء النساء، مثلاً: امرأة نوح وامرأة لوط وامرأة فرعون، وكذلك زوجة إبراهيم هاجر وسارة، وأسماء زوجات النبي ﷺ، والمجادلة في زوجها[٢].

٤- التجريد الزماني والمكاني، حيث لا يحدد القرآن زمن الحدث أو مدّته أو مكانه إلا ما كان محورياً في الحدث أو مسرحاً له كمصر في قصة يوسف، أو المسجد الحرام والمسجد الأقصى في الإسراء والمعراج، أو مدة رسالة نوح، أو مدة لبث أهل الكهف في نومهم، أو المدة التي أماتها الله للمارّ على القرية الخاوية[٣].

وترجع أسباب التجريد في الزمان والمكان في قصص القرآن إلى أمرين:

---

(١) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص: ١٥٦، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م.
(٢) حسين علي محمد، القرآن ونظرية الفن، ص: ١١٢، القاهرة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.
(٣) التهامي نقرة، سيكالوجية القصة في القرآن، ص: ٩٧، مرجع سابق.
- حسين علي محمد، القرآن ونظرية الفن، ص: ١١٣، مرجع سابق.

أولهما: عناية القصة بالحدث وتقرير الحقائق الدائمة المستقلة عن الأشخاص، والتي يمكن الإفادة من حكمتها ومغزاها في كل زمان ومكان بما يتلاءم مع عالمية رسالة القرآن واستمراريتها، فما الأشخاص في القصص القرآني والحال كذلك إلا أمثلة لتلك الحقائق المقصودة لذاتها[1].

الأمر الثاني: تحقيق الإيجاز غير الـمُخِلّ[2].

٥- التنويع بين الإجمال والتفصيل، ففي مواضع: التحذير من العناد والتكذيب والإصرار على الباطل، والتخويف من مصائر المكذبين، يكون الإيجاز والفواصل القصيرة دون ذكر للأسماء أو للمحاورات[3]، فيورد القرآن – مثلاً – في تسع آيات من سورة الفجر ثلاث قصص لمكذبي الرسل تشمل أعمالهم وعقابهم، قال – تعالى – : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ٦ – ١٤] . وهذا ما لا نظير له في التوراة أو الإنجيل.

٦ – عاقبة القصص، يأتي ختام القصة في القرآن بعكس ختام قصص التوراة والإنجيل ، حيث تختم القصة مع نهاية السفر أو الإصحاح، ففي قصة يوسف – مثلاً – يفترض أن تكون الخاتمة في لقاء يوسف بأبيه يعقوب الذي صورته التوراة على النحو التالي: «فشدّ يوسف مركبته وصعد لاستقبال (إسرائيل) أبيه إلى جاسان، ولما ظهر له وقع على عنقه وبكى على عنقه زماناً، فقال إسرائيل ليوسف :

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن: (٢ / ٢١٧) ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م.

(٢) عبد الجواد المحص ، أدب القصة في القرآن الكريم ، ص : ٢٥٥ ، الدار المصرية بالإسكندرية ، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

(٣) التهامي نقرة ، سيكلوجية القصة في القرآن ، ص : ٩١.

أموت الآن بعد ما رأيت وجهك أنك حيّ بعد»[١].

وعلى الرغم من أن عبارة يعقوب لم تمس سبب العقدة الأصلية في القصة؛ وهي رؤيا يوسف وتآمر إخوته عليه، فإن القاصّ في التوراة يكمل الأحداث بعد هذا اللقاء ليصف لقاء يعقوب بالفرعون، والمكان الذي أقطعه لبني إسرائيل، ومرض يعقوب وموته.

أما ختام القصص في القرآن فيكون غالباً في شكل عبرة، أو عظة، أو حكمة، أو تقرير موجز[٢]، كما في قصة السامريّ مع العجل: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه:٩٨]، وفي قصة أهل الكهف: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]، وفي قصة يوسف: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف:١٠٠]، وفي قصة مريم وابنها المسيح: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم :٣٤ - ٣٥].

الدليل الثاني: تباين أهداف القصص في القرآن والتوراة والإنجيل:

تختلف أهداف القصة في التوراة والإنجيل عنها في القرآن، وذلك على النحو التالي:

---

(١) سفر التكوين: (٤٦ / ٢٩ -٣٠).

(٢) حسين محمد علي ، القرآن ونظرية الفن ، ص : ١١٣ ، مرجع سابق.

أ -أهداف القصة في التوراة والإنجيل:

يمثل العهد القديم والجديد سجلاً تاريخياً لحياة الشعب الإسرائيلي والنصراني ، فهو كتاب تاريخ وتأريخ للاعتقاد والرؤساء والأنساب والتقاليد والنظم الاجتماعية والعلاقات الشخصية ؛ لذلك جاءت عناوين الأسفار ملخّصة لمضمون تاريخها، مثل: سفر التكوين الذي يؤرخ لبدء الخليقة، وسفر الخروج الذي يؤرخ لخروج اليهود من مصر، وسفر العدد الذي يحصي أعدادهم، وسفر اللاويين الذي يؤرخ لأحكام الكهنة من بني لاوي، وسفر التثنية الذي يعيد الأحكام والفروض والوصايا.

ولما كان الهدف من الكتابين التأريخ جاءت القصص فيهما في إطار الهدف العام، فجاءت سردية تأريخية متنوعة ما بين التأريخ للأنساب كما في الإحصاءات التي يقوم بها العهد القديم لأعداد بني إسرائيل الداخلين إلى مصر والخارجين منها، والداخلين إلى فلسطين والمهجّرين منها.... إلخ.

وكذلك التأريخ لنسب المسيح كما في شجرتي النسب الشهيرتين لدى (متّى ولوقا) في العهد الجديد.

وما بين التأريخ للسير الذاتية والتيارات الأدبية، كما في خطابات (بولس) الشخصية لأصدقائه (تيموتاوس)[١]، (فيلمون)[٢]، وكما في التأريخ لقصائد (داود) في المناسبات المختلفة[٣].

وما بين القصص التأريخي للأحداث، مثل : إنجيل (لوقا) الذي يصرح مؤلفه أن قصصه تأريخ لأحداث جرت بذكرها الألسنة، يقول (لوقا): «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور

---

(١) العهد الجديد ، رسالة بولس الأولى إلى تيموتاوس.

العهد الجديد ، رسالة بولس الثانية إلى تيموتاوس.

(٢) العهد الجديد ، رسالة بولس إلى فيلمون.

(٣) العهد القديم ، سفر المزامير ، مزمور رقم : ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٨٥ ، ٨٩.

وانظر : سفر الأمثال ، الإصحاح الأول.

المتيقنة عندنا كما سلّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدّاماً للكلمة.

رأيت أنا - أيضاً - إذ قد تتبّعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز (ثاوفيلس) ؛ لتعرف صحة الكلام الذي عُلِّمْتَ به، كان في أيام (هيرودس) ملك اليهودية.... »[١].

وفي سفر «أعمال الرسل» يخبر الكاتب أن قصصه تكملة لمشروع القصص التأريخي الذي بدأه في كتابه إلى (ثاوفيلس) وتوقف فيه عند رفع المسيح[٢].

وربما يكون هذا الهدف التأريخي أحد أهم أسباب مجيء القصص التوراتي والإنجيلي سردياً بارداً غير مؤثر وجدانياً في المتلقّي أو مشوق له.

ب -أهداف القصص القرآني:

القصص القرآني ليس مسوقاً لذاته، بل لأجل غايات وأهداف كثيرة يمكن إدراكها بالتفكير والتأمل في القصص؛ لقوله - تعالى - : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف : ١٧٦]. ومن هذه الأهداف:

١ - الاستدلال على التوحيد، وهو من أهم أهداف القصص القرآني؛ كما في قصص إبراهيم مع قومه، ونوح مع قومه، وموسى مع فرعون... إلخ.

٢ - تثبيت الرسول والمؤمنين على الحق الذي يدعون إليه رغم ما يلقونه من مشقة ويتكبّدونه من تضحيات، قال - تعالى - : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى

---

(١) إنجيل لوقا: (١ / ١ - ٥).

(٢) العهد الجديد ، سفر أعمال الرسل: (١ / ١ - ٩).

﴿هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

٣- الحكم والفصل في مواضع الاختلاف والتضارب في قصص التوراة والإنجيل، قال - تعالى - : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦]، ولعل هذا الهدف الذي حدّده القرآن لقصصه أبلغ ردّ وأوقع دليل على تهافت دعاوى الدراسات الغربية بأن القرآن تكرار للقصص في التوراة والإنجيل ؛ لأنه يتضمن التفسير المقنع لمواضع التشابه بين القصص القرآني وقصص الكتب السابقة، فما جاءت به الكتب السابقة في مقام ادّعاء المدعي، أما قصص القرآن فهو حقيقة الحدث الذي جرى يحكيه القاضي الفاصل في دعوى المدّعي، مبيِّناً به وجه الخطأ والصواب في مزاعم الادّعاء ومقرراً الحقيقة التاريخية في الحدث لكل العالمين.

٤- العظة والاعتبار، قال - تعالى - : ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف : ١١١]، ويمكن القول: بأن قصص القرآن يُقصد به العظة والاعتبار إمَّا من باب قياس الطرد وإما قياس العكس، فما يحيق بالمشركين وبمخالفي الرسل هو جزاء كل من جاء بمثل فعلهم، أما من جاء بعكس فعلهم فله عكس جزائهم.

ولذلك حينما يورد القرآن قصص الفساد الأخلاقي لدى الأمم السابقة، يقرن ذلك بما تلاه من جزاء ومصير ناله المفسدون، ويصدّر ذلك بطلب النظر والتأمل في التلازم بين الذنب والعقاب للاعتبار والتخويف، يقول - تعالى - عقب قصة قوم لوط: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤].

ويعقّب القرآن على قصة ثمود بالترهيب من جزاء من يفعل السيئات مثلهم، وبالترغيب في ثواب

من آمن واتقى من قوم صالح، قال - تعالى - : ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥١ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥٢ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [النمل:٥١ -٥٣].

٥ - الحجة والإقناع، وذلك بإيراد القصة المناسبة للموقف بما تتضمنه من حوار تبرز فيه دعاوى المخالفين القدامى ضد أنبيائهم، ثم تأتي ردود الأنبياء الإقناعية وكأنها ردود من النبي محمد ﷺ على قومه أو ردود مِنْ كلِ داعية إلى الإسلام على مخالفيه في كل زمان ومكان، من ذلك - مثلاً - الحوار الذي جرى بين نوح وقومه، قال - تعالى - : ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [هود :٣١].

٦ - إظهار قدرة الله المطلقة، وذلك في باب الخلق من عدم كقصة خلق آدم، أو الخلق من أم بلا أب كقصة مريم وابنها المسيح عيسى، أو إثبات القدرة على إحياء الموتى كقصة إبراهيم مع الطير، أو البعث والنشور كقصة الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه.

الدليل الثالث: القَصَص الذي انفرد به القرآن:

يُعدّ هذا الدليل من أبرز أدلة «نقد النص» وأهمها في بيان تهافت دعوى تكرار القرآن لقَصَص التوراة والإنجيل؛ بسبب كون المصدر المزعوم الإفادة منه يفتقد مادة المرويات القصصية ويجهل كل شيء عنها، وذلك في حالة القِصَص الكاملة التي انفرد بها القرآن، ويزيد الأمر قوة في الإثبات والإفحام عندما تتعلق المرويات ببعض التفاصيل الدقيقة التي أتى بها القرآن في القِصَص المتناظرة مما لم تذكره كتب العهدين.

ومن القَصَص الذي انفرد به القرآن ما يلي:

أ - القِصَص الكاملة، مثل:

قصص: صالح، هود، شعيب، الخضر، ذي القرنين.

ب - تفاصيل دقيقة في القصص انفرد بها القرآن أو خالف فيها كتب التوراة والإنجيل، مثل[1]:

١- ما جاء في القرآن الكريم من أمر الله الملائكة بالسجود لآدم، وامتناع إبليس عن هذا السجود.

٢- ما ورد في القرآن الكريم من قصص الخليل - عليه السلام - مع قومه، وتحطيمه لأصنامهم ونظرته في النجوم، وحجاجه مع قومه، ومحاولتهم إحراقه في النار، وإسكانه بعض ذريته عند بيت الله الحرام، واشتراكه هو وابنه إسماعيل في رفع القواعد من البيت وبناء الكعبة.

٣- ما قصَّه علينا القرآن الكريم من محاورة بين نوح وابنه الكافر، وعدم ركوب هذا في السفينة وغرقه، ومحاورة نوح مع الله في ذلك.

٤- ما قصَّه علينا القرآن الكريم من تمزيق امرأة العزيز قميص يوسف، وحديث النسوة ودعوة امرأة العزيز إياهن، وتقطيعهن أيديهن.

٥- ما قصَّه القرآن الكريم عن خبر سحرة فرعون، والتقام العصا التي انقلبت حية لحبالهم وعصيّهم، وسجودهم وإيمانهم برب هارون وموسى، ومحاورتهم مع فرعون.

٦- الشخص الثاني الذي أراد نبي الله موسى -عليه السلام- أن يبطش به من عدوه، في حين أن العهد القديم يدعي أن هذا الشخص عبراني.

(١) عبد الجواد المحص، أباطيل الخصوم حول القصص القرآني، ص: ٤٦ - ٤٨، الدار المصرية، الإسكندرية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٧- السامريّ الذي صنع العجل لبني إسرائيل في حين أن التوراة تذكر أنه هارون عليه السلام.

٨- ما قصَّه القرآن الكريم عن الرجل المؤمن من آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه، ودافع عن موسى حين همّوا بقتله، وذلك الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى فنصح موسى بالخروج من أرض مصر.

٩- القرآن الكريم يذكر أن بنات الشيخ المديني اثنتان، في حين أن التوراة تذكر أنهن سبع.

١٠- ما ورد في القرآن الكريم من محاورة بين فرعون وهامان لأجل بناء صرح ليطّلع إلى إله موسى.

١١- ما جاء في القرآن الكريم من خبر أمر موسى قومه بذبح بقرة، ومحاورته معهم.

١٢- أمر الله لقوم موسى بدخول الباب سُجّداً، ومخالفتهم لهذا الأمر.

١٣- قصة أصحاب السبت ومسخهم قردة بعد أن اعتدوا فيه.

١٤- ما قصَّه القرآن الكريم من تسخير الله الشجر والطير والحديد لداود عليه السلام.

١٥- تسخير الجن والريح لسليمان عليه السلام.

١٦- قصة الهدهد، وكتاب سليمان لملكة سبأ، وإسلامها، وإحضار عرشها بلمح البصر من قِبَل الذي عنده علم الكتاب.

١٧- كلام عيسى في المهد.

١٨ - صنع عيسى من الطين كهيئة الطير وصيروته طيراً بإذن الله.

١٩ - قصة المائدة.

الدليل الرابع: نتائج المقارنة بين القصص المتناظر في القرآن والتوراة والإنجيل:

لا شك أن المقابلة بين نصوص القصص القرآني ونصوص القصص في التوراة والإنجيل لتُعدّ

معياراً موضوعياً في بيان تهافت مزاعم الجدليات التنصيرية بتكرار القصص القرآني لقصص العهد القديم والجديد، وذلك لما يكشف عنه هذا المنهج المقارن للنصوص من اختلافات وفوارق تفصيلية وجوهرية بين متون القصص في الكتب الثلاثة، مما يحسم بشكل جليّ وقاطع أمر الاقتباس والمتابعة، وذلك في ضوء الاعتبارات التالية:

١ - تكرار المقتبس لأخطاء مصادره.

٢ - وقوع المقتبس في الخطأ عند محاولته مخالفة المصدر الأصلي، نظراً لبُعْد المدة الزمنية التي تفصله عن الأحداث مع قرب المصدر زمنياً من تلك الأحداث، بل وافتراض معايشته لبعضها.

فإذا ما أضيف إلى تلك الاعتبارات بُعْد موضوعي آخر يتمثل في الاسترشاد بمقررات العلوم ونتائج مكتشفات علماء الحفريات والآثار فيما يخص مرويات القصص المتعلقة بالحقائق الكونية أو التاريخية ، فإنّ جوانب الموضوعية ولوازم المنهجية العلمية ودواعي الإفادة تكون قد توفرت في ذلك النهج.

فإن قادت نتائجه إلى أن القصص القرآني قد خالف القصص التوراتي والإنجيلي في تفصيلات دقيقة، وأن مقررات العلوم: الطبيعية والفيزيائية والإنسانية والأثرية، قد وافقت التفصيلات القرآنية بينما خطّأت الروايات التوراتية والإنجيلية، فسوف يكون ذلك أنصع برهان علمي على تهافت مزاعم الدراسات الغربية حول القصص القرآني خاصة، وحول أصالة القرآن عامة.

وسوف تكون المقابلة بين القصص القرآني والقصص في التوراة والإنجيل من خلال المثال التالي:

رواية خلق العالم:

جاءت قصة (خلق العالم) في التوراة في روايتين من سفر التكوين، أولاهما: تسمى (الرواية الكهنوتية) التي كتبت بواسطة الكهنة في عصر المنفى، والثانية: رواية (يهوية)، أي : من بين النصوص

التوراتية التي تستخدم لفظ (يهوه) للتعبير عن اسم الإله، وهي أقدم تاريخياً من الرواية الأولى وإن جاءت في النصوص تالية لها، على النحو التالي[1]:

الرواية الأولى

«في البدء خلق الله السماوات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة، وروح الله يرف على وجه المياه. وقال الله: ليكن نور! فكان نور. ورأى الله النور أنه حسن، وفصل الله بين النور والظلمة، ودعا الله النور نهاراً والظلمة دعاها ليلاً، وكان مساء وكان صباح: يوم أول.

وقال الله: ليكن جلد في وسط المياه، وليكن فاصلاً بين مياه ومياه. فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد. وكان كذلك. ودعا الله الجلد سماء. وكان مساء وكان صباح: يوم ثانٍ.

وقال الله: لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة. وكان كذلك. ودعا الله اليابسة أرضاً. ومجتمع المياه دعاه بحاراً. ورأى الله ذلك أنه حسن. وقال الله : لتنبت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزراً، وشجراً ذا ثمر يعمل ثمراً كجنسه بزره فيه على الأرض. وكان كذلك. فأخرجت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزراً كجنسه، وشجراً يعمل ثمراً بزره فيه كجنسه. ورأى الله ذلك أنه حسن. وكان مساء وكان صباح: يوم ثالث.

وقال الله: لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل، وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين، وتكون أنواراً في جلد السماء لتنير على الأرض. وكان كذلك. فعمل الله النورين العظيمين: النور الأكبر لحكم النهار، والنور الأصغر لحكم الليل. والنجوم. وجعلها الله في جلد السماء لتنير على الأرض ولتحكم على النهار والليل ولتفصل بين النور والظلمة. ورأى الله ذلك أنه حسن. وكان مساء

---

(١) سفر التكوين: (١/ ١ - ٢/ ٩).

وكان صباح: يوم رابع.

وقال الله: لتفض المياه زحّافات ذات نفس حية، وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء. فخلق الله التنانين العظام، وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التي فاضت بها المياه كأجناسها، وكل طائر ذي جناح كجنسه. ورأى الله ذلك أنه حسن. وباركها الله قائلاً: أثمري وأكثري واملئي المياه في البحار. وليكثر الطير على الأرض. وكان مساء وكان صباح: يوم خامس.

وقال الله: لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها: بهائم، ودبابات، ووحوش أرض كأجناسها. وكان كذلك. فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها، والبهائم كأجناسها، وجميع دبابات الأرض كأجناسها. ورأى الله ذلك أنه حسن. وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا؛ فيتسلطون على سمك البحر، وعلى طير السماء، وعلى البهائم، وعلى كل الأرض، وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض. فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكر وأنثى خلقهم. وباركهم الله، وقال لهم: أثمروا، واكثروا، واملؤوا الأرض، وأخضعوها، وتسلّطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض. وقال الله: إني قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزراً على وجه الأرض وكل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزراً لكم يكون طعاماً. ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل دبابة على الأرض فيها نفس حية أعطيت كل عشب أخضر طعاماً. وكان كذلك.

ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً. وكان مساء وكان صباح: يوم سادس.

فأكملت السماوات والأرض وكل جندها. وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل. فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدسه؛ لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً».

الرواية الثانية

«هذه مبادئ السماوات والأرض حين خلقت. يوم عمل الرب الإله الأرض والسموات كل شجر البرية لم يكن بعد في الأرض، وكل عشب البرية لم ينبت بعد؛ لأن الرب الإله لم يكن قد أمطر على الأرض. ولا كان إنسان ليعمل الأرض. ثم كان ضباب يطلع من الأرض ويسقي كل وجه الأرض. وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض. ونفخ في أنفه نسمة. فصار آدم نفساً حية. وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً. ووضع هناك آدم الذي جبله. وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل».

أما رواية خلق العالم في القرآن فلم تأت مجتمعة في مكان واحد شأن غيرها من القصص القرآني، وإنما جاءت متضمنة في نقاط أساسية ، هي:

١- خلق السماوات والأرض في ستة أيام، قال - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [سورة ق : ٣٨].

٢- تداخل مراحل خلق السماوات مع مراحل خلق الأرض: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩ -١٢].

٣- خلق الكون من كومة أوليّة فريدة متماسكة، قال - تعالى - : ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

٤- تعدد السماوات والكواكب التي تشبه الأرض، قال - تعالى - : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

٥- خلقُ عالمٍ وسيط بين السماوات والأرض، قال - تعالى -: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ويقول - تعالى - : ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: ٦].

وتتفق الرواية القرآنية مع الرواية التوراتية في مسألتين فقط:

١- عدد أدوار الخلق الستة.

٢- جعل النجوم مصدر النور.

أما وجوه الاختلاف فكثيرة يمثل كل منها خطأً علمياً وقعت فيه الرواية التوراتية، وتأكيداً علمياً على صحة الرواية القرآنية، وهذه الوجوه هي:

١- انفراد القرآن ببيان كيفية نشأة الكون من الكتلة الأولية.

٢- المراحل الستة في القرآن مراحل زمنية مديدة وليست ستة أيام بشرية بحساب تعاقب شروقين أو غروبين، كما يشير إلى ذلك قوله - تعالى - : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٤ – ٥].

وهذا ما يؤكده علماء الفيزياء الكونية من أن انفصال الأرض عن الشمس كان منذ خمسة آلاف مليون سنة تقريباً، وأن الأرض احتاجت مئات الألوف من السنين كي يبرد سطحها[١].

ويقابل هذا المفهوم القرآني لمراحل الخلق الست حصر توراتي خاطئ للمراحل الست في ستة أيام بشرية تبدأ بالأحد وتنتهي بالجمعة ويعقبها يوم السبت المقدس يوم الراحة الذي استراح الله – تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً – فيه من عملية الخلق، وباركه وقدّسه.

ويفسر (جيمس فريزر) – عالم الديانات المقارنة الشهير – أسباب وقوع الرواية التوراتية في هذا الخطأ العلمي الشنيع، بأن رواية خلق العالم في التوراة لم تكن سوى تمهيد من الكهنة لخلع القداسة على يوم السبت يوم العبادة والراحة لدى اليهود[٢].

وكان المصدر الذي استقى منه الكهنة تقديس اليوم السابع من أيام الخلق هو ملحمة خلق العالم البابلية (أنوما إيليش)[٣].

وقد ترتب على هذا الخطأ في رواية الخلق التوراتية خطأ آخر وقعت فيه روايات العهد القديم وكذلك العهد الجديد كما يبدو في تصور (إنجيل لوقا) لشجرة أنساب المسيح، ألا وهو حساب عمر الإنسان على الأرض بأنه بدأ في التاسعة صباح يوم الثالث والعشرين من شهر تشرين الأول عام

---

(١) A. K. Wells , Outlines of geoloical History , pp. ٣ - ٣٧ , London ١٩٣٨.

وانظر: كارل ساغان، الموضع السابق.

(٢) جيمس فريزر، الفلكلور في العهد القديم: (١ / ١٠٨)، مرجع سابق.

(٣) زينون كاسيدوفسكي، الواقع والأسطورة في التوراة، ص: ٢٣، الأبجدية للنشر، دمشق، ١٩٩٠م.

٤٠٠٤ قبل الميلاد[١]. أي: قبل ستة الآف سنة من عامنا هذا (٢٠٠٦م).

٣- إشارة القرآن إلى حالة غازية (البخار) في بداية عملية الخلق ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

وهي تتطابق مع معطيات العلم الحديث[٢].

٤- وجود العوالم الوسطية التي أخبر القرآن بخلقها بين السماوات والأرض يسميها العلم الحديث بـ «البواقي» أو المادة الكونية المنتشرة بين النجوم، ويصفها بأنها ذات كتل هائلة[٣].

٥- اشتمال رواية العهد القديم -منفردة- على الأخطاء التالية[٤]:

- الإشارة إلى وجود المياه في المرحلة الأولى من مراحل الخلق.

- ذكر النور في اليوم الأول قبل أن تخلق النجوم.

- ذكر الليل والنهار في اليوم الأول قبل وجود الأرض ودورانها حول الشمس.

- وجود العالم النباتي في اليوم الثالث قبل خلق الشمس في اليوم الرابع.

- خلق الشمس والقمر بعد خلق الأرض، وذلك يناقض المعلومات الأساسية عن تشكّل النظام الشمسي.

- الإشارة إلى عالم الحيوان والطيور في اليوم الخامس مع أن وجود الطيور تالٍ لوجود عالم الحيوان.

---

(١) السابق، ص: ٢٤.

(٢) موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص: ١٧١ - ١٧٢.

(٣) السابق، ص: ١٧٠- ١٧١.

(٤) السابق، ص: ٤١- ٤٥.

خـــــلاصـــــة

لن يجاوز الصواب من يقول في ختام تتبع تاريخ الدراسات الغربية حول القرآن الكريم: بأن الدراسات الغربية للقرآن الكريم لم تكن أوفر حظاً في الموضوعية أو العلمية من حركة الترجمات الغربية للقرآن الكريم. فقد انتهجت الحركتان نهج «محاكمة القرآن» وليس دراسته أو ترجمته، وقد تبدّت معالم تلك المحاكمة في ذلك النهج التغريبي للنص القرآني ومعانيه في الترجمات الغربية.

أما في الدراسات الغربية حول القرآن فقد تجلّت بوضوح الأحكام المسبقة والقوالب المصكوكة والشِّباك المنسوجة لحشر القرآن داخلها، مع إحكام الغطاء ودمغه بخاتم البشرية والتلفيق وعدم الأصالة، وإقصائه عن مهابط الوحي الإلهي وأنوار النبوة الصادقة.

وفي سبيل فرض تلك النتيجة الزائفة تمَّ وَأْد الموضوعية وأصول البحث التي يقتضيها المنهج العلمي الذي طالما تبتَّل الغرب في محرابه، وعلى مذبح الدراسات والبحوث القرآنية ضحّى الغرب بالعقلانية، وفي محرقة كبرى للمنهجية أُقيم جرف هار من المباحث والمزاعم حول القرآن الكريم، لا عمدة لها سوى التهجين والتحريف، ولا هدف لها سوى حجب أنوار الهداية القرآنية عن إنسان الحضارة المعاصرة المتأزم.

ولا منطلق لها سوى الأيديولوجيات اللاهوتية التي جمعت في قارب واحد بين اللاهوت اليهودي واللاهوت المسيحي على الرغم من الحياة العلمانية التي يرفع الغرب شعارها.

أما الاستثناءات الموضوعية النادرة في تلك الدراسات فقد بقيت طيَّ التجاهل والكتمان وبعيداً

عن دوائر النفوذ والتأثير، فبقي الباحث الذكي والألمعي لدى الغربيين هو من حاكم القرآن الكريم إلى معايير التلفيق والتزييف والبشرية.

ولا يلوح في الأفق مخرج من هذا الدرب، ولا نَأْيٌ عن ذلك النهج، طالما بقي الدافع اللاهوتي والدافع الاستعماري وراء اهتمام الغرب بالقرآن الكريم.

ملاحق البحث

١ – الملحق (١) مفردات منهج اللغة العربية بجامعة كامبردج.

٢ – الملحق (٢) أعمار الخليقة من آدم إلى الطوفان حسب نسخ التوراة.

٣ – الملحق (٣) شجرة أنساب المسيح حسب الأناجيل.

٤ – الملحق (٤) جدول كرونولوجي للعلوم في العصور الوسطى.

الملحق رقم (١)

مفردات منهج اللغة العربية بجامعة «كامبردج»

السنة الأولى:

١- اللغة العربية الفصحى (المدرس: لايونز):

كتابه : مبادئ القارئ (مختارات من الشعر والنثر).

الفصل الأول : (١٠) دروس (ساعة واحدة لكل درس).

الفصل الثاني : (١٥) درساً (ساعة واحدة لكل درس).

الفصل الثالث : (صفر) (السبب : غياب المدرس).

٢- اللغة العربية الحديثة (المدرس: هوبكنز):

كتاب هنري بيريس : الأدب العربي والإسلام من خلال النصوص(من القرن التاسع عشر والقرن العشرين) «بالفرنسية».

الفصل الأول : (١٥) درساً (ساعة لكل درس).

الفصل الثاني : (١٦) درساً (ساعة لكل درس).

الفصل الثالث : (صفر) (السبب : غياب المدرس).

٣- القواعد العربية والقرآن (المحاضر: أحد الطلبة العرب):

الفصل الأول : (القواعد) (٣) دروس في الأسبوع.

الفصل الثاني : (القواعد) درس واحد في الأسبوع.

الفصل الثالث: (القرآن) درسان في الأسبوع (لأربعة أسابيع فقط).

٤- الإشراف :

الفصل الأول: ترجمة من العربية إلى الإنجليزية وبالعكس (٧) ساعات فقط (المحاضر: أحد الطلبة العرب المذكور في أعلاه).

الفصل الثاني : ترجمة من الإنجليزية إلى العربية (٥) ساعات فقط ، كتاب مقالة (تقرير) ٤ ساعات فقط، (المدرس: لايونز).

الفصل الثالث: ترجمة من الإنجليزية إلى العربية (٤) ساعات فقط، (المحاضر: طالبة إنجليزية).

- عدد الساعات للسنة الجامعية : (٧٦) ساعة فقط.

السنة الثانية :

١- اللغة العربية الفصحى (المدرس : آربري):

ابن قتيبة : عيون الأخبار (مختارات).

الفصل الأول : (١٢) درساً (٤٥ دقيقة لكل درس).

الفصل الثاني : (صفر) (السبب : غياب المدرس).

الفصل الثالث : (٥) دروس.

٢- النصوص التاريخية (المدرس: سارجنت):

ابن هشام : وثائق من السيرة.

الفصل الأول : (١٥) درساً (ساعة واحدة لكل درس).

الفصل الثاني : (١٦) درساً (ساعة واحدة لكل درس).

الفصل الثالث : (٨) دروس (ساعة واحدة لكل درس).

٣- اللغة العربية الحديثة (المدرس: هوبكنز):

(أ) توفيق الحكيم : يوميات نائب في الأرياف:

الفصل الأول : (١٥) درساً (ساعة واحدة لكل درس).

الفصل الثاني : (١٤) درساً (ساعة واحدة لكل درس).

الفصل الثالث : (صفر) (السبب: انتهى الكتاب).

(ب) أجزاء من كتاب (هنري بيرس):

الفصل الأول: (٦) دروس.

الفصل الثاني : (١٦) درساً.

الفصل الثالث : (صفر) (السبب : انتهت دراسة القسم المطلوب).

٤- الإشراف (المشرف : هوبكنز):

(أ) ترجمة من الإنجليزية إلى العربية:

الفصل الأول : (٥) ساعات.

الفصل الثاني : (٣) ساعات.

الفصل الثالث : (٤) ساعات.

(ب) ترجمة من العربية إلى الإنجليزية:

الفصل الأول : (٣) ساعات.

الفصل الثاني : (صفر).

الفصل الثالث : (صفر).

(ج) المقالة العربية:

الفصل الأول : ساعتان فقط.

الفصل الثاني : ساعتان فقط.

الفصل الثالث : (صفر).

(د) المقالة الإنجليزية حول موضوعات تاريخية:

(٣) ساعات في الفصل الثاني فقط .

٥- التاريخ الإسلامي حتى سنة ٦٦١م (المدرس : سارجنت):

الفصل الأول : (٨) دروس.

الفصل الثاني : (٧) دروس.

الفصل الثالث : (٣) دروس.

❖ عدد الساعات للسنة الجامعية : (١٤٥) ساعة فقط .

السنة الثالثة:

١- اللغة العربية الفصحى:

(أ) مختارات من مقدمة ابن خلدون:

الفصل الأول : (١٤) ساعة (المدرس : روزنتال).

الفصل الثاني : (٣) ساعات (المدرس : سارجنت).

الفصل الثالث : ترك الطلبة لتصرفهم الخاص .

(ب) مختارات من كتاب الكامل للمبرد:

الفصل الأول : (٨) ساعات (المدرس: طالب إنجليزي).

الفصل الثاني : (١٣) ساعة (المدرس : سارجنت).

الفصل الثالث : (٧) ساعات (المدرس : سارجنت).

(ج) المصادر التي يجب أن يقرؤها الطلاب دون مراقبة أو إشراف:

(١) الغزالي : كتاب: «المنقذ من الضلال».

(٢) البيضاوي : تفسير سورة (١٢).

(٣) آربري : الشعر العربي : مبادئ أولية للطلبة.

(د) التاريخ والأدب وما إلى ذلك :

ترك الطلبة دون مراقبة أو إشراف، حتى إنه قد أهمل تزويدهم بقائمة للمصادر المختارة.

٢- اللغة العربية الحديثة:

(أ) الشعر : من مختارات كتاب بيريس:

(المدرس : هوبكنز).

تغطي (١٥) درساً.

(ب) مختارات من فارس الشدياق :

(٥) ساعات (المدرس : هوبكنز).

(٦) ساعات (المحاضر : الطالب العربي المذكور في أعلاه).

(ج) نجيب محفوظ : كتاب اللص والكلاب (المحاضر : الطالب العربي نفسه):

الفصل الأول : (١٣) ساعة.

الفصل الثاني : (١٤) ساعة.

الفصل الثالث : (صفر) (السبب : انتهى الكتاب).

(د) أحمد أمين : كتاب حياتي، ميخائيل نعيمة : كتاب كان ما كان.

ملاحظة : يُترك الطلبة لتحضير ذلك وقراءته بأنفسهم.

٣- التاريخ من سنة ١٨٣٨م إلى سنة ١٩٢٣م (المدرس : أحد الطلبة الإنجليز):

الفصل الأول : (٨) ساعات.

الفصل الثاني : (٨) ساعات.

الفصل الثالث : (صفر).

٤- الأدب في القرن التاسع عشر والقرن العشرين (المدرس : أحد الطلبة الإنجليز):

الفصل الأول : ٨ ساعات.

الفصل الثاني : ٨ ساعات.

الفصل الثالث : صفر.

٥- الإشراف (المشرف : الطالب العربي):

(أ) المقالة العربية :

الفصل الأول : (٤) ساعات.

الفصل الثاني : (ساعتان).

(ب) الترجمة من الإنجليزية إلى العربية:

الفصل الأول : (٣) ساعات.

الفصل الثاني : (٧) ساعات.

الفصل الثالث : (ساعتان).

❖ عدد الساعات للسنة الجامعية : (١٦٥) ساعة .

الملحق رقم (٢)

أعمار الخليقة من آدم إلى الطوفان حسب نُسَخِ التوراة

الاسم	العبرانية	السامرية	اليونانية
آدم	١٣٠	١٣٠	٢٣٠
شيث	١٠٥	١٠٥	٢٠٥
آنوش	٩٠	٩٠	١٩٠
قينان	٧٠	٧٠	١٧٠
يارد	١٦٢	٦٢	٢٦٢
متوشالح	١٨٧	٦٧	١٨٧
لامك	١٨٢	٥٣	١٨٨
الزمان من خلق آدم إلى الطوفان	١٦٥٦	١٣٠٧	٢٢٦٢

الملحق رقم (٣)

شجرة أنساب المسيح – عليه السلام – حسب الأناجيل

(أ) نسب المسيح قبل إبراهيم عليه السلام		(ب) نسب المسيح قبل داود عليه السلام	
حسب إنجيل (متّى)	حسب إنجيل (لوقا)	حسب إنجيل (متّى)	حسب إنجيل (لوقا)
	١ آدم	١ إبراهيم	١ إبراهيم
	٢ شيت	٢ إسحاق	٢ إسحاق
	٣ أندش	٣ يعقوب	٣ يعقوب
	٤ قينان	٤ يهوذا	٤ يهوذا
	٥ مهلئيل	٥ فارص	٥ فارص
	٦ يارد	٦ حصرون	٦ حصرون
	٧ أخنوخ	٧ آرام	٧ عرني
	٨ متوشالح	٨ عمينا داب	٨ أدمني
	٩ لامك	٩ نعشون	٩ عمينا داب
(متّى) لا يذكر أي اسم قبل إبراهيم	١٠ نوح	١٠ سليمان	١٠ نحشون
	١١ سام	١١ بوعز	١١ شالح
	١٢ أرفكشاد	١٢ عبيد	١٢ بوعز
	١٣ قينان	١٣ يسى	١٣ عويبد
	١٤ شالح	١٤ داود	١٤ يسى
	١٥ عابر		
	١٦ فالج		
	١٧ راعو		
	١٨ سروح		
	١٩ ناحور		
	٢٠ تارح		

(ج) نسب المسيح بعد داود عليه السلام					
حسب إنجيل (متّى)	حسب إنجيل (لوقا)	حسب إنجيل (متّى)	حسب إنجيل (لوقا)	حسب إنجيل (متّى)	حسب إنجيل (لوقا)
١ سليمان	١ سليمان	النفي إلى بابل			٢٨ شمعي
٢ رحبعام	٢ ناتان	١٥ شالتئيل	١٥ بوسي		٢٩ متتبا
٣ أبيا	٣ متاتا	١٦ زربابل	١٦ عير		٣٠ مآت
٤ أسا	٤ منا	١٧ أبيهود	١٧ المودام		٣١ نجاي
٥ بوشاقاط	٥ مليا	١٨ ألياقيم	١٨ قوسام		٣٢ حسلي
٦ بورام	٦ ألياقيم	١٩ عازور	١٩ آدي		٣٣ ناحوم
٧ عزيا	٧ يونان	٢٠ صادوق	٢٠ ملكي		٣٤ عاموس
٨ يوتام	٨ يوسف	٢١ أكيم	٢١ نيري		٣٥ متتيا
٩ أجاز	٩ يهوذا	٢٢ اليهود	٢٢ شالتئيل		٣٦ يوسف
١٠ حزقيا	١٠ شمعون	٢٣ العازار	٢٣ زربابل		٣٧ ينا
١١ منسي	١١ لاوي	٢٤ متان	٢٤ ريسا		٣٨ ملكي
١٢ أمون	١٢ متات	٢٥ يعقوب	٢٥ يوحنا		٣٩ لاوي
١٣ يوشيا	١٣ يوريوم	٢٦ يوسف	٢٦ يهوذا		٤٠ متات
١٤ يكنيا	١٤ عازر	٢٧ عيسى	٢٧ يوسف		٤١ عالي
					٤٢ يوسف
					٤٣ عيسى

الملحق رقم (٤)

جدول كرونولوجي للعلوم في العصور الوسطى (*)

العلوم	في العالم الإسلامي	في أوروبا والغرب
(١) الفلك والرياضيات:		
	– المثل الأعلى الإسلامي : اللامتناهي.	– المثل الأعلى الإغريقي في الجمال يقوم على أساس من النسب والأعداد بوصفها مقادير متناهية، اعتبار المكان والزمان سكونيين، والكون (كينونة).
الخوارزمي (٧٨٠ – ٨٥٠)	– اخترع جبراً (عصرياً)، وحوّل الأعداد إلى عناصر علاقة.	
البتاني (٨٥٨ – ٩٢٩)	– حلّ الجيب (sine) محل الوتر (chord) ، واصطنع الظلال (tamgents) وظلال التمام (cotangent) ، وقدّم فكرات هامة عن النسب المثلثية.	

أبو الوفاء (٩٤٠ - ٩٩٧)	- اخترع طريقة جديدة لوضع جداول الجيب (sine)، أدخل القاطع (secant) وقاطع التمام (cosescant)، سبقت دراساته في علم المثلثات دراسات (كوبرنيكوس).	
البيروني (٩٧٣ - ١٠٤٨)	- عيّن خطوط العرض وخطوط الطول، واخترع المسائل (البيرونية)، وحوّل الأعداد من مجرد كميات ومقادير إلى عناصر وظيفية ، الكون عنده (صيرورة).	
عمر الخيام (١٠٣٨-١١٢٣)	- اخترع (جبراً) متقدماً، وأعدّ تقويماً أدق من التقويم الغريغوري، وهو صاحب (الرباعيات).	- في القرن الثاني عشر ترجم (جيرار الكرموني) و(روبرت التشيستري) وغيرهما من العلماء اللاتين المؤلفات العربية في الرياضيات وعلم الفلك.
	- المسلمون يُدخلون الأرقام العربية، والصفر، والنظام العشري (القرن التاسع).	- أوروبا ترفض طوال مئتين وخمسين سنة (حتى القرن الحادي عشر) أن تتبنّى النظام العشري.
(٢) الجغرافية وعلم وضع الخرائط :		

الخليفة المأمون (٨١٣- ٨٣٣)	- أصدر أمره بقياس درجة جغرافية، وأمر بوضع (صورة للأرض). علماء الفلك: الرغاني (حوالي ٨٦٠)، والبتاني (٩٠٠)، والبيروني (حوالي ١٠٣٠) أعدّوا جداول جغرافية لخطوط الطول والعرض. الملاحون والتجار والحجاج المسلمون جمعوا معلومات جديدة عن البلدان الأجنبية.	- الإغريق، وبخاصة بطليموس، يقدمون الأساس لجهودهم ومآثرهم الجغرافية.
المسعودي (٩١٢ - ٩٥٧)	- وضع أول موسوعة علمية تاريخية — جغرافيَّة.	
الإدريسي (١٠٩٩ -١١٦٦)	- تصوّر الأرض كروية، ووضع خرائط دقيقة، وألّف (كتاب رجار)، وصنّف موسوعة جغرافيَّة.	- آثاره ترجمت في روما عام ١٦١٩م.
ياقوت الحموي (١١٧٩ — ١٢٢٩)	- ألّف موسوعة في الجغرافية والعلم.	- النظرية العربية في (ذروة العالم) أو (قبة أرين)، وقد تأثر العلماء الأوروبيون به تأثراً عظيماً، وتقولب وجهات (كولومبس).
ابن بطوطة (١٣٠٤ — ١٣٦٩)	- واحد من أعظم الرحالة في جميع العصور، في كتابه معلومات زادت معرفة الأوروبيون بالشرق الأوسط وبآسيا زيادة عظيمة.	
الحسن الوزازي leo Africanus (١٤٩٥ — ١٥٥٠)	- رحالة عظيم كتب أول كتاب شامل عن أفريقيا.	- تُرجم كتابه في أوروبا.

(٣) الطب :		
حنين بن إسحاق (٨١٠ - ٨٧٧)	- أول مترجم للمصنّفات الطبية الإغريقية، وضع في الطب كتباً ذات أصالة.	- الإغريق - وبخاصة جالينوس وأبقراط - قدّموا الأساس للطب العربي.
الرازي (٨٦٥ - ٩٢٥)	- واحد من أعظم الأطباء في جميع العصور، قدّم أول وصف سريري للحصبة والجدري، وألّف أضخم كتاب في الطب.	- آثاره ترجمت مرات متعددة في أوروبا، وأثّرت في الأطباء الغربيين تأثيراً عظيماً.
ابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٨)	- أبعد العلماء المسلمين أثراً، مؤلف (القانون في الطب)، أدرك طبيعة المرض السارية.	- كتبه ترجمت في أوروبا منذ القرن الثاني عشر حتى القرن السابع عشر، وقد تمتّع بالسلطان الطبي الأعظم في الغرب.
ابن زهر (١٠٩١ - ١١٦١)	- الطبيب الشهير في بلاط الموحدين في مراكش.	- كتابه (التيسير) أثّر في الأطباء الأوروبيين تأثيرا عظيماً.
ابن رشد (١١٢٦ - ١١٩٨)	- طبيب عظيم لكنه عُرِف أكثر بالفلسفة.	

ابن الخطيب (١٣١٣- ١٣٧٤)	- مؤرخ، ورجل دولة، وطبيب دافع في رسالته (في الطاعون) عن فكرة العدوى.	
ابن خاتمة (١٣٢٣- ١٣٦٩)	- مؤلف أهم رسالة عن الطاعون وضعت في القرون الوسطى. وافق ابن الخطيب في أن يحل المفهوم القائل: بأن الإنسان عضو في الأسرة الكونية متبادل العلاقة معها، محلّ المفهوم الإغريقي السابق القائل: بأن الإنسان كل مستقل بذاته.	
(٤) الكيمياء والخيمياء والفيزياء:		
جابر بن حيان (حوالي ٧٧٦)	- أبو الكيمياء والخمياء الإسلاميتين، حضّر عدداً من المواد الكيميائية الجديدة، وقام بعمل ذي شأن في حقل المعادل وصناعة الزجاج. وقد أدخل كثيراً من المصطلحات الكيميائية إلى اللغات الأوروبية، وهو خيميائي بارز.	- الكيمياء الإغريقية والخيمياء الإغريقية والمصرية كانت هي صاحبة النفود الأعظم في نشأة هذين العلمين عند العرب. - (روبرت التشيستري) قدّم في القرن الثاني عشر أول ترجمة لاتينية لأحد كتب جابر بن حيان.

الرازي (٨٦٥ ــ ٩٢٥)	– اشتهر كثيراً ما اشتهر بوصفه طبيباً، وقدّم تصنيفاً دقيقاً للمواد والعمليات الكيميائية، وهو خيميائي بارز.	
إخوان الصفا (حركة علمية سياسية في القرن العاشر)	– أصدروا عدداً من الرسائل الكيميائية والخيميائية، ظهر بعضها باسم جابر بن حيان في الفيزياء، وقد انصبَّ اهتمام المسلمين في المحل الأول على الساعات، والأدوات العاملة بقوة الماء، وكانت لهم عناية بالدمى الميكانيكية.	
ابن الهيثم (٩٦٥ ــ ١٠٣٩)	– أول عالم صحح نظريات (بطليمون) الخاطئة في علم البصريات، ووضع الأسس لعلم البصريات الحديث، وهو أول من استعمل (الغرفة المظلمة).	– يترك أثراً كبيراً في المؤلفين في علم البصريات خلال القرون الوسطى، وفي جملتهم (روجر بيكون، وكبلر، وليوني دافنشي).
(٥) علم النبات والزراعة والبستنة:		
	– المسلمون يُدخلون إلى أوروبا البرتقال، والليمون، والخوخ، والمشمش، والرمان، والزعفران، والقهوة، وزراعة قصب السكر، والأرز، ويُدخلون أيضاً عدداً من النباتات الطبية، ويحسنون طرائق الري، والقرب – باعترافهم – مدنيون لهم بالنظرة العلمية إلى الزراعة.	

ابن العوام (نهاية القرن الثالث عشر)	- ألّف أهم رسالة في الزراعة في القرون الوسطى، ودرس- على نحو علمي - تطعيم النبات، والسماد ومعالجة أمراض النبات.	- ظهرت ترجمات فرنسية وإسبانية لكتابه الرئيسي في القرن التاسع عشر.
ابن البيطار (توفي عام ١٢٤٨)	- أعظم عالم نباتي وصيدلي في القرون الوسطى، ألّف أكمل موجز في علم النبات، ودرس العقاقير والأغذية في توسع.	أوروبا لا تعترف بأهميته إلا في القرن التاسع عشر.
	- إن مآثر المسلمين البارزة في البستنة هي : إدخال مختلف الرياحين إلى أوروبا، والجنائن الفارسية والأندلسية، وإن بعض منتجات الفارسية الإسلامية وأسماءها قد نُقلت إلى أوروبا، مثل: (julep) و (syrup)، من لفظتي (شراب) و (رب) و (Attar) من لفظة (عطر)، وكانت العطور العربية والفارسية ذات شعبية واسعة في أرجاء الغرب كله.	

* قد تضمّن هذا الجدول عدداً من أسماء الأعلام الإسلامية المطعون في عقيدتهم، مثل: الرازي، والمأمون، وابن سينا... إلخ، لكنهم مع ذلك قد نشؤوا في البيئة الإسلامية، وهي التي أعطتهم هذه الفرصة.

المراجع والمصادر

مَرا

gen

gue
e

nsin
ahd
7M.

ing,

—

mit

مراجع ومصادر الكتاب

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: كتب السنة النبوية:

١ - جامع الترمذي.

٢ - صحيح البخاري.

ثالثاً: ترجمات معاني القرآن الكريم:

1- Max Henning, Der Koran: VMA. Verlage Wiesbaden.

2- Moustafa Maher, Auswahl aus den Interpetationen des Heiligen Koran, Kairo, 1420 n.d. Hidschra. 1999 n.chr.

3- Muhammad Hamidullah, Le. Noble Coran, et la Traduction, en langue francaise de ses sens, Complexe Roi Fahd Pour l,impression du Noble Coran. 1420. Hidchra.

4- Muhammad Taqi- ud – din Al – Hilali And Muhammad Muhsin Khan. Translation of the meanings of the noble Quran, King Fahd complex for the printing of the Holy Quran. Madinah, K. S. A, 1417M. Hldshra.

5- Murad Hofmann, Der Koran, Aus dem Arabischen von Max Henning, ueberarbeitung und Einleitung von. M. Hofmann. Cagri Yayinlari. Lstanbul 1998.

6- Rudi Paret, Der Koran, Uebersetzung von Rudi Paret, Verlag Kohl – hammer. Stuttgart 1979.

رابعاً: مراجع باللغات الأوروبية:

1- A. K. Wells , Outlines of geoloical History , London 1938.

2- Adel Theodore Khoury , Der theologische Streit der Byzantiner mit dem Islam.

3- Anton Pegis , St. Anselm and the Argument of the Proslogion , Medioeval Studies 28 (1966).
4- B. F. Westcott , The Bible in the Church , Grand Rapids. (U.S.A 1980).
5- Dena John Geanakohlos, Byzantine East and Latin West: Two Worlds of Christiandom in Middle Ages and Renaissance, Harpertoneh Books , New York 1966.
6- Francis Dvornik, The Ecumenical Concils , Hawthorn Books. New York 1961.
7- Goetz schregle , Deutsch - Arabisches Woerterbuch, London – Beirut 1977.
8- Hans. Joachim Kraus , Geschichte der historisch - Kritischen Erforschung des Alten Tesament , Neukirchen - Vluyn. 1969.
9- Hermann Lais , Was sagt die Kirche zum Wunder in: Wunder und Magie Gesmmelten Beitraege , Wuerzburg 1962.
10- HOCKK., Der Islam im Spiegel westlicher Theologie. Wien 1986.
11- Julius Richter , Ahistory of the Protestant Missions in The Near East , New York 1910.
12- J. M. Robinson, Die Bedeutung der Bibliothek von Nag Hammadi Fuer die heutige Theologie und das Fruhe Christentum, Bamberg 22.6.93 (vortrag).
13 - Katechismus der katholischen kirche. Leipzig - schweis 1993.
14- Klaus Hock, Der Islam im Spiegel westlicher Theologie, Deutschland 1989.
15- Moses ben Maimone: Sein Leben, Seine Werke und sein Einfluss, Hrsg von W. Bacher. Leipzig 1908.
16 - Montgomery Watt, The Influence of Islam on Medieval Europe , Edinburgh up 1972.
17- Rudolph. K., Der Koran im Lichte der Religionsgeschichte. Weinar 1960.
18- R. Smend , Die Entstehung des Alten Testament, Stuttgart – Mainz 1978.
19- Rudolf Smend , Epochen der Bibelkritik , Muenscchen 1991.

20- Religionen der Welt, Bertlsmann Handbuch , Heraus gegeben von: Monika und Udo Tworuschka. Muenschen Guetersloh 1992.
21- Rudolf Bultmann, Neues Testament und Mythologie , in: Kergma und Mythos , Hrsg. von: Hans - Wemer. Hamburg 1960.
22- Saint Clair Tisdall, The Original Sourees of the Quran, London , 1905.
23 - Theologische Realenzklopuedie, London - New York - Bonn.
24 - Trevor - Roper , Hugh , The Rise of Christian Europe , London 1978.
25- Troll. C. W., Der Islam im Verstaendnis der Katholischen Theologie, Bamberger Forum. Munster 2003.
26 - Werner. Kuemmel , Einleitung in das Neue Testament , Heidlberg 1983.
27 - Willim Born, Christlicher Glaube und Naturwissenschaft , Blefeld 1954.
28 - Zwemer S., The Translation of the Quran , The Muslim World, 1973.

خامساً: دوائر المعارف المتخصصة:

1 - Theologische Realenzklopuedie , London - New York - Bonn.
2 - Encyclopedia of the Quran , by Jane Dammen Mcauliffe (Editor), Brill Academic Publishers. Brill – Leidon – Boston 2004.

سادساً: الكتب المقدّسة لدى الغرب:

١ - العهد الجديد (نسخة الكاثوليك)، اعتماد بولس باسيم، دار المشرق، بيروت ، ١٩٨٩م.
٢ - العهد القديم (نسخة الكاثوليك)، اعتماد بولس باسيم، دار المشرق، بيروت ، ١٩٨٩م.

سابعاً: المؤلفات الغربية المترجمة:

١ - أرنست رينان، ابن رشد والرشدية، بترجمة : عادل زعيتر، القاهرة ، ١٩٥٧م.
٢ - أ. ل شاتيله، الغارة على العالم الإسلامي، نشرة محب الدين الخطيب، بيروت. د. ت.

٣ - التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي (الترجمة الكاملة لأعمال مؤتمر كلورادو التبشيري بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٩م)، دون بيانات.

٤ - بابا دوبولس، تاريخ كنيسة أنطاكية، منشورات النور، بيروت، ١٩٨٤م.

٥ - توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط٢.

٦ - جورج مونان، المسائل النظرية في الترجمة، بترجمة: لطفي زيتوني، دار المنتخب العربي، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٧ - غوستاف لوبون، حضارة العرب، بترجمة: عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٩م.

٨ - غولد تسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، بترجمة: عبد الحليم النجار، القاهرة، ١٩٥٥م.

٩- العقيدة والشريعة في الإسلام، بترجمة: محمد يوسف موسى وآخرdن، القاهرة، ١٩٤٨م.

١٠ - جيمس فريزر، الفلكلور في العهد القديم، بترجمة: نبيلة إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م.

١١ - دانييل ساهاس، جدل يوحنا الدمشقي مع الإسلام، مجلة الاجتهاد، بيروت عدد (٢٨)، السنة السابعة (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

١٢ - رودي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، بترجمة : مصطفى ماهر، دار الكاتب العربي، القاهرة. د. ت.

١٣ - روم لاندو، الإسلام والعرب، بترجمة : منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧م.

١٤ - ريجيس بلاشير، مقدمة ترجمة القرآن، بترجمة: محمد العبيدي، حولية كلية الآداب، الجامعة التونسية ، العدد (٢١)، عام ١٩٨٢م.

١٥ - زينون كاسيدوفسكي، الحقيقة والأسطورة في التوراة، الأبجدية للنشر، دمشق ، ١٩٩٠م.

١٦- سذرن. ر. و، نظرة الغرب إلى الإسلام في العصور الوسطى، بترجمة: علي خشيم وصلاح الدين حسن، مكتبة الفكر، طرابلس، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

١٧- فريتجوف شيون، كيف نفهم الإسلام، دار الآداب، بيروت، ١٩٧٨م.

١٨- فاشكيفيتش نيكولاي، الفرقان في ترجمة معاني القرآن، مجلة شمس الإسلام، العدد الثاني، (لندن، موسكو)، ربيع الأول ١٤١٤هـ - سبتمبر ١٩٩٣م.

١٩- كارل ساغان، الكون، سلسلة عالم المعرفة (١٧٨)، وزارة الإعلام، الكويت.

٢٠ - لويس يونغ، العرب وأوروبا، بترجمة: ميشل أزرق، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٩م.

٢١ - موريس بوكاي، الأفكار الخاطئة التي ينشرها المستشرقون خلال ترجماتهم للقرآن الكريم، محاضرة أُلقيت بالجامعة المحمدية بأندونسيا، مجلة الأزهر (رمضان ١٤٠٦هـ - يونية ١٩٨٦م).

- القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، دار المعارف، لبنان، ١٩٧٧م.

٢٢ - يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، بترجمة: عمر العالم، دار قتيبة، دمشق، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

ثامناً: علوم القرآن:

١- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، بتحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٧م.

٢- السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، بتحقيق: مصطفى ديب، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى.

تاسعاً: المعاجم:

١- المعجم الوسيط، إصدار: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

2 – Deutsch – Arabisches Woerterbuch, London – Beirut 1977.

عاشراً: مراجع أخرى:

١- إبراهيم الجبهان، ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٤هـ.

٢- إبراهيم خليل أحمد، المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، مكتبة الوعي العربي، القاهرة، ١٩٦٤م.

٣- إبراهيم موسى هنداوي، الأثر العربي فى الفكر اليهودي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٣م.

٤- أبو العلا، محمد حسين، القرآن وأوهام مستشرق، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، ١٩٩١م.

٥- أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، المنتدى الإسلامي، لندن، ١٤١١هـ.

٦ - أحمد نوفل، سورة يوسف: دراسة تحليلية، دار الفرقان، عمّان، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٧ - إدوارد سعيد، الاستشراق، بترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

٨ - إسماعيل سالم عبد العالم، المستشرقون والقرآن، سلسلة دعوة الحق، عن رابطة العالم الإسلامي، العدد ١٠٤، مكة المكرمة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٩ - أعراب عبد الحميد، دائرة المعارف الإسلامية، ندوة: «مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي»، الرياض (٢٢ - ٢٥رجب ١٤٢٠هـ، ٣١ أكتوبر - ٣ نوفمبر ١٩٩٩م).

١٠- أنيس فريحة، مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران، بترجمة: إبراهيم مطر، بيروت، ١٩٥٧م.

١١ - البيجوري، تحفة المريد في شرح جوهرة التوحيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

١٢ - التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع، تونس١٩٧٤م.

١٣ - ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، مطبعة المدني، مصر، بدون ترقيم.

١٤ - البنداق، محمد صالح، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، دار الآفاق، الجديدة، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٥ - البيومي، محمد رجب، إعادة قراءة القرآن، كتاب الهلال، (٥٨٨)، القاهرة، ١٩٩٩م.

١٦- الحاج، ساسي سالم (الدكتور)، الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ١٩٩١م.

١٧- السامرائي، قاسم (الدكتور)، الاستشراق بين الموضوعية والافتعال، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٨ - الطيباوي،عبد اللطيف، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٩ - العبيد، علي، جمع القرآن الكريم حفظاً ودراسة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة (رجب ١٤٢١هـ - أكتوبر ٢٠٠٠م).

٢٠ - العقاد، عباس محمود، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، القاهرة، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.

٢١- العمار، حمد بن ناصر بن عبد الرحمن، أساليب الدعوة الإسلامية، مركز الدراسات والإعلام، دار إشبيليا، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٢- اللاوندي، سعيد ، إشكالية ترجمة معاني القرآن الكريم، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠١م.

٢٣ - المالك، فهد، نظرات في قضية ترجمة معاني القرآن الكريم، مجلة البيان، العدد (٩٦)، (المنتدى الإسلامي بلندن).

٢٤ - ابن العسال، الصحائح في جواب النصائح، القاهرة، سنة ١٦٤٣ قبطية.

٢٥ - ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، بتحقيق: مصطفى جواد، بغداد، ١٩٣٢م.

٢٦ - المرزوقي، أبو يعرب، الترجمة ونظرياتها، بيت الحكمة، تونس، ١٩٨٩م.

٢٧ – المعايرجي، حسن (الدكتور): المحرفون للكلم (الترجمات اللاتينية الأولى للقرآن الكريم وتأثيرها على الترجمات باللغات الأوروبية)، مجلة المسلم المعاصر، العدد (٤٨)، شوال ١٤٠٧هـ - يونيو ١٩٨٧م.

٢٨ – المقداد، محمود، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، سلسلة عالم المعرفة (١٦٧)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢٩ – المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة: القرآن الكريم، دراسة تصحيحية لأخطاء دائرة المعارف الإسلامية في لايدن، إيسكو، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٣٠ – ابن هشام الحميري، السيرة النبوية، ط٢، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٣٧٥هـ.

٣١ – الندوي، عبد الله عباس (الدكتور)، ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه لدى الغرب، سلسلة دعوة الحق (١٧٤)، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ.

٣٢ – الهادي الدرقاش، العقد الحضاري في شريعة القرآن، دار قتيبة، تونس، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٩م.

٣٣ – بدوي، عبد الرحمن (الدكتور)، موسوعة المستشرقين، طبع دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٩م.

– دفاع عن القرآن ضد منتقديه، بترجمة: كمال جاد الحق، دار الجليل للكتاب والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٣٤ – تيودور أبو قرة، ميمر في وجود الخالق والدين القويم، بتحقيق: إغناطيوس ديك، بيروت، ١٩٨٢م.

٣٥ – تشابا، أحمد، صعوبات في ترجمة القرآن الكريم وأولوياتها، مجلة الفيصل (٣٠٠)، الرياض، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣٦ - جلال العالم، دمّروا الإسلام أبيدوا أهله، مكتبة الصحابة، جدة - مكتبة التابعين، القاهرة، ١٩٩٤م.

٣٧ - جواد علي، يوحنا الدمشقي، مجلة الرسالة (مصر)، (عدد ٦١٠)، والعدد (٦١٢)، ربيع الآخر ١٣٦٤هـ - مارس ١٩٤٥م.

٣٨ - جورج عطية، الجدل الديني المسيحي - الإسلامي في العصر الأموي وأثره فى نشوء علم الكلام، كتاب المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، جامعة اليرموك، عمّان، ١٩٨٩م.

٣٩ - جيجك، محمد خليل، دلالة أسماء سور القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٤٠ - حسن بن إدريس عزوزي، ملاحظات على ترجمة معاني القرآن الكريم للمستشرق جاك بيرك، ندوة: «ترجمة معاني القرآن الكريم» بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٤١ - حسن حنفي، نماذج من الفلسفة المسيحية، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٨م.

٤٢ - حسن طبل، حول الإعجاز البلاغي للقرآن، مكتبة الإيمان، ط١، مصر، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٤٣ - حسين علي محمد، القرآن ونظرية الفن، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٤٤ - حكيم، أسعد، علم الترجمة النظري، دار طلاس، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

٤٥ - دانييل ساهاس، جدل يوحنا الدمشقي مع الإسلام، مجلة الاجتهاد، بيروت، عدد (٢٨)، السنة السابعة (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).

٤٦ - دراز، محمد عبد الله (الدكتور)، النبأ العظيم، دار القلم، الكويت، ١٣٩٠هـ.

٤٧ - رشا الصباح، الإسلام والمسيحية في العصور الوسطى، مجلة عالم الفكر، عدد (٣)، المجلد الخامس عشر، وزارة الإعلام، الكويت.

٤٨ - رشاد عبد الله الشامي، الشخصية اليهودية، سلسلة عالم المعرفة، العدد (١٠٢)، وزارة الإعلام بالكويت.

٤٩ - رشيد رضا، الوحي المحمدي، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٥٠ - زهران، البدراوي، دحض مفتريات، سلسلة دعوة الحق (٤٨)، رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

٥١ - زينب عبد العزيز (الدكتورة)، ترجمات القرآن إلى أين؟ وجهان لجاك بيرك، دار الهداية، مصر، د. ت.

٥٢ - سعد العتيبي، نفوذ اليهود في عهد المغول الإيلخانيين، مجلة الدرعية (عدد ٦، ٧)، ربيع الآخر - رجب ١٤٢٠هـ/ أغسطس، نوفمبر ١٩٩٩م، المملكة العربية السعودية.

٥٣ - سعد بن منصور بن كمونة، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، نشرة موسى برلمان، مطبوعات جامعة كاليفورنيا، ١٩٦٧م.

٥٤ - سعيد عاشور، الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م.

٥٥ - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م.

- في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٥٦ - شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٦٥م.

٥٧ - عبد الجواد المحص، أباطيل الخصوم حول القصص القرآني، الدار المصرية، الإسكندرية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

- أدب القصة في القرآن الكريم، الدار المصرية بالإسكندرية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٥٨ - عبد الراضي محمد عبد المحسن، أسس فلسفة الأخلاق الإسلامية، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، السنة السادسة، عدد ٦، القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- المعتقدات الدينية لدى الغرب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ٢٠٠١م.

- منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى، مكتبة التربية الإسلامية، القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٥٩ - عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن ضد منتقديه، دار الجليل، ط١، بترجمة: كمال جاد الله، القاهرة، ١٩٩٧م.

- موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ١٩٨٩م.

٦٠ - عبد الرحمن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، دار العلم، دمشق، ط ٥، ١٤٠٧هـ -١٩٨٦م.

٦١ - عبد العزيز العسكر، التنصير ومحاولاته في الخليج العربي، العبيكان، ط١، الرياض، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٦٢ - عبد اللطيف الطيباوي، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، الترجمة العربية الملحقة بكتاب الفكر الإسلامي الحديث، د. محمد البهي، مكتبة وهبة، ط٨، ١٩٧٥م.

٦٣ - علي النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- التنصير، ١٩٩٣م، بدون بيانات.

٦٤ - علي جريشة - محمد الزيبق، أساليب الغزو الفكري، ط٢، دار الاعتصام، مصر.

٦٥ - عمر الأشقر، عالم الملائكة، دار النفائس، الأردن، ١٩٩٥م.

٦٦ - عمر رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، دار طيبة، الرياض، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٦٧ - عصمت بينارق - خالد أرن، البيليوغرافيا العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم، نشر مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٦٨ - غراب، أحمد عبد الحميد: رؤية إسلامية للاستشراق، المنتدى الإسلامي، لندن، ١٤١١هـ.

٦٩ - فروخ - الخالدي، التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦م.

٧٠ - فريد مصطفى سليمان، محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٧١ - لويس شيخو، المخطوطات العربية لكتبة النصرانية، طبع الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٤٢م.

- مقالات دينية قديمة لبعض مشاهير الكتبة النصارى، طبع الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٦م.

٧٢ - لويس غرديه - جورج قنواتي، فلسفة الفكر الديني، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٦٧م.

٧٣ - مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، بترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.

٧٤ - محمد أبو فراخ، تراجم القرآن الأجنبية في الميزان، مجلة كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، العدد الرابع (عام ١٤٠٢هـ - ١٤٠٣هـ).

٧٥ - محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

٧٦ - محمد البهي، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، الإدارة العامة للثقافة، مطبعة الأزهر، القاهرة، د. ت».

٧٧ - محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ط٥، دار المعارف، القاهرة.

٧٨ - محمد خليفة حسن، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، دار عين للبحوث والدراسات، القاهرة، ١٩٩٧م.

٧٩ - محمد السماك، مقدمة إلى الحوار الإسلامي - المسيحي، دار النفائس، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٨٠ - محمد الشرقاوي، الاستشراق، مطبعة المدينة، القاهرة، د. ت.

٨١ - محمد صالح البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، دار الآفاق الجديدة، ط٢، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٨٢ - محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، دار القلم، الكويت، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٨٣ - محمد عبد الواحد عسيري، صورة الإسلام والمسلمين في قاموس الأديان، بحث مقدم إلى ندوة «مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي» المنعقدة في الرياض (٢٢ - ٢٥ رجب ١٤٢٠هـ / ٣١ أكتوبر - ٣ نوفمبر ١٩٩٩م).

٨٤ - محمد عثمان بن صالح، النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٨٥ - محمد عمارة، استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطة، ط١، ١٩٩٢م.

٨٦ - محمد فتحي عبد الهادي، المصادر المرجعية عن الإسلام والمسلمين، ندوة: «مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي.

٨٧ - محمد الفيومي، الاستشراق رسالة استعمار، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٨٨ - محمد عيسى: ترجمة إسبانية للقرآن الكريم، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد التاسع عشر، مدريد، ١٩٧٦م - ١٩٧٨م.

٨٩- محمد مهر علي، مزاعم المستشرقين حول القرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، رجب ١٤٢١هـ - أكتوبر ٢٠٠٠م.

٩٠ - محمد خليفة حسن (الدكتور)، أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٩١ - محيسن، محمد سالم، تاريخ القرآن الكريم، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي (١٥)، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٩٢ - مهنا، أحمد إبراهيم (الدكتور)، دراسة حول ترجمة القرآن الكريم، مطبوعات الشعب، القاهرة، د. ت.

٩٣ - مونان، جورج، المسائل النظرية في الترجمة، بترجمة: لطفي زيتون، دار المنتخب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٩٤ - محمود العابدي، مخطوطات البحر الميت، دائرة الثقافة والفنون، عمان، ١٩٦٧م.

٩٥ - نخبة من العلماء، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٩هـ.

٩٦- نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، ط٤، مصر.

٩٧- هويدي، أحمد، الاستشراق الألماني، طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٩٨- وجيه حمد عبد الرحمن، وقفة مع بعض الترجمات الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم، ندوة: «عناية المملكة العربية بالقرآن الكريم وعلومه»، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

الفهرس

فه

الإ

المق

فهرس المواضيع

ماذا يريد الغرب من القرآن؟

لم تفتر همّة الغرب يوماً عن الاهتمام بالقرآن الكريم: ترجمةً، وبحثاً، وتصنيفاً، وجمعاً للوثائق والمخطوطات، ونشراً وتحقيقاً للمؤلفات التراثية حوله.

ولأن هذا الاهتمام الغربي بالقرآن لم يكن يوماً سبيلاً للتقارب مع الإسلام، أو مدخلاً لحوار حضاري بين الشرق والغرب، أو توطئة لمعرفة حقيقية بالتعاليم القرآنية، فإن ذلك الاهتمام قد أصبح مثاراً لتساؤلات ترقى إلى حدّ التعجب في ظل غياب الثمرة النافعة، وفي ظل نهج «محاكمة القرآن» الذي انتهجه الغربيون.

وتتطلب الإجابة عن هذه التساؤلات الإلمام بمجالات وفروع علمية متعددة، مثل: تاريخ الأديان عامة، وتاريخ الدراسات الإسلامية في الغرب خاصة، إلى جانب الفكر الغربي واللغات الأوروبية، وذلك ما توفّر للمؤلف بحكم تخصصه العلمي في مجال الأديان، وبحكم معرفته بالغرب وثقافته ولغاته.

ولهذا؛ فإن المأمول من مجلة البيان -بإصدارها هذا الكتاب- الإسهام في محاولة تصحيح المفاهيم المغلوطة حول الإسلام وكتابه ونبيه ﷺ، وتجلية الأحكام المسبقة والقوالب المصكوكة، والشِّبَاك المنسوجة من جانب الغرب لحشر القرآن داخلها، ودمغه بخاتم البشرية وعدم الأصالة؛ من أجل إقصائه عن مهابط الوحي الإلهي وأنوار النبوة الصادقة.